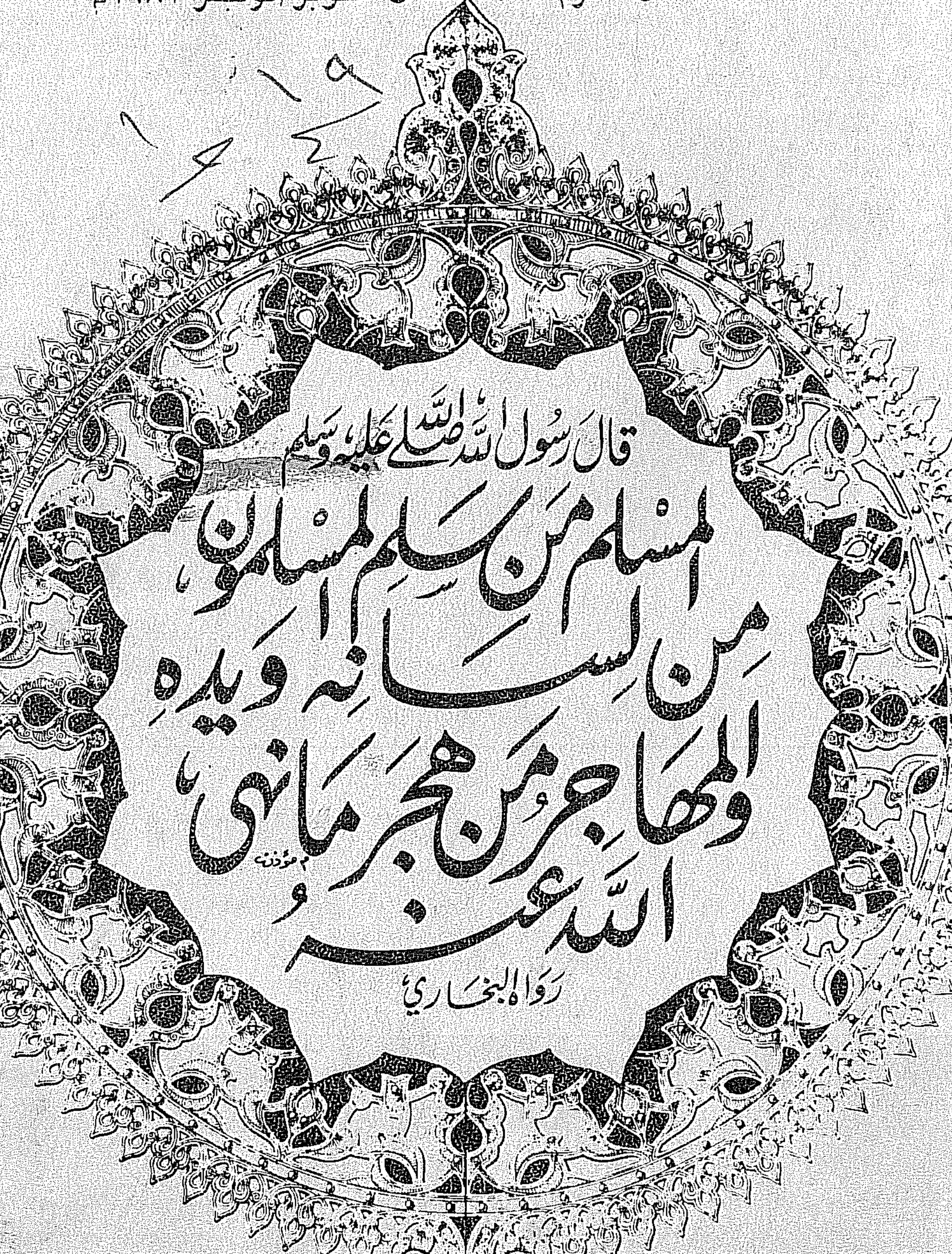
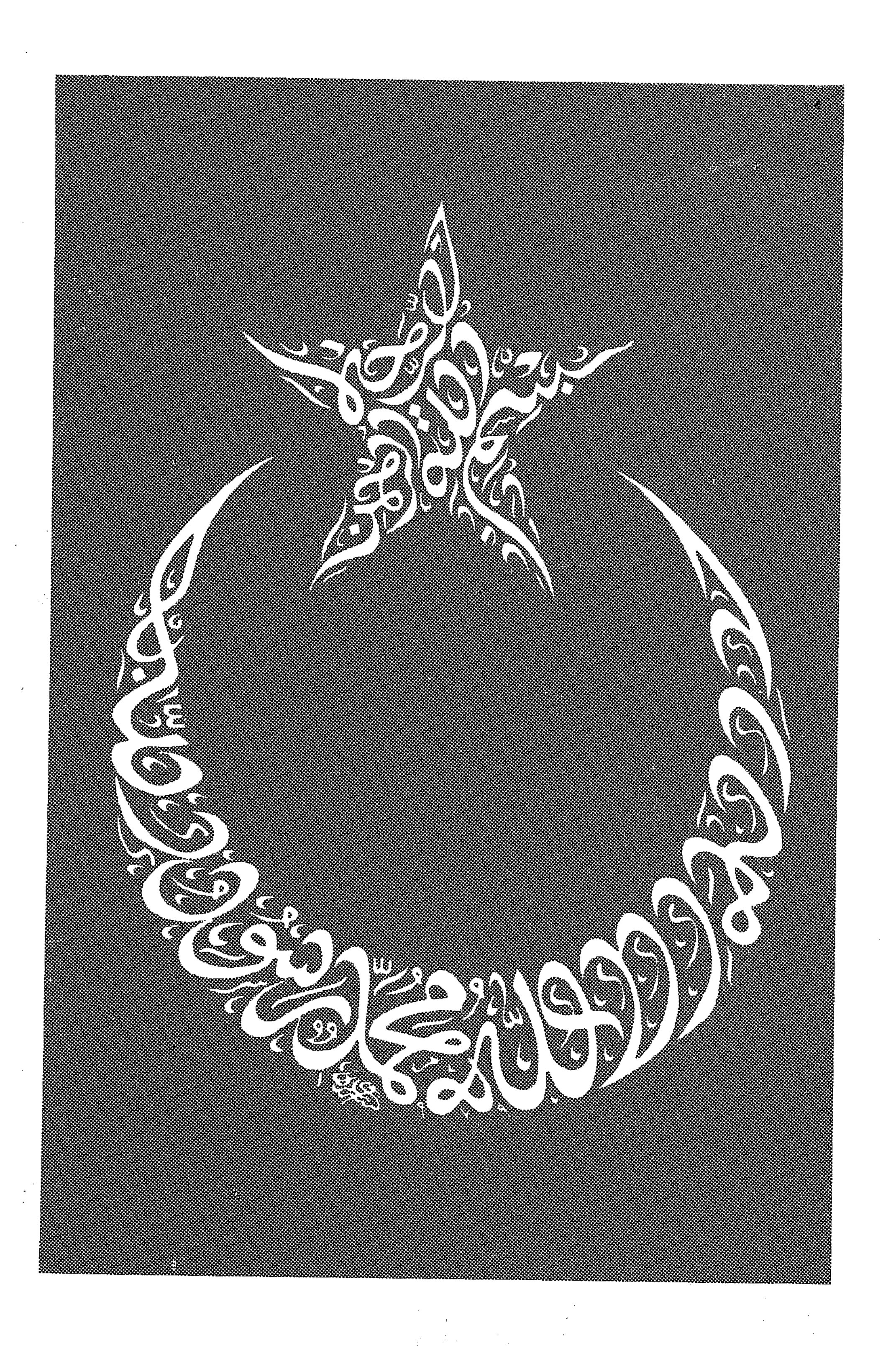
الوعي الإسلامي

العدد ٢١٧ • محرم ١٤٠٣ هـ • اكتوبر/نوفمبر ١٩٨٢م



هديتك مع العدد : مجلة براعم الايمان


لا اله الا الله محمد رسول الله



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢١٧ ● محرم ١٤٠٣ هـ ● اكتوبر/نوفمبر ١٩٨٢م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

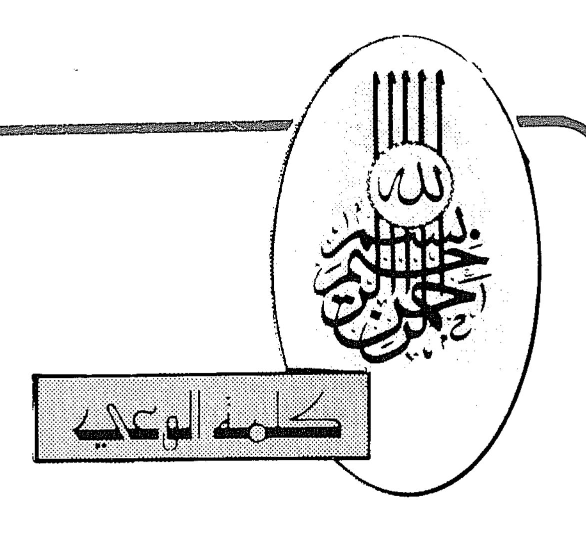
الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



الوقتُ هوَ الحياة

في مستهل شهر المحرم ينتهي عام بكل ما سجل فيه من اعمال واحداث ، ويشرق عام جديد ابيض الصفحات ، ليدون فيها ما يحدث لحظة بلحظة ، وساعة بساعة ، ويوما بيوم ، وشهرا بشهر .

والمؤمن الذي ينظر في امر مسلمي هذا العصر يأسى ويحزن لما هم فيه من ضياع وهوان . رغم كثرة عددهم ، فعددهم اكثر من تسعمائة مليون .

ووطنهم الفسيح زاخر بالخيرات . يمدهم بما يقارب نصف ثروة العالم .. والسبب في هذا الضياع والهوان غفلتهم عن هداية الله . ومظاهر تلك الغفلة كثيرة ، وأهمها اضاعة الوقت في غيرما يفيد ، وعدم تقدير قيمته في الحياة .. والحكمة العربية قديما تقول : « الوقت من ذهب إن لم تحرص عليه ذهب ».

وهذا صحيح في نظر من يقيسون الوجود بالقيم المادية .. أما الاسلام فالوقت فيه هو « الحياة ». لان مقاييس الوجود في الاسلام ابعد من القيم المادية .

بل هي مقاييس سامية . ترفع النفس الى قوة روحية عالية . وتسمو بالبدن الى قوة جسمانية فائقة .. وحياة الانسان في هذا الوجود هي الوقت الذي يمضي بين الميلاد والوفاة . وقد يذهب الذهب وينفد ، ولكنا نستطيع

الحصول عليه بعد نفاده . ونستطيع ان يكون معنا أضعاف ما فقدناه منه .

ولكن الوقت الذاهب ، والزمن الفائت لا نستطيع له اعادة ولا ردا ، فالوقت اذن اغلى من الذهب ، واغلى من كل جوهر وعرض . والنجاح في هذه الحياة لا يتوقف على الخطة الدقيقة ، والظروف المواتية ، فحسب . وانما يتوقف – مع هذا – على اللحظة المناسبة ، والتوفيق ان يقع العمل في وقته الملائم . (**والله يقدر الليل والنهار**) .. وليس وقت العمل نهارا دون ليل ، ولا ليلا دون نهار ، فصفات المؤمنين في ليلهم هجوع قليل وذكر كثير . (**كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحارهم يستغفرون**) .

وصفاتهم في نهارهم فروسية وعمل . يستيقظون من نومهم مبكرين ، لينالوا بركة البكور التي دعا لهم بها رسولهم – صلى الله عليه وسلم – في قوله : « اللهم بارك لامتى في بكورها » . وينهضون للاعمال جادين مخلصين . يتقنونها مراقبة لله وحبا لرضاه وامتثالا لقول الرسول الكريم « ان الله يحب احدكم اذا عمل عملا ان يتقنه ».

ان الايقاظ لهداية الله يحرصون على اوقاتهم حتى لا تضيع سدى ، ويوقعون العمل في لحظته المناسبة ، وذلك امارة التوفيق والسداد .. اما اعظم الناس خسارة واخفاقا فهم اولئك الذين يغفلون عن هداية الله ، فلا تلتقط قلوبهم معانيها ، ولا تبصر اعينهم شاهدها . ولا تسمع آذانهم نداءها . هؤلاء لا يعرفون قيمة لاوقاتهم . يخرجون من الدنيا بلا زاد من

التقوى : وهم - بهذه الغفلة مستحقون للعذاب . قال تعالى : (**ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالأنعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون**)

لقد كان من دعاء ابي بكر رضي الله عنه : « اللهم لا تدعنا في غمرة ولا تأخذنا على غرة ولا تجعلنا من الغافلين » . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدعو بأن يرزقه الله البركة في الاوقات واصلاح الساعات .. ورسول الاسلام - صلى الله عليه وسلم - يقول : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه » .. ومن اروع الصور التي تبينت فيها قيمة الوقت ما جاء في الاثر عن الحسن البصري : « ما من يوم ينشق فجره الا وينادي يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فتزود مني فاني لا اعود الى يوم القيامة ».

.. وان الاوقات تتفاوت في يمنها وبركتها .. فساعة اعظم بركة من ساعة ، ويوم افضل عند الله من يوم . وشهر اكرم من شهر .. وتلك فرصة أتاحها الله للمؤمنين ليطردوا فيها شبح الغفلة ويعودوا الى التذكر واليقظة ، وليغنموا فيها نفحات الفضل حين تهب نسمات القبول ، فان الحسنة

تتضاعف في هذه الاوقات المباركة ، فيرفع الله فيها من درجات عباده الصالحين ، كما يفتح فيها باب المتاب على مصراعيه ليدخل من أراد الله به الخير من التائبين المنيبين .. ولقد جاءت آيات الله وأحاديث رسوله تشير الى

هذه الاوقات . فالله تعالي يقول : (**فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون**) . ويقول :(**واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والأصال ولا تكن من الغافلين**) ويقول : (**والفجر . وليال عشر**)

وفي القول المأثور توجيه سديد الى طريق الانتفاع بالوقت :« **ان المؤمن بين مخافتين:بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه ، وبين آجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه . فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت** » .

أيها المسلمون . واجبنا تكريما لانفسنا ، واعزازا لديننا . ان نصرف أوقات حياتنا في العمل لدنيانا وآخرتنا . استجابة لامر الله تعالى في قوله : (**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما احسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين**) . والا نضيعها بالكسل ، او نشغلها بالعبث ، وان نستعين بالله ولا نعجز وان نلبي امر الله تعالى :(**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**)

اننا بذلك نقدر الوقت قدره ، ونعرف له قيمته ، ونسير في الطريق الصحيح الذي يحقق لنا العزة ، ويخرجنا من الظلمات الى النور باذن الله وارادته . (**ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم**)

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

وجوب تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية

للمستشار / علي عبد اللاه طنطاوي

ليس الاسلام مجرد شعائر وعبادات أو أحكام يخير الانسان في الأخذ بها أو تركها وإنما هو دين بعث به النبي صلى الله عليه وسلم ليحكم الناس في سلوكهم ومعاملاتهم في كل زمان ومكان .

وأحكام الاسلام فيها صلاح للناس واصلاح وذلك ثابت في قوله تبارك وتعالى :ـ (**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم**)المائدة / ١٥ و ١٦

ويقول عز وجل : (**كتاب انزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد**) ابراهيم / ١

ويقول جل وعلا : (**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا**) الاسراء / ٨٢

والمسلمون مأمورون بتطبيق الشريعة الاسلامية ولا خيار لهم في ذلك فالله عز وجل يقول : (**وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**) المائدة / ٤٨ ويقول تبارك وتعالى : (**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**) النساء / ٥٩

ويقول سبحانه وتعالى : (**وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم وأحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فأعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما**

لقوم يوقنون) المائدة / ٤٩ و ٥٠

وهذه الآيات الكريمة كما هو مبين من نصوصها تحمل تحذيرا للرسول صلى الله عليه وسلم من الحكم بغير كتاب الله واتباع الهوى وان القوانين الأجنبية المستوردة التي تحلل ما حرم الله وتحرم ما أحله ليست إلا صورة من صور الهوى الذي نهى عنه الله وحذر من الوقوع فيه .

ويقول الله عز وجل : **(وإنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله)** النساء / ١٠٥ ويقول : **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)** النساء / ٦٥

ولعل في ذكر سبب نزول هذه الآية ما يوضح التزام المسلمين التزاما وجوبيا بأحكام الشريعة الاسلامية اذ قيل في سبب نزولها ان نزاعا نشب بين الزبير وأحد الأنصار على رى أرض فاختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام إسق ثم ارسل الماء الى جارك فقال الأنصاري أن كان ابن عمتك أي حكمت له لأنه ابن عمتك فغضب النبي من هذا القول الذي كان سببا لنزول هذه الآية .

وقيل أنها نزلت بسبب خصومة بين أحد اليهود ومنافق تظاهر بالاسلام فدعاه اليهودي لتحكيم رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفض المنافق ودعا اليهودي لتحكيم كعب بن الاشرف أحد كبار اليهود فرفض اليهودي ثم انطلقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فأبى المنافق الا الذهاب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه للقضاء بينهما فما كان من عمر الا انه قتله بعد ان عرف قصته قائلا :**(هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله)** وعموما فإن كلا الروايتين يتضمن الالتزام الوجوبي الذي لا خيار فيه بأحكام الشريعة .

وقد وصف الله عز وجل من لم يحكم بكتابه بأنه كافر وظالم وفاسق فيقول جل من قائل : **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)** ويقول : **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)** ويقول : **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)** الايات من سورة المائدة / ٤٤ و ٤٥ و ٤٧

ويروي عن ابن عباس قوله من لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به فهو كافر ومن اقر به ولم يحكم به فهو فاسق ظالم .

وخلاصة القول ان لا خيار للمسلم في اختيار التشريعات التي تحكم علاقاته وتنظم معاملاته لأن الاسلام دين ودولة فهو يحكم المسلم في عباداته وفي أسرته وفي مجتمعه ولو قصرناه على أحكام العبادات فإننا نكون قد بعدنا عنه وخالفناه هذا من الناحية الدينية .

أما من ناحية المصلحة فان حاجة المسلمين ماسة وملحة الى تطبيق احكام الشريعة الاسلامية بعد ان كشفت لنا الأيام قصور القوانين الوضعية المستوردة التي زينت

الفواحش للناس ثم أباحتها وأقامت حانات للخمور والفجور ثم حمتها فدمرت الكثير من بيوت المسلمين وقضت على أسرهم وشردت أطفالهم وذهبت بأبدانهم وعقولهم فضلا عن ذهابها بدينهم .

هذه القوانين الوضعية التي اهملت المسائل الاخلاقية ولم تولها أي عناية مادامت في نظرها لا تسبب ضررا مباشرا للافراد او الامن او النظام .

هذه القوانين الوضعية التي أباحت لذئاب الفساد والانحلال اعلاء الصوت والمطالبة بمنع الأذان للصلاة بمكبرات الصوت بحجة عدم تكدير راحة المواطنين سبحان الله انها حرب صريحة على الاسلام على أرضه وفي معقله .. انها محاولة هدم له أليست الصلاة هي الركن الثاني من اركان الاسلام ؟ من أقامها أقام الاسلام ومن تركها فقد هدم الاسلام ألم يقل عز وجل : **(ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم)** البقرة / ١١٤

● هذه القوانين التي أباحت لبعض الملحدين والمحسوبين على الاسلام والمنسوبين اليه ان يشككوا في الدين ويوهنوا العقائد ويعرضوا بالأنبياء والرسل ويهاجموا المبادىء والقيم في محاولة لتخريب العقول النامية والقلوب الناشئة متخفين وراء القصص والاخبار والافكار والآراء .

● هذه القوانين المستوردة التي في ظلها تقام مسابقات الجمال وتقاس فيها السيقان والخصور والارداف وسط حفلات خليعة ماجنة تنافي المروءة والخلق الكريم .

● هذه القوانين الوضعية المستوردة التي كفلت حماية ملاعب السباق وأندية القمار ، فدمرت أسرا كريمة ، وشردت أطفالا في عمر الزهور ، فأصبحت وبالا على المجتمع من جراء انغماس ذويهم في السهر ولعب القمار .

● هذه القوانين الوضعية التي تركت عيون الشباب المتسكعين تمتد مسعورة في الشوارع الى ما لا يحل لها ولا تجد من يقمعها او يزجرها .

● هذه القوانين الوضعية التي تركت ألسنة السفهاء تمتد وتطول ولا تجد من يردعها .

● هذه القوانين الوضعية التي أباحت باسم الحرية الشخصية لاعداء الاسلام ان يبذروا في الكتب والصحف بذور الشك في نفوس الشباب والنيل من عقائده الصحيحة واخلاقه القويمة وغايتهم من ذلك اغراؤه على التمرد على احكام الدين وحثه بل دفعه الى الفسق والعصيان متسترين بما سموه الحرية الشخصية والتحرر العقلي .

● هذه القوانين الوضعية التي مهدت للفاحشة والرذيلة سبل الانتشار وتركت من يدافع عنها دون خجل ولا حياء برغم أننا بلد متفتح ، تقدم لكل زائر الطبق الذي يشتهيه .. واإسلاماه !! أعلى ارض الاسلام وفي

معقله يسمح بهذا ؟

لقد فقدنا الفضيلة والقيم والأخلاق وأصبح الفساد والمجون والانحلال والتخنث مظهرا من مظاهر التقدم في نظرنا ، وبات الكذب والختل والخديعة سياسة ، وأضحى الغش والنفاق والمداهنة كياسة ، وأصبح خلف العهود ونقض الوعود مصلحة ، وصار الناس ينظرون الى السماحة والمحبة والود والتعاون والاخاء على انها زوائل يستخف بالمتصف بها .

هذه هي مفاسد الغرب تنتقل الينا مع قوانينه التي نقلناها عنه فجاءت مخالفة لديننا واخلاقنا وتقاليدنا واصبحنا بفعلها أشباحا اسلامية بعيدين عن الدين .

ان غاية كل قانون هو خدمة الجماعة التي يشرع لها وسد حاجتها وحماية عقيدتها ونظمها الاجتماعية والاقتصادية ، انه يجب ان يمثل دينها وآدابها واخلاق أفرادها وتقاليدهم ومن ثم اختلفت هذه القوانين باختلاف الشعوب والقانون الذي يصلح لدولة لا يصلح لاخرى اذا لم تكن ظروفها مشابهة لها كما حدث في البلاد الاسلامية ولا مخرج من هذا أولا علاج الا بتطبيق شريعة الله التي تقيم العدل وتحمى العقل وتهذب النفس المنحرفة وتكفل المساواة وتقوى دعائم الفضيلة في المجتمع . وقد أنصف يلولا كازيلي المستشار الملكي السابق لوزارة العدل حيث قال : « أنه يجب على مصر ان تستمد قانونها من الشريعة الاسلامية فهي اكثر اتفاقا من غيرها مع روح البلد القانونية »

ويقول العالم النمساوي الكبير ليوبولدفاس - وقد أسلم وحسن اسلامه وتسمى باسم محمد علي - في كتاب الاسلام على مفترق الطرق - لقد تحققت ان ثمة سببا واحدا فقط للانحلال الاجتماعي والثقافي بين المسلمين ذلك السبب يرجع الى الحقيقة الدالة على ان - المسلمين اخذوا شيئا فشيئا يتركون اتباع روح التعاليم الاسلامية ، لقد ظل الاسلام بعد ذلك موجودا ولكنه كان جسدا بلا روح ثم ان العنصر الذي خلق قوة العالم الاسلامي من قبل هو المسئول الآن عن ضعف المسلمين فان المجتمع الاسلامي بني منذ أوله على أسس دينية وضعف هذا الاساس قاد بالضرورة الى ضعف البناء الثقافي فيه وربما كان سببا لاضمحلاله بالكلية .

واذا اعتبرنا الامور على ما هي عليه اليوم فان الاسلام يشبه مركبا يغرق وكل يد تستطيع ان تكون عونا فان الحاجة اليها على ظهر المركب نفسه ولا يمكن ان ينقذ هذا المركب من الغرق الا اذا اصغينا الى القرآن وفهمنا قوله : (**لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**) الاحزاب / ٢١

وفي هذا المعنى أيضا تقول المستشرقة الايطالية الدكتورة لورافيشيا فاغليري الاستاذة بمعهد الدراسات الشرقية بميلانو في بحث لها بعنوان تفسير الاسلام : (انه الكتاب المقدس الذي لم يصبه تحريف ابدا .. ذلك الكتاب الذي لا يبلي بل سيبقى

كما أنزله الله على نبيه البدوي البسيط آخر الانبياء والمرسلين .. انه ذلك النبع النقي الذي سيعود اليه المسلمون فعندما ينهلون مباشرة من هذا الكتاب المقدس لن يفشلوا في العودة الى نشاطهم القديم)

وتقول - ان علينا أن نقدم أعمق اعجابنا الى دين لا يكتفي بنظرية ملائمة لمطامع الطبيعة البشرية وباقامة شريعة تتألف من أسمى القوانين التي يستطيع الانسان الحياة وفقها ولكنه يذهب الى أبعد من ذلك فينادي بفلسفة حياة ، دين يقيم مبادىء الاخلاق الاساسية على أساس نظامي وايجابي .»

حقا وصدقا ما قالته المستشرقة انها احكام الله خالقنا والاعلم بما تكنه خلجات انفسنا وهو الخبير دون سواه بما يصلح لعلاجها : (**هو أعلم بكم إذ انشأكم من الارض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم**) النجم / ٣٢ وسبحانه حين يقول : (**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**) الملك / ١٤

انها أحكام الله التي سدنا بها العالم عندما تمسكنا بها وكنا ملء سمع الزمان وبصره فلما ابتعدنا عنها صرنا حيارى لا ندري اين المساق وسط بحر حالك السواد متلاطم الامواج ؟

انها الاحكام المنقذة لنا دون سواها وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشدنا اليها بقوله : « لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك » رواه ابن ماجه

هذا هو توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والله عز وجل يقول في محكم آياته :(**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**) الانفال / ٢٤

واذا كانت حاجة المسلمين ماسة الى تطبيق احكام دينهم فان العالم بأجمعه أشد اليها حاجة وانا لا نلقي هذا القول جزافا او نرسله على عواهنه وانما هي حقائق ساطعة واضحة لا ترقى اليها شبهة ولا تستطيع كراهية كاره ولاعداوة حاقد ان تحجبها ، وقد وجدت صداها في كتابات كبار المستشرقين والمفكرين في العالم اذ يقول المفكر البريطاني الكبير برنارد شو ، اني اعتقد ان رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم لتم له النجاح في حكمه ولقاد العالم الى الخير وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم كله السلام والسعادة المنشودة .

ويقول أيضًا ان اوربا اليوم ابتدأت تحس بحكمة محمد وبدأت تعشق دينه كما انها ستبرىء العقيدة الاسلامية مما اتهمتها به أراجيف رجال أوربا في العصور الوسطى ، وسيكون دين محمد هو النظام الذي تؤسس عليه دعائم السلام والسعادة ويستند على فلسفته في حل المعضلات وفك المشكلات وحل العقد .

ويقول المؤرخ ويلز ان الديانة الحق التي وجدتها تسير مع المدنية أينما سارت هي الديانة الاسلامية واذا طلب مني احد القراء ان احدد له

الاسلام فاني احدده بالعبارة التالية : الاسلام هو المدنية ، ويقول : ان الاسلام ساد لانه كان خير نظام اجتماعي وسياسي استطاعت الايام تقديمه

ويقول المستشرق جيب ما زال الاسلام يحفظ التوازن بين الاتجاهين المتتاليين المتقابلين في دنيا الغرب ، فهو يوائم بين الاشتراكية القومية وبين شيوعية روسيا فلم يهو بالجانب الاقتصادي من الحياة الى ذلك النطاق الضيق الذي أصبح من مميزات أوربا في الوقت الحالي والذي هو من مميزات روسيا أيضا .

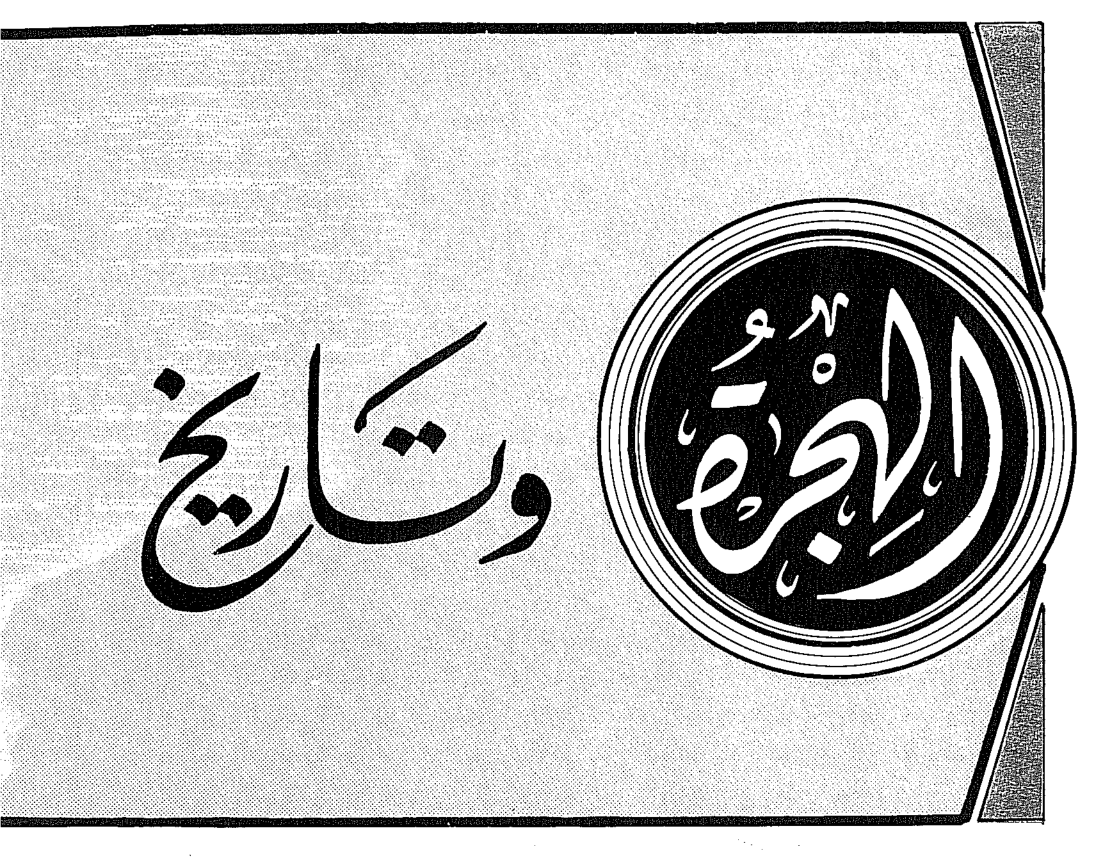
ويقول ماسينيون ان لدى الاسلام من الكفاية ما يجعله يتشدد في تحقيق فكرة المساواة ، وذلك بفرض الزكاة التي يدفعها كل فرد لبيت المال ، وهو يناهض الديون الربوية والضرائب غير المباشرة التي تفرض على الحاجات الاولية الضرورية ، ويقف في نفس الوقت الى جانب الملكية الفردية ورأس المال التجاري وبذا يحل الاسلام مرة اخرى مكانا وسطا بين نظريات الرأسمالية والبورجوازية ونظريات البلشفية الشيوعية .. وللاسلام ماض بديع من تفاوت الشعوب وتفاهمها وليس من مجتمع آخر له مثل ما للاسلام من ماض كلل بالنجاح في جمع كلمته مثل هذه الشعوب الكثيرة المتباينة على بساط المساواة في الحقوق والواجبات .

ويقول ليودوروس لقد وجدت في الاسلام حل المشكلتين اللتين تشغلان العالم ، **الأولى** : قول القرآن : (**إنما المؤمنون إخوة**) فهذا اجمل مبادىء الاشتراكية **والثانية** : فرض الزكاة على كل ذى مال .

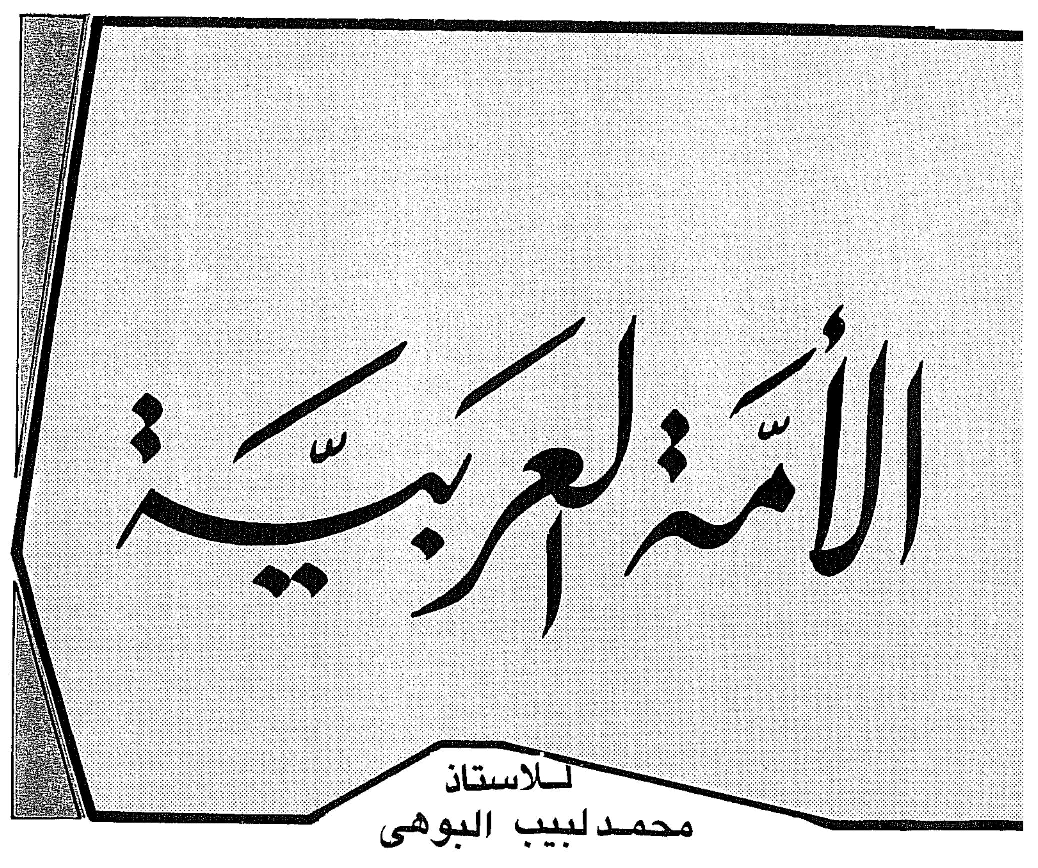
ويقول الدكتور جرمانوس ان مستقبل العالم وخلاصه من خطر الاصطدام الاجتماعي الذي يهدده لن يكون الا في المزاوجة بين الحضارة الاوربية بدرسها وعلمها وبين الروح السامية التي تنطوي عليها عقائد الدين الاسلامي واني آمل ان يكون الاسلام قادرا مرة اخرى على تحقيق هذه المعجزة في سبيل وحدة الجماعة الانسانية .

هذه آراء بعض المفكرين الاجانب الذين ولدوا في بيئة غير اسلامية وارتبطت مفاهيمهم بغير دين الاسلام رفضوا كراهيته ومن ثم فان اقوالهم هذه لم يجهروا بها الا بعد دراسات طويلة وابحاث عميقة .

واني اضع هذه الاقوال أمام أقزام المسلمين الذين هبطوا بأنفسهم ودينهم الى المستوى الذي حجب عنهم حسناته ، فلجأوا الى مدنية الغرب او مادية الشرق الملحدة وكان جديرا بهم ان يتذكروا قول شاعر الاسلام محمد اقبال رحمه الله « ان المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار ويساير الركب البشري حيث سار بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية ، ويفرض على البشرية اتجاهه ويملي عليها ارادته لانه صاحب الرسالة والعلم اليقين » وصدق الله العظيم اذ يقول : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) آل عمران / ١١٠



قـد تكون الهجـرة في الاعتبار الشخصي هي اضطرار انسان ما الى تغيير محل اقامته والانتقال الى موطن اخر بصفة مؤقتة او دائمة تحت ضغط او تأثير ظروف مختلفة اجتماعية او اقتصادية او صحية ..كما ان الهجرة قد تشمل افراد اسرته لذات الظروف او لظروف اخرى كالفرار من ظلم ومحاولة التمـاس الامن في موطن جديد ، كما ان الهجرة قد تأخذ طابعا اكثر شمولا كأن تهاجر قبيلة او طائفة هجرة جماعية بسبب ظواهر بيئية كتأثير الزلازل او البراكين او غير ذلك . والهجرة المكانية التي ذكرناها قد تشمل ايضا انواعا من الطيور كطائر السمان مثلا الذي يهاجر في مواسم مختلفة من اقصى الشمال الى اماكن يتلمس فيها الدفء ، وتشمل الهجرة ايضا بعض ثعابين البحار حين تهاجر في موسم التزاوج السنوي الى مكان بعيد تقطع في سبيل الوصول اليه آلاف الاميال مسترشـدة بغريـزة خاصة ... او هجرة بعض الحيوانات كالفيلة مثلا حين تحس اقتراب منيتها فيهاجر الفـرد منها الى مكـان ما مستـرشدا بـالغريـزة حيث مقبرة الافيال .. وكما ان هذا ما يطلق عليه بالهجرة المكانية فهناك هجرات معنوية



كهجـرة الافكار او المختـرعات او النظريات .

الهجرة في التاريـخ العربي القديم :

عندما نتأمل خريطة العالم نجد ان مايسمى بالمنطقـة العربيـة يشمل البقاع الممتدة من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي ، وقد تعاقبت على هذه المنطقة اطوار مختلفة من التاريخ . ولا ريب ان الانتشار العربي في هذه البقاع المترامية لم يكن الا نتيجة لانتقال الاشخاص والافكـار طوال اجيال ماضية موغلة في القدم عبر هذه المساحات .

بل ان هذه المنطقة العربية برغم ما تجتازه الان من فترات تأخر او ضعف او مرض فانما ذلك شيء طـارىء وعرضى لا بد ان تعقبه صحوة ويقظة لاستئناف المسيرة والنهوض برسالتها في امانة ريادتها للانسانية ، فهذا الضعف الحالي انما هو كسنة الحياة حين يصاب الجسد القوى او بعض اعضائه بمرض عارض ، ما يلبث ان يزول بالعلاج او بالخصائص الذاتية في قوة مقاومة البدن القوى ليمر بطور

نقاهة ثم ينهض قويا منطلقا .

وليس لنا في هذا الصدد الا ان نشير الى ان ما يسمى بالمنطقة العربية لم يكن ذلك الا نتيجة لانتشار الانسان العربي من منطقة اصلية حاملا معه عاداته وتقاليده وافكاره .

دليل من التاريخ :

فالثابت علميا ومن المشاهدات الواقعية ومما يردده كثير من اعدائنا ان هناك عداوة مستمرة من قديم الزمان تأخذ أساليب وأوضاعا شتى عسكريا او اقتصاديا او فكريا ، وهي عداوة منشؤها اسباب كثيرة اهمها الخوف من يقظة الانسان العربي يقظة تستمد من خصائصه المركوزة فيها كل مقومات قيادة الحياة اذا اخذ اصحابها بها ، وحرصوا عليها ، وعملوا على نموها متماسكين كالبنيان ، فالعداء موجَّه بالدرجة الاولى الى تعميق أسباب التمزق لتقطيع عناصر التماسك العربي بين ابناء المنطقة الواحدة ، واقامة الحدود والفواصل للحيلولة دون امكانية التماسك والتواصل .. مما يعتبر هجرة معنوية لخصائص الانسان العربي التي يُخشى يقظتها والتي يبرهن عليها التشابه الكبير منذ القدم في صفات اهل هذه البقاع ، وذلك لانها تستمد هذه الخصائص من جذور ثابتة تنتقل عناصرها مع الانسان العربي حيثما انتقل وتلازمه ، ولذلك فان المتأمل الحكيم يلحظ ذلك في ان اخلاق العربي في الكويت على سبيل المثال تطابق وتشابه اخلاق وطباع وعادات أخيه في العراق او الشام او مصر او الشمال الافريقي الخ .

منابع الهجرة العربية :

ونحن لا نستطيع الا ان نقف كثيرا عندما نتأمل وضع الانسان بصفة عامة على كوكب الارض ، اذ كانت النشأة الاولى من أب واحد وأم واحدة للانسانية جمعاء ، ثم بث منهما الله سبحانه كل بني الانسان :(**وبث منهما رجالا كثيرا ونساء**) النساء / ١

ففي البدء لم يكن غير آدم وحواء ، وحينما هبطا لم يكن على الارض من البشر سواهما ، ثم منهما جاءت الذرية التي اخذت مع توالي الاجيال بأسباب جغرافية ، واقتصادية وتحت تزاحم الخليقة في الحركة والانتقال وراء مصادر اخرى للحياة ، فانفصل بداية الابناء عن الاباء الى المكان الاقرب ثم الى آخر فكانت هجرات بطيئة في اماكن متقاربة ، ثم توالت بعد ذلك ، فالتاريخ البشري كله ينحصر في هجرة الذرية . وتطلعاتها الى اماكن جديدة دائما جيلا بعد جيل حتى صاروا شعوبا وقبائل في ارجاء الارض ، يقول سبحانه :

(**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**) الحجرات / ١٣

والتأمل اليسير يجعلنا نوقن أن

المنطقة العربية كانت اول ينابيع الهجرة كما تؤيد ذلك الادلة الدينية . اذ كان في هذه المنطقة المكان الأول الذي هبط فيهالابوان للاستخلاف في الارض بدليل أن الله سبحانه وضع للناس أول بيت ، وواضح أنه لم يكن هناك من قبل شيء من ذلك : (**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا**) آل عمران / ٩٦

وهنا قد نجد سؤالا يطرح نفسه . ندرك من جوابه ان الجنس البشري كله من أب واحد . وأم واحدة ، ومعنى ذلك ان الهنود ـ وسكان الصين ـ والتبت . والروس والطليان والانجليز والامريكان و.. و.. و.. كلهم اخوة ، جاءوا من نفس الابوين ، ثم كان الانتشار عبر آلاف السنين من التاريخ الى بقاع الأرض .

وهذا يؤيد ان الهجرة هي دائما حركة الحياة وسوف تستمر أسبابها أبد الدهر .. فالاسباني ـ والطلياني والفرنسي هم اخوة لي ، واذا أسلم واحد منهم وحسن اسلامه صار أكثر قربا الى الله من اي عربي دونه في التقوى . وهنا قد ينشأ سؤال جديد لماذا اذن لا نتشابه ـ في كثير من التقاليد والافكار والعادات ـ بيننا وبينهم ؟ والجواب يرجع الى عوامل البيئة والاسباب الاجتماعية والاقتصادية المختلفة على حين وجود مقومات ساعدت الخصائص العربية على التشابه والتماسك .. ومصدر ذلك الحرص على كتاب الله الذي تولى سبحانه حفظه والتمسك بالسنة التي هي الترجمان والتطبيق العملي لآيات الله ، فانه من المشاهد الواقعي ان العربي حتى من كان غافلا أو لاهيا لا تنقطع صلته بصورة ما عن عقيدته .

كيف بدأت الهجرة وكيف كان انتشارها ؟:

يقول الدارسون من أهل العلم أنه في الأزمان الموغلة في القدم كانت الطبيعة تختلف عما هي عليه الآن ، فمن المعروف تاريخيا مثلا أن كثيرا من البراكين والجبال والهضاب كانت قيعانا تغمرها المياه .

وفي تلك الازمان كانت الجزيرةالعربية كما يقرر هؤلاء الدارسون تفيض بالخصوبة ، وتتساقط عليها الأمطار في جميع فصول العام ، وتكتنفها الغابات الكثيرة والأشجار ، وفي ذلك الوقت كانت أوروبا مغطاة بالجليد . ثم جاء العصر الحجري الذي احدث تغييرا جذريا ، فغمر الجفاف المنطقة العربية واخذت القشرة الارضية تتجمد فتحولها الى صحراوات . تبدلت فيها الظروف المناخية ، ومن ذلك الحين بدأت الهجرات بسبب هذه التغييرات على نطاق واسع ..

حديث التاريخ عن بداية الهجرات :

ويحدثنا اهل العلم عن سلسلة من الهجرات من الجزيرة العربية من نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة عام قبل

الميلاد ، اي من زهاء خمسة آلاف وخمسمائة من الأعوام . إذ انطلقت قبائل كثيفة تحت ضغط الظروف المناخية كما تقدم الى الشمال الشرقي ، حيث وادي الفرات ومن هذه الهجرات نشأت الموجة الحضارية التي عرفت باسم حضارة بابل وآشور .. وهناك اعتراض لا بد من بيانه عند هذه النقطة ذلك ان العداء التقليدي المغرض والمستمر للاسلام يأخذ مزاعم شتى فمن ذلك ما يزعمه كثير من المستشرقين من ان الحضارة الاسلامية لم تقدم جديدا للانسانية ، وانها اقتصرت على دور الناقل للحضارات القديمة كاليونانية وغيرها دون اضافة جوهرية ولا يقف بعضهم عند هذا الحد بل يحلو له ان يضيف ان الاسلام يعتبر معوقا وعقبة في سبيل الحضارة مرددين الاشارة الى أن عددا كبيرا من البلاد التي تدين بالاسلام في آسيا وأفريقيا وغيرهما غارقة في التخلف والجمود ذلك ان الاسلام في زعمهم يشد اهله الى الوراء ، ويجعلهم يدورون حول أنفسهم وعلى أعينهم غشاوة من الخرافات ـ وليس هنا مجال مناقشة هذا الباطل ، فالواقع يدحض هذه المفتريات فالتعاليم الاسلامية كانت هي الرائدة في جعل التقدم العلمي فريضة على كل مسلم ، واذا كان ذلك في ميدان التقدم الانساني فان الاسلام عمل على تصفية الرق على حين انه ما زال في الاذهان قيام الحضارة الغربية حتى عهد قريب ، تصيد مئات الالوف من زنوج افريقيا ، وتقلهم تحت السياط للبيع عبيدا في امريكا .

هجرة الافكار قبل وبعد هجرة الافراد والجماعات :

وهناك حقيقة لا يصح ان تغيب عنا ، هي ان للافكار هجرات ربما تسبق في كثير من الأحيان هجرة الأفراد والجماعات ، وقد تكون أسرع منها فرب نظريات أو أفكار في كتاب واسع الانتشار يصبح كل ما فيه بمثابة هجرة مفتوحة وغير مقيدة بقيد ما الى كل الأماكن التي يصل اليها وتفيد منه ، وعلى هذا الأساس فالأفكار الاسلامية هاجرت الى أوروبا وغيرها حتى قبل أن يعرف أصحاب هذه الافكار الطريق الى تلك البقاع .. والبلاد الغربية التي هاجرت اليها الأفكار العربية وانتفعت بها ، أصبحت بالقياس الى هذه الأفكار كالابن العاق الذي ينكر ما كان من اعداد أبويه له .. ومع هذا فان الأمر لا يخلو من بعض المنصفين من ذوي المكانة العلمية ، الذين يقرون بهذه الحقيقة أو بجزء منها .. واذا كان الأوروبيون يطلقون على (ارنولد توينبي) لقب أبي التاريخ فلننظر بعض ما يقوله أبو التاريخ توينبي .

مما قرره ابو التاريخ ارنولد توينبي :

انه يقول في كتابه : « الحضارة في

الميزان » « منذ قرون طويلة وأهل الغرب يرون في الاسلام خطرا مخيفا يتهددهم قبل أن يسمع الناس بالشيوعية ، ففي القرن السادس عشر وهو الزمن القريب منا نسبيا كان الاسلام يبعث في قلوب الغرب من التوجس ما تبعثه الشيوعية في القرن العشرين » وهكذا فان رجل التاريخ وهو من اقطاب الرجال الغربيين يقرر أن عداوة الغرب للاسلام تعدل عداوتهم للشيوعية ، ولما كانت الشيوعية هي نظريات تنتقل بالهجرة الفكرية فهكذا يعملون حساب النظريات الاسلامية .. وإن كان الوضع يختلف تماما فالهجرة الفكرية للنظرية الشيوعية ، هي هجرة افكار مخربة مدمرة ومن أجل ذلك يعمل أصحابها على تسربها بأساليب سرية ، والأمر بالنسبة للاسلام هو عكس ذلك تماما .

وعلى حين يقف رجل مثل ارنولد توينبي هذا الموقف باعتراف واضح ، فانه يوجد في الجانب الآخر آراء بالغة الافتراء يرمينا بها آخرون كالمستشرق الأحمق المضلل (جيروثام) حيث يقول إن الاسلام غير قادر على أن يمد بنيه بالابداع ، ورجاله ودعاته سطحيون لا يستطيعون النفاذ الى اعماق الحياة ..

ولنترك هذه الادعاءات ولنعد الى جذور حضارتنا وكيف بزغ نجمها من المنطقة العربية بالهجرة الذاتية والفكرية ، فقد ذكرنا انه منذ قرابة خمسة آلاف وخمسمائة عام مضت تتابعت الهجرات من قلب الجزيرة الى سوريا وسواحل البحر الابيض حيث نشأت الحضارات العمورية .. والكنعانية . والفينيقية .

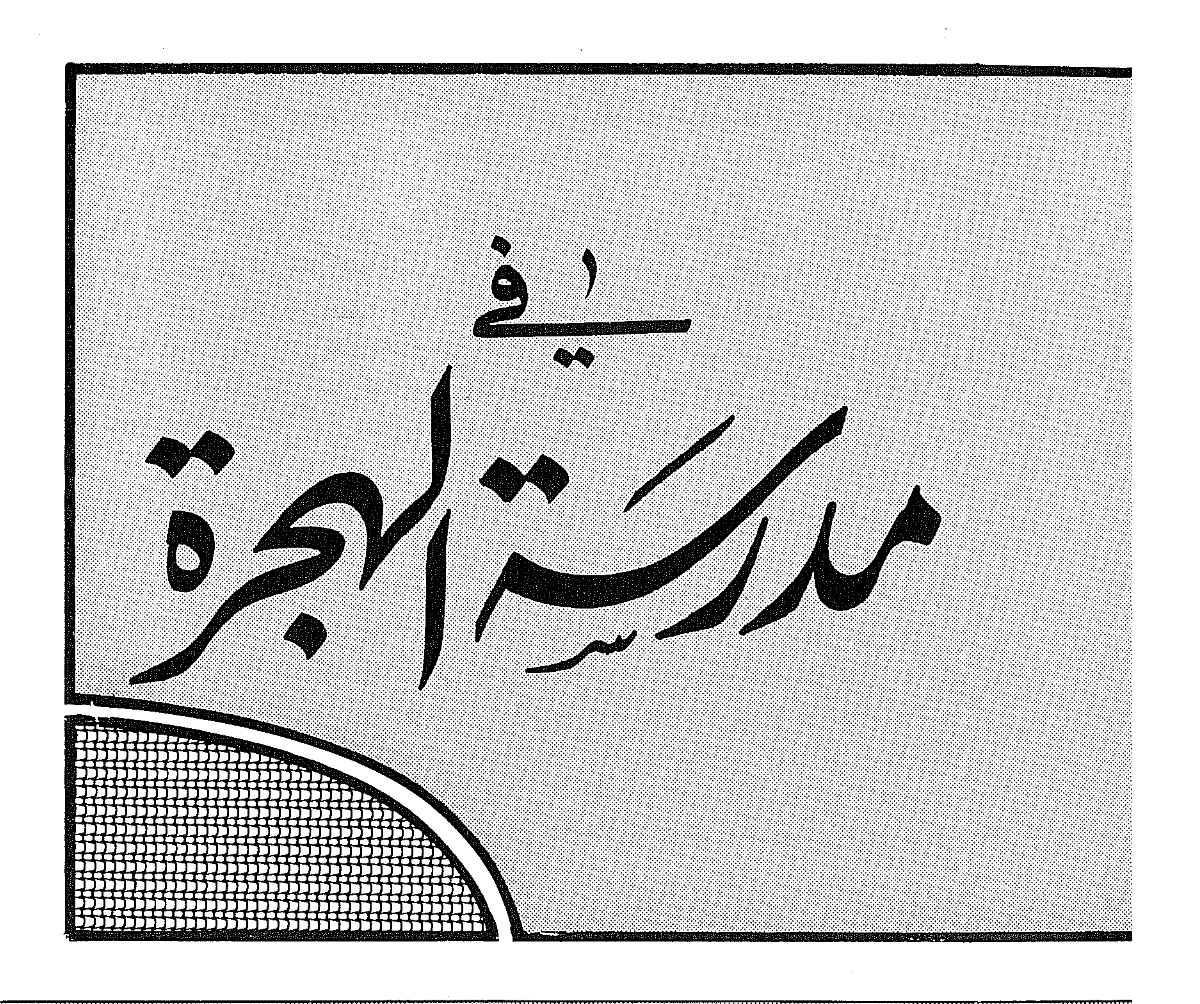
الهجرة العربية الى شمال افريقيا ومشرقها :

وقد ثبت من المراجع التاريخية والآثار ما يشير الى هجرة القبائل من المنطقة العربية في دفعات متتالية منذ التاريخ المذكور وتمت الهجرات عبر باب المندب والصومال واثيوبيا ومصر . وقد تبين ذلك من أمور كثيرة منها مثلا إطلاق كلمة عرب كإسم شامل على جميع الذين استوطنوا أكثر هذه الجهات ، وذلك على الرغم من التسميات المحلية .. ومن ذلك ما نلحظه من ان المنطقة الممتدة من الخليج حتى المحيط الاطلسي يتكلم اهلها لغة واحدة وقد انشأوا حضارة متشابهة ، ولهم تاريخ واحد ، وانصهرت فيه امجادهم وعلومهم وفنونهم وعاداتهم ـ وقد تكون هناك ظروف عاقت في بعض الاوقات انطلاق نموها ، أو جمدت ذلك الانطلاق ، أو عادت به الى الوراء .

ولكن بالرغم من ذلك فان الأصالة المركوزة في طبيعتهم ، ما تزال تحتوي خصائص مقومات اليقظة المرجوة وتمدهم بالقوى اللازمة لاستئناف المسيرة وتعويض ما فات ، بل والسبق الى المقدمة كخير أمة اخرجت للناس .

منهج الأخوة

جاء في سيرة ابن هشام : قال ابن اسحاق « وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه من المهاجرين والأنصار ـ فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل ـ : تآخوا في الله أخوين ، ثم اخذ بيد علي بن أبي طالب فقال : هذا أخي ـ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخوين ، وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم .. وزيد بن حارثة .. أخوين ، واليه أوصى حمزة يوم أحد حين حضره القتال ، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين الطيار في الجنة ومعاذ بن جبل أخوين .. وكان أبو بكر وخارجة



للأستاذ / عبد الحفيظ فرغلي على القرني

بن زيد أخوين ، وكان بلال وأبو رويحة الخثعمي أخوين .. فلما دون عمر بن الخطاب الدواوين بالشام ، وكان بلال قد خرج الى الشام فأقام بها مجاهدا ، فقال عمر لبلال : الى من تجعل ديوانك يا بلال ؟ قال : مع أبي رويحة لا أفارقه أبدا للأخوة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد بينه وبيني ، فضم اليه وضم ديوان الحبشة الى خثعم لمكان بلال منهم » .

كانت الأخوة التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم بين اصحابه خطوة موفقة مترتبة على الهجرة ، بل هي ثمرة جنية من ثمارها ، فقد وثقت العلاقة بين المسلمين وربطت بينهم برباط متين من الحب والتضامن ، وزكى القرآن الكريم هذه الرابطة

واثنى عليها بما هو جدير بها لتظل مثلا أعلى ينظم حياة المسلمين في المستقبل ، ويحفزهم الى ما يجب عليهم نحو أنفسهم ودينهم ومجتمعهم من تضامن وتعاون .

ولقد ضرب الأنصار أروع المثل في استقبال اخوانهم المهاجرين ، فآثروهم على أنفسهم وأهليهم ، وبادلوهم الحب والوفاء وساروا معا في اخلاص وثيق العرى ، يشيدون بنيان دولة الاسلام الخالدة تحت لواء رسولهم القائد الأمين صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : **(والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)** الحشر / ٩ .

جاء في مناسبة هذه الآية ما رواه القرطبي في تفسيره قائلا : وكان المهاجرون في دور الأنصار فلما غنم عليه الصلاة والسلام أموال بني النضير دعا الأنصار وشكرهم فيما صدقوا مع المهاجرين في انزالهم اياهم في منازلهم واشراكهم في أموالهم ، ثم قال : ان أحببتم قسمت ما أفاء الله على من بني النضير بينكم وبينهم ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم ، وان أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم . فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ : بل نقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا ، ونادت الأنصار : رضينا وسلمنا يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار ، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين ولم يعط الأنصار شيئا الا ثلاثة نفر .

وليس ثناء الله على صنيع الأنصار هذا شيئا هينا ، بل هو أمر له خطره ، هو قدوة يقتدي بها ، وقرآن يتلى ويتعبد بتلاوته ، وأثر خالد يذكرهم بالخير الى أن يطوي الله الأرض وما عليها ، وتعليم للمسلمين الى أبد الدهر ، كيف يكونون عند حسن ظن دينهم ، يرفعون من شأنه ، ويجاهدون في سبيله ، ويضحون بالغالي والنفيس من أجل اقامة مثله ؟

من مناهج مدرسة الهجرة :

الهجرة مدرسة لها مناهجها المتعددة ، ولقد خرجت هذه المدرسة ابطالا وربت رجالا دأبوا على التضحية والفداء ، وباعوا أنفسهم وأهليهم وأموالهم وأوطانهم لله ، وتحملوا المشقة والاغتراب يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وفي مقدمة هذه المناهج ما تعلمه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخوة صادقة مخلصة ما تزال آثارها تروى ويتعلم منها المسلمون عبر العصور والأجيال الدروس

والعظات .

ولنقرأ في دروس الايثار التي تلقنها الصحابة في مدرسة الهجرة من الأمثلة الطيبة ما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رجلا بات به ضيف فلم يكن عنده الا قوته وقوت صبيانه فقال لامرأته : نومي الصبية وأطفئي السراج وقربي للضيف ما عندك ، فنزلت هذه الآية : ويؤثرون على انفسهم ..

وفي تفسير القرطبي .. ذكر ابن المبارك قال : أخبرنا محمد بن مطرف قال : حدثنا أبو حازم عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع عن مالك الدار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اخذ اربعمائة دينار ، فجعلها في صرة ، ثم قال للغلام : اذهب بها الى أبي عبيدة بن الجراح ، ثم تلكأ ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع .

فذهب الغلام اليه فقال : يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك ، فقال : وصله الله ورحمه ، ثم قال : تعالي يا جارية ، اذهبي بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى أنفذها . فرجع الغلام الى عمر فأخبره فوجده قد أعد مثلها الى معاذ بن جبل ، وقال : اذهب بها الى معاذ بن جبل وتلكأ في البيت ساعة حتى تنظر ماذا يصنع . فذهب اليه فقال : يقول لك امير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك . فقال : رحمه الله ووصله ، وقال : يا جارية : اذهبي الى بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا . فأطلت امرأة معاذ فقالت : ونحن والله مساكين فأعطنا ، ولم يبق في الخرقة الا ديناران قد جاء بهما اليها . فرجع الغلام الى عمر فأخبره ، فسر بذلك ، وقال : انهم اخوة بعضهم من بعض .

ومن أمثلة الايثار ما ذكره القشيري قال : قال ابن عمر : أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة ، فقال : ان أخي فلانا وعياله أحوج الى هذا منا فبعثه اليهم ، فلم يزل يبعث به واحدا الى اخر حتى تداولها سبعة بيوت حتى رجعت الى اولئك . ذكره الثعلبي عن انس .

لقد قامت هذه الأخوة التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه على الايثار ، ولا يكون الايثار الا نتيجة محبة خالصة مخلصة بين هؤلاء القوم الذين تخرجوا في مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان هو مثلهم الأعلى ، يقوم نحوهم بخالص الوفاء ، ويؤثرهم على نفسه ويدافع عنهم ويرد غيبتهم ويذكرهم بكل خير ويبادلهم حبا بحب واخلاصا باخلاص . فهو يقول عن الانصار مثلا فيما رواه مسلم في صحيحه عن انس : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الأنصار كرشي وعيبتي وان الناس سيكثرون ويقلون فاقبلوا من محسنهم واعفوا عن مسيئهم » وما من أحد من أصحابه الا وقد أطراه وأثنى عليه وجعل له مزية تذكر له أبد الدهر .

وهذه هي أخلاق القيادة المثالية التي تذكر الفضل لأصحابه ، ولا تنساه حين تصل الى مبتغاها ، فانا لنقرأ في سير الأفذاذ أنهم يحيطون انفسهم بالمناصرين لهم في مبادئهم حتى اذا نجحوا في تحقيق أهدافهم نسوا أصحابهم أو بطشوا بهم أو تنكروا لهم خوفا من المنافسة أو استجابة لهاجس ريبة أو تأمينا للمستقبل ، ولكن المثل الأعلى في قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم يعصمه من التردي في هذا الخطأ الذي يقع فيه قادة الدنيا ، ويدفعه الى أن يقي أصحابه بنفسه ويحرص عليهم حرصا شديدا لأن لكل منهم ميزة من المزايا العظام ، التي تعلي بنيان هذه الأمة ، وترفع شأن الأخلاق التي جاء ليتممها .

ولقد حرص أصحابه على أن يفتدوه بأنفسهم ويصونوه بأرواحهم ، وتحدثنا السيرة الطاهرة بأمثلة طيبة من ذلك ، تحدثنا مثلا بأن أبا طلحة ترس على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطلع ليرى القوم فيقول له أبو طلحة : لا تشرف يا رسول الله لا يصيبونك ، نحرى دون نحرك ، ووقى بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت .

ولم يقف الأمر عند حد الرجال ، بل ان النساء أيضا تسابقن في افتداء الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى ان نسيبة بنت كعب أصيبت دون رسول الله بأحد عشر جرحا غائرا حتى أغمي عليها من كثرة النزف ، ولم يكن همها حين أفاقت من غشيتها الا السؤال عن رسول الله ولم تسأل عن زوجها أو ولديها .

والايثار الذي بنيت عليه الأخوة الصادقة بين أصحاب رسول الله لم يكن في أيام الدعة والرخاء فحسب ، فان ذلك أمر قد يحدث بين عامة الناس ، ولكنه ايثار الحاجة القصوى التي قد تتوقف عليها الحياة ، هو الجود بالنفس وهو أقصى غاية الجود ، فيما يرويه القرطبي في تفسيره : قال حذيفة العدوي : انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ، ومعي شيء من الماء وأنا أقول : ان كان به رمق سقيته فاذا أنا به ، فقلت له : أسقيك فأشار برأسه ان نعم ، فاذا أنا برجل يقول آه آه ، فأشار الى ابن عمي أن انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص ، فقلت أسقيك ؟ فأشار أن نعم ، فسمع آخر يقول آه آه ، فأشار هشام أن انطلق اليه فجئته فاذا هو قد مات ، فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات ، فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات .

من آداب الأخوة :

ولأن الأخوة عليها مدار كبير في بنيان المجتمع اهتم بها النبي صلى الله عليه وسلم في أول أمره وهو يبني مجتمع الأمة الاسلامية ، ودعا الى حسن العلاقة بين المسلمين فلا ينبغي أن يكون بينهم تقاطع او تدابر . روى مسلم في صحيحه عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا . » وروى عن أبي أيوب الأنصاري : أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال : « لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال . يلتقيان ، فيعرض هذا ، ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » متفق عليه .

ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى التآخي بين اثنين اثنين ، بل وسع دائرة الأخوة لتشمل المسلمين جميعا ، وعمل على أن ينمي الشعور بالألفة والمودة بينهم عن طريق الايمان الذي ينبغي أن يكون هو أساس العلاقة بين المسلمين لا علاقة الدم أو النسب ، فقد قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه أبو هريرة : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، واشار الى صدره ، بحسب امرىء من الشر ان يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » رواه مالك ، والبخاري ، ومسلم واللفظ له من حديث أوله : « اياكم والظن » وسادت هذه الأخوة حتى أصبحت في معرض النعم التي يمن الله بها على المؤمنين ويذكرهم بالمحافظة عليها ويحذرهم من كفرانها فيقول لهم : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا**) آل عمران / ١٠٣

وبذلك أصبح المسلمون جميعا أعضاء في أسرة واحدة رباطها الاسلام وقوامها الايمان وشعارها الحب والوئام ، وأكد النبي صلى الله عليه وسلم هذه الرابطة الى درجة أنه حذر من وجود تناحر أو شحناء بين أفراد هذه الأسرة الكبيرة روى سهل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا الا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا » رواه مسلم ولقد كان التوارث بين المسلمين يقوم على أساس هذه العلاقة الايمانية ، كان الأخوان في الله يتوارثان حتى نزل قوله تعالى : (**وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله**) الأنفال / ٧٥ فعاد التوارث كما كان .

الألفة ترفع الكلفة :

ولأن الشعار هو الحب ارتفعت الكلفة بينهم وذابت الخلافات وظللهم التسامح ، فقديما قالوا : الألفة ترفع الكلفة ، وجاء في الأثر الشعري :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

وليس هناك أروع من التصافي بين الأخوان والتواضع لهم والتغافل عن هفواتهم والتماس الأعذار لهم ، وقد اعتبر الله المتحابين في الله من المقربين الى حضرته المستظلين بظله يوم لا ظل الا ظله ، وورد في صحيح مسلم : « ان الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي . اليوم أظلهم في ظلي ، يوم لا ظل الا ظلي » .

وأخرج أحمد والحاكم وغيرهما مرفوعا : « قال الله تبارك وتعالى حقت محبتي

للمتحابين في ، وحقت محبتي للمتواصلين في ، وحقت محبتي للمتباذلين في . المتحابون في على منابر من نور يغبطهم النبيون والصديقون والشهداء . »

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى الاستكثار من الاخوان فالمرء قليل بنفسه كثير باخوانه ، ولكل مؤمن شفاعة كما ورد في الآثار ، وقد اخذ الشيخ حسن رضوان هذا المعنى فنظمه شعرا في كتابه القيم المسمى « روض القلوب المستطاب » فقال :

ومن على صدق اشتياقه نظر ... الى أخيه نظرة فاق البشر
وكان مثل من بصدقه اعتكف ... عاما بمسجد النبي ذي الشرف
وكثرة الأخوان شرعا تطلب ... لما لها من كل خير يرغب
فكل مؤمن له شفاعه ... مقبولة في أمر هول الساعه

ولأن المودة ترفع الكلفة نزل قوله تعالى في نفي الحرج :(**ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم**) الى قوله تعالى : (**أو صديقكم**) النور / ٦١ .

والصديق من يصدقك مودته وتصدقه ، ويخلص لك وتخلص له . جاء في تفسير الكشاف للزمخشري : « يحكى عن الحسن أنه دخل داره واذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص وأطايب الأطعمة وهم يكبون عليها يأكلون ، فتهللت أسارير وجهه سرورا وضحك وقال : هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم ، يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين رضي الله عنهم . وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ منه ما شاء ، فاذا حضر مولاها وأخبرته أعتقها سرورا بذلك .

وعن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما : من عظم حرمة الصديق أن جعل الله من الأنس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والأب والأخ والابن ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : الصديق أكبر من الوالدين ؛ ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالاباء والأمهات فقالوا : مالنا من شافعين ولا صديق حميم .

عناية الأسلام بالأخوة :

لقد امتدح الاسلام الاخوة وأثنى على المخلصين فيها ، ووضع لها آدابها حتى تفنن المتفننون من الحكماء في ذلك ، وغصت بذلك كتب الأدباء والمؤلفين حتى أفردت لها أبوابا واستصفت فيها فرائد التعبير وغرائب القصص وطرائف الأشعار وروائع الحكم والأمثال ، وما ذلك الا لبيان فضل هذه الحلة التي يقوم عليها بناء المجتمع الشامخ الراسخ الأصول .

وما عرف انسان فضل الأخوة الا لكرم أصله وثاقب فكره وحسن مروءته ، وما

ضيع انسان أخاه الا اذا كان ساقط الهمة قليل المروءة . جاء في كتاب كليلة ودمنة : أعجز الناس من فرط في طلب الاخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم .

وجاء في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة « حدثني الرياشي عن الأصمعي ، قال حدثنا سليمان بن المغيرة قال : قال يونس : اثنان ما في الأرض أقل منهما ولا يزدادان الا قلة ، درهم يوضع في حق وأخ يسكن اليه في الله .

أما الصديق الذي يصحب فأصدق وصف فيه ما يرويه سفيان بن عيينة عن علقمة بن لبيب العطاردي يوصى ابنه :

« يا بني اذا نزعتك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إن صحبته زانك ، وان خدمته صانك ، وان أصابتك خصاصة عانك ، وان قلت صدق قولك ، وان صلت شد صولك ، وان مددت يدك بفضل مدها ، وان رأى منك حسنة عدها ، وان سألته اعطاك وان سكت عنه ابتداك ، وان نزلت بك احدى الملمات آساك ، من لا يأتيك منه البوائق ، ولا تختلف عليك منه الطرائق ، ولا يخذلك عند الحقائق ، وان حاول حويلا آمرك ، وان تنازعتما منفسا آثرك .. ـ الحويل : المحاولة ـ والمنفس : النفيس . عيون الاخبار ـ

ومن أقاصيصهم الطريفة التي تدل على فرط المروءة والتفاني في خدمة الأصدقاء والرفقاء والاخوان ما يرويه أبو نصر السراج الطوسي في كتابه « اللمع » :

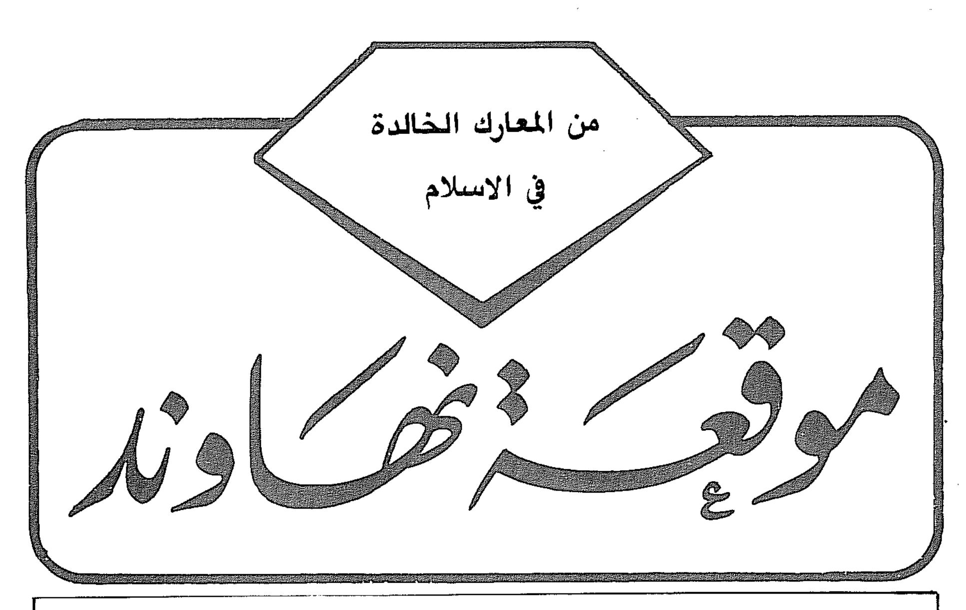
قال ابو علي الرباطي رحمه الله تعالى : صحبت عبد الله المروزي رحمه الله فقال : أيما أحب اليك تكون أنت الأمير أو أنا ؟ فقلت : لا بل أنت الأمير ، فقال : وعليك الطاعة ، فقلت نعم . فأخذ مخلاة ووضع فيها الزاد وجعلها على ظهره ، فاذا قلت له : أعطني حتى أحمله ، يقول ألست أنا الأمير ، فعليك بالطاعة .

قال : فأخذنا المطر ليلة فوقف على رأسي الى الصباح وعليه كساء وأنا جالس يمنع عني المطر ، فكنت أقول لنفسي : ليتني مت ولم أقل له أنت الأمير . ثم قال لي : اذا صحبك انسان فاصحبه كما رأيتني صحبتك .

وحدث السهروردي في كتابه عوارف المعارف قائلا : قصد صديق صديقه يستعين به في دين حان اجله ، فأعطاه ما طلب ، ثم دخل على زوجته يبكي ، فقالت له : ما يبكيك وكان بوسعك أن تعتذر اليه ؟ فقال لها : ما على المال أبكي ، ولكني أبكي على ما ضيعت من حق صحبته حتى اضطررته الى أن يسألني .

هذه الأخوة وتلك شروطها وآدابها كما وضع النبي صلى الله عليه وسلم أساسها ومنهجها في مدرسة الهجرة الحافلة بالمناهج والدروس .

فهل نحن الآن آخذون الأهبة لاستعادة هذه المناهج ودراستها حق دراستها ، لنعود الى الدرب ونلحق بالركب ونصبح جديرين بهذه الرسالة السامية التي ائتمنا عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام من بعده ؟ اللهم وفقنا للصواب واهدنا الى سواء السبيل .



للاستاذ / محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

بسم الله الرحمن الرحيم
(فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما) .
صدق الله العظيم . النساء ٧٤ .

لقد وقف المسلمون بحركة الفتح في العراق شرقاً عند « حلوان » كما رسم عمر بن الخطاب ، كيلا يتورط المسلمون فيما لا يعرفونه من مسالك بلاد الفرس قبل أن تتوطد أقدامهم فيما انتزعوه من الفرس من أقاليم ، واتجهوا الى شمال العراق الذي كان يقع معظمه في قبضة الروم ، ليستولوا على ما بتلك النواحي من القرى والمدن حتى يأمنوا غارات الروم منها ، وزادهم رغبة في ذلك ما وصل الى علمهم من أن ملك الموصل قد جمع قوات من العرب والفرس والروم ، وأنه قد عسكر بهم في تكريت .

وحاصرهم المسلمون أربعين يوما ، عمل بعدها ابن المعتم القائد الاسلامي الذي سيره سعد بن أبي وقاص لملاقاة الأعداء على اجتذاب العرب من صفوف الأعداء ، مستعينا على ذلك بوحدة اللغة والجنس فأجابوه ، وطلب منهم أن يكبروا اذا ما سمعوا تكبير المسلمين ، وعندما حدث ذلك أثناء الهجوم ظن المحاصرون أن المسلمين قد فاجأوهم من الخلف ، فاستبقوا الى أبواب الحصن يريدون الخروج ، فأخذتهم سيوف المسلمين ، وسقط الحصن في أيدي القوات الاسلامية .

ثم سار ابن المعتم مع حلفائه الجدد الى نينوى وفتحها ، ودانت للمسلمين جميع الأقاليم الواقعة بين دجلة والفرات ، من المدائن الى الموصل .

وفكر الفرس في الخروج من الأهواز للاغارة على ما بأيدي المسلمين بقيادة الهرمزان ، وعرف المسلمون ما

ينتويه الفرس ، فكتب أمير البصرة يستأذن الخليفة في قتالهم فأذن له ، وأمر سعد بن أبي وقاص بأن يمده بالرجال والسلاح فأمده ، واشترك جيشا البصرة والكوفة في قتال الهرمزان حتى تم لهم النصر ، وطلب الهرمزان الصلح فأجيب الى ما طلب ، واحتفظ المسلمون بما استولوا عليه من أراضي .

بيد أنه بعد فترة من الزمن جاءت الأنباء بأن كسرى يزدجرد قد حرض الهرمزان وغيره من الأمراء على الثورة ضد المسلمين ، فكتب عمر الى سعد يطلب منه أن يعاون جنود البصرة في القضاء على هذه الحركة التمردية ، ووصلت قوات المسلمين الى رامهرمز حيث اصطدمت بالهرمزان وهزمته وانتزعت المدينة من يده ، فانسحب منها الى تستر ، فحاصرها المسلمون حوالي تسعة أشهر حتى خارت روح المقاومة فيها ، فدخلها المسلمون ونزل الهرمزان على حكم الخليفة عمر ، فأرسل اليه بالمدينة ليرى رأيه فيه ، وهناك أقام كفرد من عامة المسلمين بعد أن أسلم وحسن اسلامه ، وصار لا يفارق الخليفة مطلقا ، ولا يضن عليه بالرأي أو بالمشورة .

واستمر المسلمون في تقدمهم من تستر الى سوس ومنها الى جنديسابور ، وانفتح الطريق أمامهم الى أصفهان ، غير أنه قد طرأ من الحوادث ما وجه الفتوحات الاسلامية الى خراسان حيث يقيم كسرى الفرس ، فقد جاءت الأنباء بأن أمراء الفرس قد تكاتبوا وأرسل بعضهم الى بعض الرسل على أن يكونوا جبهة متحدة لدفع هؤلاء المسلمين الذين يغزونهم اليوم في عقر دارهم ، ويمدون سلطانهم على ولايات كثيرة من أرضهم ، ثم لا يفتأون يتقدمون فيها ، وكأنه ليس لأحد على وجه الأرض من القوة والقدرة ما يستطيع بهما أن يقف أمامهم أو يتحدى قوتهم .

وازاء هذه الأنباء رأى عمر بن الخطاب أن الوقوف بالفتح في حدود العراق لم يعد مستطاعا ، وأن الحوادث تحمله مختارا أو مكرها مرغما على أن يعدل في سياسته التي اتخذها ازاء هذا التوسع في فتوح بلاد الفرس ، وتدفعه دفعا الى التوسع حتى لا يجد يزدجرد مكانا له على أرض الفرس .

تجميع القوات الفارسية :

اتفق أمراء الولايات الفارسية على أن يكتبوا الي يزدجرد ليكون على رأس حركتهم ، فالجميع يدين له بالطاعة ، وبذلك يلتف الناس حول حركتهم .

وكان يزدجرد قد اضطرب في أرجاء مملكته بين مختلف الولايات منذ فر من المدائن ، فلما وصلته رسائل الأمراء ورأى ما أزعجه من زحف المسلمين أعجبه ما لاحظه من شدة حماس الأمراء ، وتصميمهم على دفع عدوهم وعدوه ، وعاودته نفحة من شبابه قلبت يأسه أملا ، وبدلت اضطرابه طمأنينة ، فكتب الى أهل ايران يستحثهم ويقلل من أهمية وخطر غزو العرب لهم .

وفعلت كتب كسرى فعل السحر في النفوس ، فبعث كل أمير من جنده ما استطاع ارساله الى نهاوند ، حتى وصل عدد الجنود مائة وخمسين ألفا تحت قيادة الفيرزان ، وفي نهاوند عقد كسرى مجلسا عسكريا ضم أمراء الجنود القادمين من شتى الأرجاء ، وقال لهم : « ان محمدا الذي جاء العرب بهذا الدين لم يتعرض لبلادنا ، وقام أبو بكر من بعده فلم يتعرض لنا في ملكنا ، ولم يثر بنا الا فيما يلي بلاد العرب من السواد ، وهذا عمر بن الخطاب لما طال ملكه انتهك حرمتنا وأخذ بلادنا ، ولم يكفه ذلك حتى أغزانا في عقر دارنا ، فأخذ بيت المملكة ، وانتقصكم السواد والأهواز ، وهو آتيكم ان لم تأتوه ، وليس بمنته حتى تخرجوا من بلادكم » .

ونقل الأمراء مضمون حديث كسرى الى الجند ، فازدادت حماستهم وقويت معنوياتهم ، وظلوا ينتظرون اليوم الذي يواجهون فيه المسلمين على أحر من الجمر ، وهم متشوقون للقتال ، متعاهدون على أن يحرزوا النصر بأرواحهم ، ويستردوا ما فقدوه من ولايات ضاعت منهم على أيدي المسلمين .

عمر يستعد للقاء الفرس :

لم يبق لدى عمر أدنى شك في أنه اذا لم يوجه الى الفرس الضربة القاضية القاصمة فانهم لن يفتروا عن مناوأة المسلمين ، فالخصم قوي يملك الكثير من مصادر القوى المادية والبشرية ، وليس ببعيد أن يبتسم لهم الحظ يوما فتتعرض الدولة الاسلامية للخطر .

وأخذت الأنباء ترد الى المدينة متوالية وراء بعضها عن تأهب الفرس واستعدادهم لقتال المسلمين ، أنباء تهز القلوب وتروعها ، فالقوات الفارسية التي تجمعت تحت قيادة الفيرزان قد سارت الى همذان ، وهي الآن تتابع سيرها قاصدة حلوان ، بل هي قد تحركت متخذة طريقها صوب الكوفة ، وبعد قليل ستبلغها .

ولم يخف على عمر ما في هذه الأنباء من مبالغة يصورها الفزع ، **لأن الخوف من الخطر أو من توقعه يدفع النفوس الى كونها تتوهم الأشياء وتجسمها الى أضعاف أضعاف الواقع من حقيقتها** ، وليس من المستبعد أن يكون الفرس قد قصدوا من ظهورهم بهذا التكتل العسكري شن حرب نفسية المقصود منها اضعاف روح المسلمين المعنوية ، مع اثارة حملة من الشكوك المراد منها أن يرتاب أفراد القوات الاسلامية في مدى قدرتهم على مواجهة هذا العدو القوي .

بيد أن الأمر الذي لا شك فيه هو أن الفرس قد جمعوا جموعهم واستعدوا استعدادا كاملا ، وأن عمر ان لم يواجه الفرس ويبادرهم بالشدة فقد يزدادون جرأة تنتهي بهم الى حد تهديد ما استولى عليه المسلمون في خوزستان والعراق ، فالتأهب الى ملاقاة هذا الخطر واجب مقدس .

عمر يستشير الناس فيمن يتولى القيادة :

أراد عمر أن يستشير الناس ـ كعادته ـ في مثل هذه الأمور ، فأمر المنادي أن ينادي : الصلاة جامعة . فأقبل المسلمون من كل مكان ، وعندما التأم عقد الناس بالمسجد صعد المنبر وذكر لهم ما أنهاه اليه عماله عن تهيؤ الفرس ، واجتماعهم وكثرة عددهم ثم قال لهم : « ان هذا اليوم له ما بعده ، ألا واني قد هممت بأمر فاسمعوا وأجيبوا وأوجزوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، أفمن الرأي أن أسير فيمن قبلي ومن قدرت عليه حتى أنزل منزلا وسطا بين هذين المصرين فأستنفرهم ، ثم أكون لهم ردءا حتى يفتح الله عليهم ويقضي ما أحب ؟ » .

وتكلم القوم ، فكان رأي طليحة بن عبيدالله أنه ولى هذا الأمر ، وقد أحكمته التجارب والأمور فأمره نافذ ومطاع ، وكان رأي عثمان بن عفان أن يكتب الى أهل الشام وأهل اليمن ليسيروا ، ثم يسير هو بأهل الحرمين الى الكوفة والبصرة فيلقى جمع المشركين بجمع المسلمين ، فيكون ذلك أعز للمسلمين ، وأن هذا اليوم له ما بعده فليشهده برأيه وأعوانه .

وكان رأي علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ أنه اذا سار أهل الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم ، واذا سار أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة الى ذراريهم ، واذا سار عمر ابن الخطاب من المدينة انتفضت عليه الأرض من أطرافها وأقطارها ، حتى يكون ما يدع وراءه أهم اليه مما بين يديه من العورات والعيالات ، وكان من رأيه أن يقر أهل الأمصار في أمصارهم ، ويكتب الى أهل البصرة ليتفرقوا ثلاث فرق : فرقة في حرمهم وذراريهم ، وفرقة في أهل عهدهم حتى لا ينتقضوا ، وفرقة تسير الى اخوانهم بالكوفة مددا لهم ، وأن الأعاجم اذا نظروا اليه وقد خرج بنفسه قالوا : هذا أمير العرب . فيكون ذلك أشد لتكالبهم عليه ، فمكان أمير المؤمنين من العرب مكان النظام من الخرز يجمعه ويمسكه ، فاذا انحل تفرق ما فيه وذهب ، ثم لن يجتمع أبدا .

واقتنع عمر برأي علي وسر به ، وكان اذا استشار أحدا في أمر من الأمور لا يبرم ذلك الأمر حتى يشاور العباس رضي الله عنه ، فلما اقتنع بكلام علي عرضه على العباس الذي قال له : خفض عليك ، فانما اجتمع هؤلاء الفرس لنقمة تنزل عليهم .

وأعلن عمر أنه مقيم بالمدينة ، ومرسل الجيوش تلو الجيوش امدادا لقتال الفرس ، ثم قال : « أشيروا علي أيها الناس برجل أوله أمر هذه الحرب وليكن عراقيا » ، قالوا : أنت أفضل منا رأيا ، وأحسن مقدرة ، وأبصر بجندك ، وقد وفد عليك أهل العراق وجنده فرأيتهم وخبرتهم . فقال عمر : « أما والله لأولين أمرهم رجلا يكون أول الأسنة اذا لقيها غدا ، النعمان ابن مقرن » ، فقال الناس : هو لها . ولعل السبب في اشتراط عمر أن يكون القائد عراقيا هو أن العراقي أعرف

ببلاده من غيره ، فيكون ذلك أدعى الى نجاح خططه فيها .

ولقد كان النعمان لها حقا ، فقد عرفه المسلمون فارسا شجاعا مقداما لا يعرف التردد ولا الفرار ، غير متسرع لاغتنام فرصة ، كان على ميمنة جيش أبي بكر الصديق الذي خرج يحارب من منعوا الزكاة فهزمهم في موقعة ذي القصة ، وكان في فتوح العراق يحارب جنبا الى جنب مع خالد ابن الوليد ، وكان النصر يسير في ركابه كما كان يسير في ركاب خالد ، وحينما تولى سعد بن أبي وقاص قيادة جيش العراق كان النعمان في طليعة الجنود المقاتلة ، وقد برز في موقعة القادسية ، وفي فتح العراق العربي ، ثم أبلى بلاء حسنا في حروب خوزستان .

تعليمات الخليفة الى القائد الجديد :

كتب عمر الى النعمان يأمره بالمسير الى ماه ، لأنها ستكون مركز التجمع للقوات التي عين قائدا لها ، فاذا اجتمعت القوات سار بها الى الفيرزان ومن معه من الفرس .

وكتب لأهل الكوفة أن يوافوا النعمان وعليهم حذيفة بن اليمان قائدا ، وكتب لأبي موسى الأشعري أن يسير بأهل البصرة ، ثم أرسل الى ماه جموعا من المدينة فيهم عبد الله بن عمر ، وبعث الى النعمان يقول له : « ان حدث بك حدث فعلى الناس حذيفة بن اليمان ، فان حدث بحذيفة حدث فعلى الناس نعيم بن مقرن » ، وعين السائب بن الأقرع ـ وكان كاتبا حاسبا ـ أمينا على الغنائم ، وقال له : « الحق بهذا الجيش فكن فيهم ، فان فتح الله عليهم فاقسم بين المسلمين فيئهم ، وخذ خمس الله ورسوله ، وان أصيب هذا الجيش فاذهب في سواد الأرض فبطن الأرض خير من ظهرها » .

وكتب الى أمراء الجند الذين كانوا بين فارس والأهواز أن : « اشغلوا أهل فارس عن اخوانكم ، وأقيموا على حدود ما بين فارس والأهواز حتى يأتيكم أمري » ، وقد أراد عمر بعمله هذا أن يقطع خط الامداد والتموين عن الجيوش الفارسية .

زحف القوات الاسلامية :

اجتمعت القوات الاسلامية في ماه ، وأرسل عمر بن الخطاب قوة جديدة من أهل الحجاز الى النعمان قادها المغيرة بن شعبة ، وانهالت عليه الامدادات من جميع الأنحاء ، وحرص الذين لم يشهدوا موقعة القادسية ولم يحظوا بشرف الاشتراك فيها على أن يشتركوا في نهاوند التي لن تكون دون القادسية شأنا .

وتحرك الجيش حتى وصل الى حلوان ، فأراد النعمان أن يتعرف أخبار الفرس ليعرف هل بثوا جواسيسهم على الطريق الى نهاوند أم لا ؟ وذلك حتى يحتاط ولا يدخل بجيشه في طريق مجهول قد يعرض المسلمين للخطر ، فأرسل دورية استكشافية مكونة من طليحة

الأسدي ، وعمرو بن معد يكرب ، وعمرو بن أبي سلمى ليستكشفوا له الطريق ، فسار ثلاثتهم يوما كاملا ، وعندما حل الليل رجع عمرو بن أبي سلمى لعدم معرفته بأرض الفرس ، بينما استمر زميلاه في السير الى نهاية الليل ، ورجع عمرو بن معد يكرب لأنه لم ير شيئا خلال مسيره يوما وليلة وخاف من قطع الطريق عليه ، وواصل طليحة الأسدي السير حتى وصل الى نهاوند ، فعرف أخبار الفرس وأسرارهم ثم قفل راجعا ، وعندما رآه المسلمون كبروا لأنهم كانوا يخشون عليه من مفاجآت الطريق وخطره .

ودخل طليحة على النعمان وأخبره أن ليس بينه وبين نهاوند ما يعرقل سير المسلمين الى هناك ، وأن الطريق مأمون ، فأمر النعمان قواته بالتحرك ، وسار بقواته حتى نزل على مقربة من أعدائه ، وهناك كبر المسلمون ثلاث تكبيرات زلزلت الفرس وألقت الرعب في قلوبهم .

المفاوضات :

عرف الفيرزان أخبار المسلمين ، وأنهم جاءوا اليه بجيش يبلغ تعداده ثلاثين ألف جندي ، فلم يستصغر شأنهم أو يستهن بهم ، ولم يخدعه أنه أمامهم في مائة وخمسين ألف جندي متعاهدين على القتال حتى الموت ، متحصنين في حصون قوية منيعة ، فهو قد شهد موقعة القادسية ، ورأى من قوة هؤلاء العرب وشدتهم في القتال ما راعه وأنزل في قلبه الرعب ، واضطر يومها هو والهرمزان الى الفرار عقب هزيمة القوات الفارسية ذات الكثرة في العدد والعتاد والعدة .

وفكر الفيرزان ، ودارت في رأسه عدة أفكار .. هل ستدور الدائرة عليه هذه المرة أيضا ؟ .. هل جنوده لديهم من الروح العالية ما يمكنهم من احراز النصر على هؤلاء المسلمين الذين ما دخلوا معهم في معركة إلا وهزموهم ؟ .. ان موقفهم يوم القادسية كان مثل موقفهم اليوم ، كثرة في العدد ، وقوة في العتاد والعدة ، ومع ذلك لحقت بهم الهزيمة هل يبعث الى المسلمين ويطلب منهم المفاوضة ؟ وهل سيكون مصير هذه المفاوضات الفشل كما حدث في المرات السابقة ؟ وأحس الفيرزان بأن رأسه يكاد ينفجر من كثرة الأفكار التي به ، انه منذ وقت طويل يفكر ولم يهتد الى شيء .. فماذا يفعل ؟

واستقر رأيه على مفاوضة المسلمين ، عساه ينجح هذه المرة ويكسب بالمفاوضة ما يخسره بالحرب ، فأرسل الى المسلمين يطلب منهم المفاوضة ، فبعث اليه النعمان المغيرة بن شعبة ، الذي اجتاز الميادين المحيطة بنهاوند وتخطى أسوارها حتى انتهى الى الفيرزان .

ودار بين الرجلين حديث طويل احتقر فيه الفيرزان العرب واستصغر شأنهم ، ووصفهم بالجوع والشقاء ، ثم اشتد في لهجته مع المغيرة ليدخل الرعب الى قلبه ، ويضعف من روحه المعنوية ، فيفت بذلك في عضد

المسلمين ويرتاعوا ، ولكنه بعمله هذا أخفق السفارة وكان سببا في فشل المفاوضات .

المعركة :

أنشب النعمان القتال عقب فشل المفاوضات ، ودارت الحرب سجالا بين الفريقين يومين كاملين ، كان الفرس خلالهما لا يخرجون من حصونهم الا اذا أرادوا ورأوا في الخروج نصرا لهم ، فهم قد عمدوا الى أسوارهم وأحاطوها بحسك الحديد ، ولم يتركوا سوى منافذ ضيقة يخرجون منها متى أرادوا ، ولم تكن خيول المسلمين تستطيع اجتياز هذا الحسك ، وقد اشتد ذلك على المسلمين وخافوا أن يطول القتال وتسوء عاقبته .

وطال الحصار وامتدت أيامه ، فعقد النعمان مجلسا حربيا حضره كبار قواد الجيش وغيرهم من أعيان العرب ، وسألهم رأيهم في الخطة التي يجب أن يسير عليها بعدما طال أمد الحصار ، وبعد امتناع الفرس عليهم واختفائهم وراء حصونهم ، فعرضت اقتراحات عديدة ، كان من أبرزها وأوجهها رأي طليحة الأسدي الذي دل على ذكاء ممتاز ومهارة حربية وسعة ادراك ، ومؤداه : أن ينشب المسلمون القتال مع الفرس في صباح اليوم التالي ، ثم بعد فترة يتظاهرون بالانكسار والهزيمة ويرتدون الى الخلف منسحبين ، وعندئذ سيعتقد الفرس أنهم قد كسبوا الموقعة بتقهقر المسلمين وانسحابهم ، فيخرجون من حصونهم يتعقبونهم ، وفي هذه الحالة يخرج عليهم فريق من الجيش يكون قد كمن لهم أثناء الليل ويأتيهم من ورائهم ، فيضعهم المسلمون بين نارين ، وينصرف فريق آخر من الجيش يهاجم نهاوند ويحتلها ، ويرفع الراية الاسلامية فوقها .

ونفذ النعمان هذه الخطة على الفور ، فأمر القعقاع بن عمرو أن يذهب في صباح اليوم التالي ويهاجم المدينة بالجنود الذين تحت امرته ، فاذا خرج الفرس من حصونهم أظهر الهزيمة وتراجع أمامهم .

وفي الصباح تقدم القعقاع بجنوده ورمى المدينة بالنبل ، وأظهر للفرس أنه عازم على اقتحام الأسوار ، وأبدى من ضروب البأس والشجاعة ما جعل الفرس يخرجون اليه في حذر المرتاب المتشكك يصدون هجماته ، فقتل المسلمون كل من خرج اليهم ، مما أثار الحماسة في نفوس الفرس فخرجوا إليهم فوجدوهم قلة يمكن التغلب عليهم بلا صعوبة ، فاجتازوا الأسوار والحسك وأخذوا يقاتلونهم ، وهنا ظهرت براعة القعقاع ، فلم يأمر قواته بالتراجع ، بل استمر يقاتل حتى لا تنكشف حيلته ، وعندما أدرك أن الوقت قد حان لتنفيذ عملية الانسحاب فر بجنوده من أمامهم ، فلما شاهدوه يهرب خرجوا في أثره أملا في القضاء عليه وعلى قواته .

وكان النعمان قد أصدر أمره الى جنوده بالتراجع الى ما وراء مرمى النبل من حصون المدينة وأسوارها ،

حتى اختفى معظمها وراء احد المرتفعات .

وتابع الفرس مطاردة القعقاع وهم ينقلون أمامهم بعضا من حسك الحديد خوفا من أن تحاول القوات الفارة مهاجمتهم من جديد ، ولكن القعقاع أمعن في الفرار بجنوده ، مما جعل الفرس يتثبتون من هزيمة المسلمين ، فتركوا حسك الحديد وراءهم وأسرعوا خلف الفارين .

واندفع الجيش الفارسي كله وعلى رأسه الفيرزان وراء المسلمين الذي اعتقد أن الدنيا قد ابتسمت له والحظ قد حالفه .

وقد نتج عن مطاردة القوات الفارسية للقعقاع وجنوده أن خلت مدينة نهاوند من الجنود ، ولم يبق بها سوى حراس أبوابها ، فلما ابتعدوا عن المدينة بمقدار كاف رأوا المسلمين يقفون ، وشاهدوا القعقاع ومن معه كأنما يريدون الثبات لهم فارتاعوا ، بيد أن روعهم لم يلبث أن هدأ وسكن وحسبوها حيلة أراد بها القعقاع أن يحمي ظهر الجيش المنسحب .

وانضم القعقاع بقواته الى القوات الاسلامية ، وأقام مع المسلمين ينتظرون أمر النعمان بالهجوم ، وكان النعمان قد أمر بأن يلزموا أماكنهم ولا يقاتلوا حتى تزول الشمس ، وكان اليوم يوم جمعة .

وأدرك الفرس المسلمين قبل الزوال فرموهم بالنبال حتى أكثروا فيهم الجراح ، فأشار بعض القواد على النعمان أن يصدر أمره للجيش بالقتال فلم يفعل ، فقال له المغيرة : « لو أن الأمر الي علمت ما أصنع » ، فأجابه النعمان في سكون وتؤدة : « رويدا تر أمرك . وقد كنت تلي الأمر فتحسن ، فلا يخذلنا الله ولا اياك ، ونحن نرجو في المكث مثل الذي ترجو في الحث »

لقد انتظر النعمان بالقتال الساعات التي كان يحبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند الزوال وتفيؤ الأفياء ومهب الرياح ، فلما آن للشمس أن تزول ركب فرسه وسار به بين الجنود ، ووقف عند كل راية يشجع الجنود ، ويحرضهم بأحسن ما فيهم ، ويمنيهم ويعدهم النصر ان هم قاتلوا عدوهم بروح عالية ، ثم قال للجنود : « اني مكبر ثلاثا ، فاذا كبرت الثالثة فإني حامل ان شاء الله فاحملوا ، وان قتلت فالأمير بعدي حذيفة ، فان قتل ففلان » ، وعد لهم سبعة آخرهم المغيرة ، ثم قال : « اللهم أعزز دينك وانصر عبادك ، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على اعزاز دينك ونصر عبادك » ، فبكى الجنود ، ورجع والأعين مشدودة اليه ، وهو معلم ببياض القباء والقلنسوة .

وكبر النعمان ثلاثا ، واندفع واللواء في يده منقضا على الفرس ، والمسلمون يشدون حوله ، ورأى الفرس صدق المسلمين في هجومهم فهاجموهم .

ودارت المعركة ، واقتتل الفريقان اقتتالا عظيما ، وكثر عدد القتلى من الفرس نظرا لاستماتة المسلمين في قتالهم حتى تخضبت الأرض بدمائهم

وانهمرت أنهارا ، فكانت الخيول والجنود تنزلق فيها .

وبينما كان النعمان يشق طريقه في قلب العدو زلق فرسه في الدماء فصرعه ، واراد المولى تبارك وتعالى أن يستجيب لدعائه في هذه الساعة فيستشهد في سبيله ، فأصابه سهم في خاصرته ، ورآه أخوه نعيم فسجاه بثوبه وأخذ اللواء من يده ودفعه الى حذيفة .

وأشار المغيرة بن شعبة بكتمان خبر استشهاد النعمان حتى لا تهن الجنود ، وتضعف معنوياتهم ويكون ذلك سببا في اضطراب سير المعركة .

ودخل الليل ، وانتشر الظلام ، والمسلمون يدفعون عدوهم أمامهم ، وأصاب الاعياء الفرس فتراجعوا منهزمين ، فاذا بحسك الحديد يمنعهم من الارتداد الى الخلف ، فأمعن فيهم المسلمون القتل ، وأراد البعض ان ينجو ، فانحرفوا عن موضع الحسك ، فاذا بالظلام يحجب عن عيونهم خندقا عميقا ، فهووا فيه بخيولهم .

وهكذا قضت القوات الاسلامية على ذلك الجيش الذي اجتمع من جميع أنحاء فارس ظانا أن بمقدوره الحاق الهزيمة بالمسلمين ، فاذا بالمسلمين يذيقونه الموت فلا يفلت منه الا الشريد .

وكان الفيرزان قد فر مع الفارين يطلب النجاة لنفسه ، فاندفع وحيدا يركض بجواده نحو همذان يرجو الاحتماء بها ، فرآه نعيم بن مقرن ، فدفع القعقاع في اثره وقد أدركه عند ثنية همذان وقتله .

ودخل الفارون همذان والمسلمون من ورائهم يطاردونهم حتى حصروهم فيها ، وأقسموا ألا يبرحوها حتى تفتح أبوابها ، وأدرك أميرها دقة موقفه ، وخاف أن يتخذ موقفا متشددا فيحل به مثل ما حل بالفيرزان وجنوده ، فأرسل الى المسلمين يستأمنهم ويصالحهم عليها ، فصالحه القعقاع .

وعاد القعقاع بمن معه ، فوجدوا حذيفة قد دخل نهاوند بجيشه عقب المعركة واستولى عليها وعلى ما فيها من الغنائم والأسلاب ، ودفعها الى السائب بن الأقرع الأمين على الغنائم .

وجاء الى المسلمين الهربذ صاحب بيت النار مستأمنا لنفسه ولمن شاء على أن يدلهم على جواهر كان كسرى قد أودعها عنده لنوائب الزمان ؛ فأعطاه حذيفة الأمان ، فأخرج له من تلك الجواهر سفطين ـ أي : جولقين ـ ، فأجمع المسلمون على أن يجعلوها لعمر ، ثم قسمت الغنائم على الجنود ، وخرج السائب بالباقي قاصدا المدينة .

عمر يتنسم الأخبار

كان عمر بالمدينة يتسقط أخبار الجيش وهو أشد ما يكون اشفاقا عليه ، فقد تأخر رسوله اليه بالبشرى ، وهو لم يذق للنوم طعما خوفا من أن يصله عن قواته ما لا يحب ولا يرضى ، فكان يقضي ليله داعيا لهم ثم يخرج يتنسم الأخبار

ويسأل القادمين الى المدينة .

وكان حذيفة قد بعث طريف بن سهم ليسرع بالخبر الى الخليفة ، وعندما بلغها سأله عمر عما وراءه من الأخبار ، فذكر له انتصار المسلمين وكتم عنه ما لا يسره ، فسر عمر بما سمع وهرع الى المسجد يصلي شكرا للمولى تبارك وتعالى ، ثم خرج في جماعة من أصحابه وكله شوق وأمل في أن يقف على جلية الأمر ، وأمعنوا في الطريق المؤدي الى بلاد فارس ، فشاهدوا على البعد راكبا مقبلا جهة المدينة توسم فيه عثمان بن عفان أنه السائب ، وقد صدق في توسمه ، فلقد كان الراكب فعلا هو السائب بن الأقرع ، فلما اقترب منهم نزل من فوق راحلته وسلم عليهم ، فقال له عمر : « ما وراءك ؟ » قال : « البشرى والفتح » وسأله عمر : « فما فعل النعمان ؟ » قال : « زلت فرسه في دماء القوم فصرع واستشهد » ، فقال عمر وقد هزه النبأ : « **انا لله وانا اليه راجعون** » ، ولم يتمالك نفسه فبكى حتى اخضلت لحيته ، وترحم على النعمان ، فقد كان رضي الله عنه رقيق القلب محبا للمسلمين ، حريصا على حياة القواد ، يحزن حزنا شديدا أذا أصيب أحدهم أو ألم به مكروه .

وعندما سكنت عنه ثورة الحزن سأل عمن قتل من المسلمين ، فذكر له السائب أعيان الناس وأشرافهم ، ثم قال : « وآخرون من أفناء الناس لا يعرفهم أمير المؤمنين » ، فقال عمر والدمع يترقرق في عينيه : « وما ضرهم ألا يعرفهم عمر ، لكن الله يعرفهم وقد أكرمهم بالشهادة ، وما يصنعون بمعرفة عمر » .

وعاد الجميع الى المدينة ، وأدخل خمس الفيىء الى المسجد ، وأمر عمر بعض الصحابة بالمبيت في المسجد حتى يقسم الفيىء على المسلمين في الصباح .

وذهب الى منزله وتبعه السائب وأخبره بخبر السفطين وما فيهما من الجواهر التي لا تقوم بمال ، وذكر له أن جنود القوات الاسلامية وقوادهم قد أجمعوا أمرهم على أن يجعلوهما له ، فقال له عمر : « يا ابن مليكة : والله ما دروا هذا ولا أنت معهم ، فالنجاء النجاء . عودك على بدئك حتى تأتي حذيفة فيقسمهما على من أفاء الله عليه » ، فانطلق السائب راجعا الى حذيفة بنهاوند وأخبره بالحديث الذي دار بينه وبين عمر ، فباعهما وقسم ثمنهما على المسلمين .

ولقد وقعت تلك الموقعة في السنة الحادية والعشرين من الهجرة ، وعرفت بفتح الفتوح ، لأنها كانت خاتمة الحروب الهامة مع الفرس ، وأمر عمر بعدها القوات الاسلامية بالانسياح في بلاد الفرس ، وسهل ذلك عليهم أن قلب المقاومة قد سقط بهروب يزدجرد أمام زحف المسلمين الى أقصى حدود بلاده الشرقية ، وامتد النفوذ الاسلامي بذلك شرقا الى السند ، وقد تم ذلك للمسلمين في سنوات قلائل ، الأمر الذي لا يزال موضع دهشة العالم الى اليوم .



للدكتور / أحمد على المجدوب

القصاص جمع ومفردها القاص أو القصاص ، وفي لسان العرب القاص : الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها والفاظها . والقصة : الخبر وهو القصص . وقص على خبره يقصه قصا قصصا : اورده . والقصص : الخبر المقصوص ، بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار اغلب عليه . والقصص ، بكسر القاف : جمع القصة التي تكتب .

وفي القاموس المحيط : قص أثره قصا وقصيصا تتبعه والخبر اعلمه ، نحن نقص عليك احسن القصص نبين لك احسن البيان ، والقاص من يأتي بالقصة . وما جاء في معجم الفاظ القرآن الكريم لا يزيد على هذا ففيه : قص الكلام او الاخبار ونحوها يقصها قصا وقصصا : تتبعها فرواها .

ويقال : قص القصص : روى الاخبار .

وقد عرف المستشرق اليهودي « جولد تسهير » القاص أو القصاص في كتابه المسمى دراسات اسلامية بأنه : الرجل الذي كان يجمع الناس حوله في الطرق او في المساجد من غير ان تكون له صفة رسمية ، فيعظهم حينا بذكر الاحاديث والاخبار المأثورة ، ويسليهم بالقصص والحكايات حينا آخر . وان الصفة الدينية

لحديثهم « أي القصاص » هي التي كانت تميزهم عن القصاص غير الدينيين الذين يجمعون الناس اليهم في الطرق ليسلوهم بالنوادر والمضاحك .

ويلاحظ على تعريف « جولد تسهير » انه : قصد به القصاص في الدولة الاسلامية ، اي بعد مجيء الاسلام في حين انهم كانوا موجودين في الجاهلية وان اختلف نوع القصص الذي كانوا يقصونه ، فقد شاع القصص بين العرب في الجاهلية ، وكان المحور الذي تدور حوله احاديثهم هي الحروب ، وايامها كيوم داحس والغبراء ، ويوم الفجار ويوم الكلاب ، ويوم ذي قار ، والهوى واخبار العاشقين ، والاشعار المنسوبة اليهم ، وعن السحر والكهانة ، واخبار الجن وغير ذلك مما يعبر عن عقلية العرب في جاهليتهم ويمثل ادبهم وحياتهم .

كذلك فان القصاص كانوا في الجاهلية يصحبون المقاتلين ويحرضونهم على القتال ويحمسونهم بقصصهم . وبعضهم استمر بفعل هذا بعد اسلامه مثل عمرو ابن معد يكرب وقيس بن هبيرة وشرحبيل بن السمط ، فقد ذكر ابو حنيفة الدينورى ان سعد بن ابي وقاص قبل لقاء القادسية جعل هؤلاء الثلاثة يثيرون عزائم الجند بقصائدهم وقصصهم لتحريضهم على القتال .

وهذا يدل على ان خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمنعوا القصاص من القيام بهذا الدور وهو ما أخذ به من جاء بعدهم من الحكام ، فقد ذكر ان رجلا يسمى ابا العباس أحمد ابن ابي احمد الطبري المعروف بالقاص ، سمي بذلك لانه كان مع جيوش المسلمين في حروبهم للديلم والروم يحرضهم ويقص لهم .

أما فيما يتعلق بالتفرقة التي أوردها « جولد تسهير » بين انواع القصاص ، حيث قسمهم الى قصاص لهم الصفة الرسمية اي يكلفون برواية القصص من جانب الحكام ، وقصاص ليست لهم الصفة الرسمية ، ثم تقسيمه لهولاء الى قصاص دينيين يقصون القصص الديني ، وآخرين غير دينيين يسلون الناس بالنوادر والمضاحك على حد قوله ، فهو تقسيم صحيح .

ويمكن القول ان القصاص كانوا في اول الامر يقومون بهذا العمل ، تطوعا ، أي بصفة غير رسمية وبدافع من ايمانهم بالعقيدة الاسلامية ، وكان ميدانهم الرئيسي على ما سبق ان ذكرناه ، بين الجند وفي المعارك سواء في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو بعد انتقاله الى الرفيق الاعلى . ومع ذلك فان بعضهم كان يروي القصص في المدينة بين الغزوات ، وقد ذكر ابن الجوزي في كتاب القصاص والمذكرين ان النبي صلى الله عليه وسلم امتدح الخطباء الصالحين الذين يسمون القصاص . ويقول ايضا ان عمر بن الخطاب اجاز لتميم الداري ، او لعبيد بن عمير في رواية ان يقص على الناس .

وان كان للمقريزي رأي مخالف فهو يقول ان القصص والقصاص لم يكن في ايام الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في زمن الخلفاء الراشدين ، وانما حدث في زمن معاوية ، وقبل خلافة عثمان ، وكان تميم الدارى قد استشار عمر بن الخطاب قبل ذلك ليقص على الناس فأبى عليه حتى كان آخر ولايته فأذن له ان يذكر الناس

في يوم الجمعة قبل ان يخرج عمر . فلما آلت الخلافة الى عثمان بن عفان استأذنه تميم فأذن له ان يذكر الناس يومين في الجمعة فكان تميم يفعل ذلك .

وفي رواية اخرى عن الحسن انه سئل : متى احدث القصص ؟ قال : في خلافة عثمان . فسئل من اول من قص ؟ قال : تميم الداري أما الخليفة الرابع علي بن ابي طالب فقد جاء في الاحياء للغزالي ، انه امر بطرد القصاص من المساجد ، ومنع الناس من الجلوس اليهم والاستماع الى قصصهم ، واستثنى الحسن البصرى لانه كان يسلك في قصصه مسلكا سليما . وفعل ذلك عبد الله بن عمر فاستعان على اخراجهم من المسجد بصاحب الشرطة .

يكاد الاجماع ينعقد على ان اول من استعمل القصاص بصفة رسمية هو معاوية بن ابي سفيان بعد ان آلت اليه الخلافة ، واول من اصدر اليه معاوية امره بقص القصص هو « تميم الدارى » ، الذي كان يقوم بهذا العمل في آخر خلافة عمر بن الخطاب وخلافة عثمان بن عفان على سبيل التطوع ، فلما عهد اليه معاوية بأمر القصص على الناس ، اخذ يروي قصصه في المساجد اذا فرغ المصلون من صلاة الصبح وفي المجتمعات في غير اوقات الصلاة . وما لبث معاوية ان عهد الى القضاة في الامصار بمهمة القصاص : فقد روى الكندى في كتابة « القضاة » ان كثيرا من القضاة كانوا يقومون بمهمة القصاص الى جانب مهنة القضاء بأمر الحاكمين ، وان أول من قص بمصر « سليمان بن عمر التجيبي » سنة ٣٨ هـ . وولاه معاوية أمر القضاء الى جانب القصص ، ثم لم يلبث ان عزله من القضاء وخصصه للقصص لا غير .

الا ان المقريزي يرى ان تولى القاضي للقصص لم يحدث الا في مصر ، فلم يتم الجمع بين القضاء والقصص الا فيها ويفسر هذا الوضع الفريد بقوله : انه من المحتمل ان يكون نظاما من انظمة الكنيسة المصرية . ومما لا شك فيه ان استحداث معاوية لوظيفة القصاص ينم عن فطنة وبعد نظر ، فقد ادرك ما لعملهم هذا من أهمية وما لدورهم من أثر واضح ، يشبه الى حد كبير الاثر الذي تحدثه وسائل الاعلام من اذاعة وتليفزيون وصحف في الدول المعاصرة .

وقد وجد في هذه الفترة ، فضلا عن القصاص الرسميين وغير الرسميين الذين يقصون القصص الديني ، قصاصون من نوع آخر ، يروون اخبار الامم الماضية في القصور وعلى اسماع الخلفاء ومن هؤلاء عبيد بن شرية الجرهمي الذي قيل : انه روى اخبار الملوك العرب من لخم وغسان لمعاوية بن ابي سفيان الذي كان قد استحضره من صنعاء اليمن الى دمشق ليروى اخبار الامم الماضية واستمر عبيد يقوم بهذا العمل الى ايام عبد الملك بن مروان ، وله كتاب الملوك وأخبار الماضين .

كذلك كان عمر بن عبد العزيز يحضر مجلس القصاص ثم خست هذه الصناعة فتعرض لها الجهال فبعد عن الحضور والظاهر ان وظيفة القاص اصبحت في العهدين الاموي والعباسي من الوظائف السامية التي يسعى الى شغلها علية القوم فقد جاء في لسان العرب لابن منظور وقيل : اراد الخطبة لان الامراء كانوا يلونها في

الاول ويعظون الناس فيها ويقصون عليهم اخبار الامم السالفة .

ويبدو ان المبدأ الذي وضعه معاوية بن ابي سفيان والذي يقضي بتشجيع القصاص باعتبارهم وسيلة من وسائل اعلامه ، طبقه خلفاؤه من بعده ، فشجعوهم بدورهم حتى تضاعفت اعدادهم وانتشروا في كل مصر من امصار الدولة الاسلامية . فلما سقطت دولة بني امية وآل الحكم الى بني العباس ، لم يشأ هؤلاء وبالذات الخلفاء الأول ، ان يواجهوا ظاهرة القصاص التي اصبحت تمثل خطرا على الاسلام ، بل ارخوا لهم العنان وتركوهم يصولون ويجولون في انحاء الدولة ولم يعد القاص يجمع بين منصب القضاء وقص القصص فحسب ، بل جرى الجمع ايضا بين قراءة القرآن والقصص ، فكان من يقرأ القرآن بالمسجد يقص القصص أيضا .

وقد كثر القصاص بالعراق حتى حكى ابن عوف (المتوفي عام ١٥١ هـ) انه في مساجد البصرة كان لعلماء الفقه حلقة واحدة ، على حين كان للقصاص حلقات لا تحصى ، حتى كانت المساجد مملوءة بهم وفي بغداد ابتكر احد القصاص ، وهو موسى بن سيار الاسوارى ، طريقة جديدة في القصص اذ كان يجلس وعن يمينه العرب ، وعن يساره الفرس ، فيقص لهولاء بالفارسية ولأولئك بالعربية . وكان له قريب يدعى عمرو بن قائد الاسوري كان قاصا مثله وظل يقص ستا وثلاثين سنة وكلاهما عاش في القرن الثالث الهجري . ثم انتشروا في آسيا الوسطى وفي غيرها من الامصار .

أما في الحجاز فكانوا نادرين ويحكى عن مالك بن انس انه منعهم من دخول مسجد الرسول بالمدينة . وكانوا ايضا قليلين في المغرب ، حيث كان يغلب على الناس العناية بالحديث والامانة في روايته ، حتى يقول المقدسي : ان اهل المغرب لا يعرفون الا كتاب الله وموطأ مالك .

ويقول « جولد تسهير » ان القصاص لم يلقوا معارضة من احد وخاصة من العلماء ، ولم يضايقهم احد في ادائهم لهذه المهمة ، اي رواية القصص . واذا كان ذلك صحيحا في عهد الدولة الاموية وبداية عهد الدولة العباسية ، الا ان سبب صحته ليس هو الذي قال « جولد تسهير » وهو :

« انهم كانوا عنصرا مكملا في الحياة الدينية الاسلامية » فهذا القول منه محض افتراء ، لان القصاص لم يكونوا في يوم ما عنصرا مكملا في الحياة الدينية الاسلامية ، بل الصحيح انهم كانوا عنصر هدم لهذه الحياة بما كانوا يروجونه من اسرائيليات واساطير وخرافات واكاذيب اساءت اشد الاساءة للاسلام وما زالت تسيء اليه ، وهو ما سوف نبينه عندما نتناول دور القصاص في نشر الاسرائيليات .

اما السبب الصحيح لعدم معارضة العلماء للقصاص ، فهو الصفة الرسمية او شبه الرسمية لهؤلاء في عهد الامويين وقيامهم بالدعوة لهم وترويج افكارهم ونشر آرائهم في خصومهم السياسيين .

واستمر هذا الوضع في عهد الدولة العباسية ومع ذلك فاننا نجد الحسن بن على

رضي الله عنهما في العهد الاموي ينكر على قاص صادفه يقص القصص قوله عن نفسه انه قاص ودعاه الى ترك رواية القصص . وكذلك سالم بن عبد الله بن عمر الذي لم يكن يحب ان يستمع الى قاص الجماعة . اما في عهد الدولة العباسية فانه فضلا عما فعله الامام مالك في المدينة ، فإن العلماء وبالذات ائمة المذاهب فعلوا مثله في بغداد عاصمة الخلافة ، فقد هاجمهم ابو حنيفة وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين والغزالي وغيرهم ممن لمسوا عن كثب خطورة الدور الذي يلعبه القصاص . وفي هذا يروى ان احمد بن حنبل ويحيى بن معين اديا ـ الصلاة بمسجد الرصافة ، فقام بين ايدي المصلين قاص ، فقال : عن انس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا اله الا الله خلق الله من كل كلمة طيرا ، منقاره من ذهب ، وريشه من مرجان ، ومضى يعدد اشياء غريبة وكائنات عجيبة يخلقها الله من كلمات لا اله الا الله فجعل أحمد بن حنبل ينظر الى يحيى بن معين ، وهذا ينظر اليه ، ثم سأله : انت حدثته بهذا ؟ قال : والله ما سمعت بهذا الا الساعة ، فلما انتهى القاص اشار له يحيى ، فجاء متوهما انه سيمنحه مالا ، فسأله يحيى من حدثك بها ؟ قال احمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، فقال له أنا يحيى وهذا أحمد ، ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله ، فإن كان ولا بد فعلى غيرنا ، فقال القاص : لم ازل اسمع ان يحيى بن معين ، واحمد بن حنبل احمقان ، ما تحققته الا الساعة ، فقال له يحيى : وكيف ؟ قال : كأنه ليس في الدنيا احمد بن حنبل ويحيى بن معين غيركما ؟
لقد كتبت عن سبعة عشر احمد بن حنبل ، ويحيى بن معين : فما كان منهما الا ان رضيا من النقاش بالسلامة .

ليس ذلك فحسب ، بل ان الشعراء انفسهم لم يترددوا في تحذير الناس من القصاص بعد ان تمادوا في غيهم وهددوا بنشاطهم العقيدة الصحيحة وتسلطوا على الناس يتلاعبون بعقولهم ، فها هو ذا ابو دلف الخزرجي شاعر الملح والطرف والذي الف قصيدة مشهورة تسمى القصيدة الساسانية بين فيها اصناف المكدين والمخرقين والمحتالين من اسوأ طراز فسمى فيها القصاص فقال ؟

ومن قصص لاسرائيل أو شبرا على شبر

وكانوا يطلقون على الحكايات القصار الشبريات للتمييز بينها وبين القصص ، ويقول ابن منظور في « لسان العرب » ج ٣ ص ١٠٢ : « وفي الحديث لا يقص الا أمير أو مأمور او مختال ، اي لا ينبغي ذلك الا لأمير يعظ الناس ويخبرهم بما مضى ليعتبروا ، وأما مأمور بذلك فيكون حكمه حكم الامير ولا يقص مكتسبا ، او يكون القاص مختالا يفعل ذلك تكبرا على الناس أو مرائيا يرائى الناس بقوله وعمله لا يكون وعظه وكلامه حقيقة . وفي الحديث : ان بني اسرائيل لما قصوا هلكوا وفي رواية : لما هلكوا قصوا ، أي اتكلوا على القول وتركوا العمل فكان ذلك سبب هلاكهم ، او العكس لما هلكوا بترك العمل اخلدوا الى القصص »

كذلك فانه لما كثر عدد القصاص وزاد طمعهم ، اشتد الصراع فيما بينهم

واحتدمت المنافسة ، وتفشى الحقد والبغضاء بينهم فصاروا يكيدون لبعضهم بعضا حتى اصبح من الامثال الجارية ان القاص لا يحب القاص ويصور ابن قتيبة تأثيرهم على قلوب العامة قائلا : « كانوا يميلون وجوه العوام اليهم ، ويستدرون ما عندهم بالمناكير والغريب ، والاكاذيب من الاحاديث . ومن شأن العوام القعود عند القاص ، ماكان حديثه عجبا خارجا عن فطر العقول او كان رقيقا يحزن القلوب ويستفز العيون ، فاذا ذكر الجنة قال : فيها الحوراء من مسك او زعفران ، وعجيزتها ميل في ميل .. الخ . »

ولما استفحل خطر القصاص امر الخليفة العباسي في عام ٢٧٩ هـ بالنداء في مدينة السلام (بغداد) الا يقعد في الطريق ولا في المسجد قاص ولا منجم ولا عراف ، وجدد هذا الامر في عام ٢٨٤ هـ . ثم بطل نظام الجمع بين المنصبين ، القضاء والقصص ، وارتفع شأن منصب القضاء ، وانحط منصب القاص ، بل وبطل ايضا الجمع بين قراءة القرآن والقصص ففي عام ٣٠١ هـ اراد ابو بكر الملطى الذي تولى القصص في هذه السنة ان يقرأ القرآن ويقص في كل يوم ، فمنعه القاضي من ذلك ، فرجع القاضي الى القراءة في ثلاثة أيام وترك القصص .

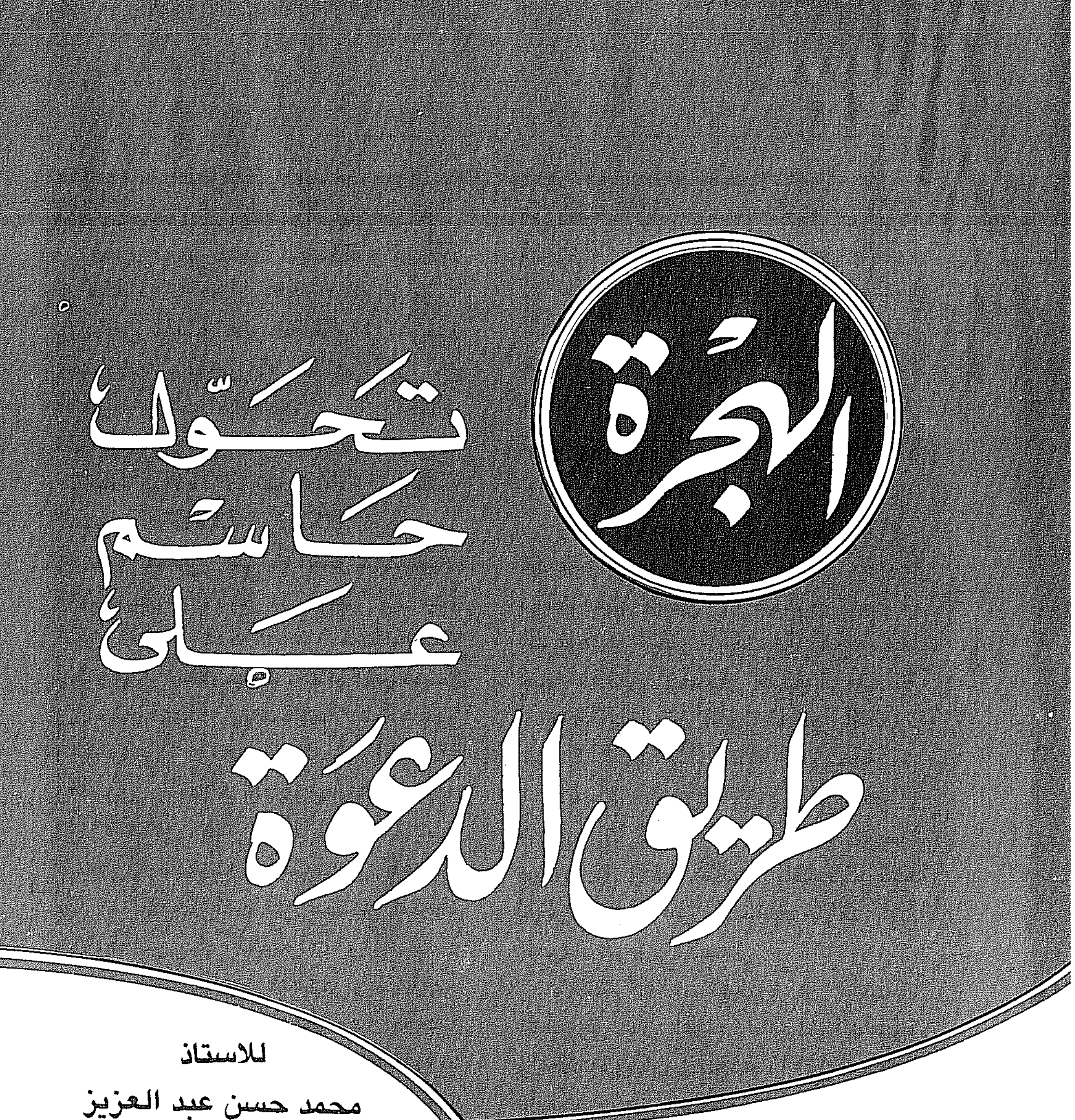
ومع ذلك فقد بقى القصاص غير الرسميين يمارسون نشاطهم . وفي القرن الرابع الهجري نزلوا الى غمار العامة ، وصاروا يقصون لهم القصص الديني والاساطير والنوادر في المساجد والطرق وينالون منهم مالا كثيرا . وكان يجتمع اليهم الرجال والنساء فيرفعون اصواتهم بالدعاء ويمدون ايديهم .

وفي اواخر القرن الرابع كان القصاص اكثر مثيري الفتن القديمة بين اهل السنة والشيعة ، وكان من نتيجة ذلك ان فقدوا كل ثقة من جانب اهل التقى والصلاح ، وبدأت الثقة تتحول عنهم الى طائفة خلفتهم هي طائفة المذكرين ، ويسمى مجلسهم مجلس الذكر .

وعلى الرغم من موقف الخلفاء العباسيين منهم ، اي من القصاص ، وعداء العلماء لهم ، الا انهم لم يكفوا عن القيام بنشاطهم ، بل ونوعوا في اساليبهم وفي الموضوعات التي يقصونها للناس ففي القرن السادس الهجري كما يقول ابن الجوزي : « انهم تلمحوا ما يزعج النفوس ويطرب القلوب فنوعوا فيه الكلام فتراهم ينشدون الاشعار الرائقة الغزلية في العشق .. ومنهم من يتحرك الحركات التي يوقع بها على قراءة الالحان ، والالحان التي قد اخرجوها اليوم مشابهة للغناء فهي الى التحريم اقرب منها الى الكراهية والقارىء يطرب والقاص ينشد الغزل مع تصفيق بيده وايقاع برجليه فتشبه السكر ويوجب ذلك تحريك الطباع وتهييج النفوس وصياح الرجال والنساء وتمزيق الثياب من دفائن الهوى ..

ومنهم من يتكلم بالطامات والشطح الخارج عن الشرع ويستشهد باشعار العشق وغرضه ان يكثر في مجلسه الصياح ولو على كلام فاسد ، وكم منهم من يزوق عبارة لا معنى تحتها واكثر كلامهم اليوم في موسى والجبل وزليخا ويوسف ولا يكادون يذكرون الفرائض ولا ينهون عن ذنب ، فمتى يرجع صاحب الزنا ومستعمل

الربا وتعرف المرأة حق زوجها وتحفظ صلاتها . ؟
ويقول : « ومن القصاص من يخلط في مجلسه الرجال والنساء وترى النساء يكثرن الصياح وجدا على زعمهن فلا ينكر ذلك عليهن جمعا للقلوب عليه ، ولقد ظهر في زماننا هذا من القصاص ما لا يدخل في التلبيس لانه امر صريح من كونهم جعلوا القصص معاشا يستمنحون به الامراء والظلمة والاخذ من أصحاب المكوس والتكسب به في البلدان ، وفيهم من يحضر المقابر فيذكر البلى وفراق الاحبة فيبكي النسوة ولا يحث على الصبر . »
وهكذا نلاحظ على العكس مما ذهب اليه « جولد تسهير » ان العلماء لم يكفوا عن معارضة القصاص والتحذير منهم ومن نشاطهم الضار واساليبهم الماكرة في اجتذاب الناس اليهم والاستيلاء على اموالهم وافساد عقولهم . واذا كانوا فيما شنوه من حملات عليهم لم يحققوا نجاحا ملحوظا فان ذلك لا يرجع الى تقصير في جانبهم او قصور في وسائلهم بقدر ما يرجع الى احوال المسلمين في تلك العصور ، حيث كانت مجتمعاتهم في حالة من التفاعل الشديد بين عناصر ثقافية قديمة واخرى جديدة ، او هي قديمة ولكنها تعد جديدة بالنسبة لمن وفد من العرب الى الاقاليم المفتوحة ، وقد وجد القصاص ووجدت القصة كذلك سبيلها الى البناء الثقافي للامة الاسلامية الذي كان في طور النمو .
ولعلنا لاحظنا فيما ذكره ابن الجوزي التطور الهام الذي اصاب رواية القصص في القرن السادس الهجري ، حيث اصبحت تصاحبها ايقاعات بالاقدام وتصفيق بالايدي ، مع الغناء اي ان القاص لم يعد ، كما كان في السابق ، يقص القصص كما لو كان يقرأ من كتاب ، او حتى كما لو كان يتكلم كلاما عاديا ، وانه اصبح يردد غناء مصحوبا بالايقاع بالاقدام التي تدق الارض - وبالايدي التي تصفق ، وفي مرحلة تالية اضاف القصاص الى الايقاع ، انغام آلة الربابة التي تصاحب غناءهم للقصص وهو ما نراه حتى اليوم في الريف المصري ، حيث ينتقل الراوي - اي القاص - بين القرى والنجوع يعزف على ربابته ويقص القصص فيتجمع حوله الرجال والنساء والاطفال يستمعون الى قصص عنترة والزناتي خليفة والزير سالم ، كما يروي السيرة النبوية بطريقة تذكر بما كان يفعله سلفه في القرون الهجرية الاولى من اللجوء الى الاسرائيليات وذكر الاساطير والخرافات . ومع ذلك فانه يمكن القول ان تأثيرهم في العامة آخذ في الضعف الى ان ينعدم ، او بالاحرى الى ان ينقرضوا خاصة بعد ان اقبل هؤلاء على التعليم واقتنوا اجهزة الاستقبال الاذاعي والمرئي فلم يعودوا بحاجة الى الاستماع للقصاص . ولكن ما يزال للاسرائيليات التي طالما روج لها هؤلاء باب واسع تنفذ منه الى العقول ، هذا الباب هو كتب التفسير والكتب المسماة بقصص الانبياء وقصص القرآن التي تستمد معظم مادتها من الاسرائيليات ، فلعل الهيئات المسئولة في الدول الاسلامية تقدم على هذه الخطوة التي طالما دعا اليها المخلصون من علماء هذه الامة ، الا وهي تخليص تلك الكتب مما علق بها من شوائب واعادة طبعها بعد تطهيرها من خرافات واساطير واكاذيب اليهود .



الهجرة تحول حاسم على طريق الدعوة

للاستاذ
محمد حسن عبد العزيز

الهجرة النبوية من مكة الى المدينة لم تكن عملا ارتجاليا عشوائيا ، وانما كانت عملية مخططة ذات اهداف محددة بكل ما يعنيه التخطيط من تكامل في الانشطة لتحقيق هدف عام محدد سلفا ، ويواجه المستقبل بتكتيكات مرحلية واضحة العناصر والامكانيات الواجب استخدامها في مراحل زمنية محددة او بمعنى ربط الاهداف بالوسائل المتاحة المستخدمة مع محاولة التحكم في الاحداث باتباع سياسة مدروسة وحساب دقيق لكل عوامل الاخفاق والنجاح .

اما الهدف المحدد سلفا فكان انتقال النبي عليه الصلاة والسلام واصحابه من مكة الى يثرب وكانت الخطة ان يخرج جماعة المؤمنين ثم يلحق بهم نبيهم بطريقة لا تسمح

لكفار قريش ان يلحقوا بهم او به .
قضى النبي عليه الصلاة والسلام في مكة ثلاثة عشر عاما يدعو الى ربه ويعرض نفسه على القبائل في موسم الحج ـ فلم يؤمن به الا نفر قليل من الفقراء والمستضعفين ، وقد اخذت طواغيت قريش من الدعوة موقفا مؤسفا ـ قابلوا الحكمة والموعظة الحسنة بالاهانة والتنكيل وواجهوا الدعوة بالتي هي احسن ـ بالصد والتكذيب والانكار ـ فبعد ان بدأ القرآن يوجه نقده الشديد لمجتمع مكة وطعنه لنظمهم الاقتصادية والاجتماعية ويصفها بالجور والفوضى ، ويعيب عليهم الضلال والجهل والظلام الذي يغوصون فيه الى الاعماق ، خشى هؤلاء ان يستجيب الناس له فتضيع مكانتهم بين القبائل بكل ما تتيحه لهم من مظاهر الترف والانغماس في الشهوات والملذات ، فلجأوا الى اسلوب الملاينة والمساومة بالمال وبالملك لكنه ردهم ردا مفحما رافضا كل عرض ذائل عرضوه عليه ـ كان حاسما في اشد الاوقات طلبا للحسم والقطع فامور العقيدة لا تقبل المساومة ولا تعرف الالتقاء في وسط الطريق ، فلا مجاملة ولو في شيء قليل لانها كل لا يتجزأ ، ونزلت آيات الوحي تفضحهم وتبين حقيقتهم :

(ودوا لو تدهن فيدهنون)
القلم/ ٩

واصبحت الهجرة ضرورة حتمتها الظروف وقد بلغ الحقد الاعمى بالمشركين ذروته ، وغاظهم ان تفلت جماعة المؤمنين ايديهم ، واذن فلا بد من القضاء على محمد لأنهم ان قتلوه قتلوا أمة باسرها وقضوا على الدعوة في مهدها ، وبالتالي يكون وجود المهاجرين في المدينة بلا فائدة ، فقر قرارهم على ان تمثل كل القبائل وبينما هو نائم يضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل ولا يستطيع بنو هاشم على عداء قومهم جميعا .

وكانت ضرورة اقتضتها ظروف الدعوة في مواجهة اعدائها خروجا مؤقتا من ارض لا تصلح لانطلاق الدعوة الى ارض ارحب واوسع ، تجد فيها الامان وحرية العقيدة وتحقق لجماعة المؤمنين القوة المادية القادرة على رد اعتداء الاعداء المتربصين .

لم تكن الهجرة اذن من اجل عيش هانىء ولا فرارا من التعذيب او من مواجهته وانما كانت انتقالا مؤقتا لوطن جديد من تصميم مؤكد على العودة للوطن الاصلي .

كذلك كانت الهجرة في مفترق الطريق بين عهد تثبيت الدعوة والعقيدة وتكوين الصف الاول ، وعهد تأسيس امة الاسلام كنموذج يحتذى به وينسج على منواله ، ومفترق الطريق بين عهد مقابلة الاساءة بالاحسان وعهد مقابلة الاساءة بالاساءة دون تجاوزها .

ومع استقبال هلال المحرم تتجه القلوب مفعمة بأنبل الاحاسيس الى تلك المدينة الخالدة التي فتحت ذراعيها وقلبها للداعي وللدعوة ولجماعة المؤمنين ، تحميهم وتكفل لهم حرية العقيدة وتتيح للداعي المناخ المباشر لنشر الاسلام في امان

واطمئنان ، حتى يحين له ان يعود الى مسقط رأسه .

وإذا كنا نقول بأن الهجرة النبوية كانت تعتمد على تخطيط محكم وحساب دقيق لكل العوامل فان هذا لا يتأتى الا بتوحيد القوى ، واتخاذ الحيطة الكاملة اثناء الرحلة مع اجتناب كل عوامل الاخفاق لتحقيق الهدف ، ولذلك اجدني في حاجة الى ابراز بعض النقاط التي تساعدنا على توضيح الاطار العام لخطة الهجرة وهدفها من دراسة المناخ العام الذي كان يحيط بها .

اولا : موقع المدينة « يثرب »

تقع بين حرة واقم الى ناحية الشرق ، وحرة الوبر الى ناحية الغرب ، وتبعد عن مكة بمسيرة احد عشر يوما في طريق الشمال ، وتقدر مسافتها بنحو ٣٣٥ كيلو مترا على خط مستقيم وتشغل منخفضا تحيطه التلال من ثلاثة جوانب ومستواها نحو ٧٠٠ متر فوق سطح البحر الاحمر أما جزؤها الجنوبي فاكثر الجهات استواء وان وجدت به بعض المرتفعات .

ويوجد الى شمالها جبل أحد ومن ورائه جبل ثور والى الجنوب جبل عير .

وتمتاز هذه المنطقة بخصوبتها حيث تنتشر فيها العيون والابار وتكثر الزراعات بالاضافة الى اشتغال اهلها ببعض اعمال التجارة والصناعة .

وسميت باسم « يثرب » نسبة الى زعيم العماليق ، كما هو وارد في النقوش السبئية وما رواه الجغرافيون القدماء ، وعرفت ايضا باسم طيبة والمدينة المنورة بعد الهجرة .

ثانيا : الملامح البشرية

● ـ القبائل العربية :

وتتألف اساسا من قبيلتين ، الأوس والخزرج ، وهما قبيلتان ازديتان في الاصل من عرب الجنوب ، هاجروا من اليمن على اثر انهيار سد مأرب واشتداد الجفاف ؛ ولجأوا الى هذه المنطقة بحثا أو جريا وراء المأوى والكلأ ، وكان ذلك في القرن الثاني قبل الميلاد ، لكنهم مع ذلك كانوا على خلاف شديد وحروب مستمرة حصدت منهم اعدادا هائلة لاتفه الاسباب .

● ـ قبائل يهود

ويرجع تاريخ قدومهم الى هذه المنطقة الى القرن الخامس قبل الميلاد ، حيث تسربوا هربا من الاسر البابلي ، فقدموا من بلاد الشام واستوطنوا الاماكن الخصبة شمال الحجاز حول يثرب « فدك ، وتيماء ، ووادي القرى ، وخيبر » والمعروف عن اليهود منذ اقدم العصور ميلهم الى العزلة والانطواء وعدم الاندماج وسكنى احياء خاصة بهم سميت احياء اليهود او حواري اليهود

« الجيتو » والاشتغال بحرف لا يشاركهم فيها غيرهم تتصل اساسا بشئون المال والاقتصاد ، وكانت يثرب في هذا الوقت تمثل مركزا تجاريا هاما لوقوعها في طريق القوافل بين مكة والشام .

ونظرا لوجود خلافات شديدة ، بين القبائل العربية ، فقد اصبح المجال مناسبا لهم ، لذلك نجدهم قد تجنبوا الحيرة وغسان ، تحاشيا لسلطة الرومان عليها ، كما ابتعدوا عن نجران خشية الانتقام منهم عما فعلوه بالمسيح ابن مريم ، أما اليمن فكانت مسرحا للصراع المشتعل بين الفرس والحبشة ، أمّا مكة فمن العبث أن يفكروا فيها باعتبارها العاصمة الدينية للعرب جميعا ونفس الشيء بالنسبة للطائف لقربها الشديد من مكة . لذلك احتلوا الاماكن المرتفعة وفي عمق وجدانهم عقدة اليهودي التائه وفي يقينهم ان العرب سينتبهون حتما الى وجودهم وانهم سيرفضونه ، الامر الذي جعلهم يحملون مساكنهم الى اطم وحصون للتحصين بها اذا نشبت الحرب المنتظرة بينهم وبين العرب .

ومن اشهر هذه القبائل : « بني قينقاع ، وبني النضير ، وبني قريظة » .

ثالثا : الحالة العامة في يثرب :

كما رأينا الخلافات على اشدها بين الاوس والخزرج لاسباب تافهة مع انهم ابناء عمومة، يقول السمهودي « أنه وقعت بينهم حروب كثيرة لم يسمع قط في قوم غيرهم اكثر منها ولا اطول » ـ وذكر من حروبهم : « حرب سمير ، حرب كعب بن عمر ، وحرب خضير بن الاسلت ، وحرب حاطب بن قيس ، وكانت اخر حروبهم قبل الهجرة يوم بعاث » وعن طريق الدس والوقيعة استغل اليهود الخلافات الموجودة بين الاوس والخزرج فآلوا على انفسهم الا ان تزداد نيران الحرب يوما بعد يوم فيتفرغون لجمع المال وشراء العقار وحفر الآبار وتربية الماشية وتجارة الذهب والفضة والنسيج والاقراض بالربا ، ثم يتدخلون شيئا فشيئا في اقتصاديات البلاد ويسيطرون على مقاليد السلطة السياسية يوجهونها كما يشاءون لتحقيق مآربهم .

وقد مكنتهم سكناهم للاماكن العالية من التحكم والسيطرة على موارد المياه وحبسها اذا قل المطر ، كما انهم يفاخرون العرب بادعاء انهم اهل كتاب وانهم شعب الله المختار وان كل ما عداهم نجس لا يرقى الى مستوى الحيوان ، ولا يجوز له دخول ملكوت السموات .

ولم نسمع قديما ولا حديثا ان واحدا من معتنقي الديانات الاخرى قد تهود ، ويرجع سبب ذلك الى قسوة التعقيدات والطقوس التلمودية والتكاليف الصعبة .

وبهذا الاسلوب تحكم اليهود في يثرب ، وان كان لا ينكر ان العنصر العربي ضاق بوجودهم حتى بات الصدام محتما ينتظر الشرارة الاولى .

فالحالة العامة في يثرب كانت مضطربة تغوص الى الاعماق في الخلافات والحروب ، كلما خمدت نار الحرب اججها اليهود من جديد ، فاذا انتشرت بشائر مبعث النبي الخاتم استغلها يهود في توعد العرب بالانضمام اليه ومحاربتهم معه وقتلهم قتل عاد وإرم .

وقد اراد الله تعالى أن يجعل من اعداء الدين الجديد خير دعاية له . فقد انتظر الاوس والخزرج مبعث النبي الجديد وصمموا على ان يكونوا اسبق من اليهود في الايمان به والانضمام اليه فيتوحدون تحت قيادته حسما لخلافاتهم المستمرة وتوجيه شئون بلادهم لما فيه مصلحتهم ، ولعل ابرز توضيح لهذا المعنى ما قاله وفد الخزرج للنبي عليه الصلاة والسلام يوم العقبة : « انا قد تركنا قومنا وبينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى ان يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم الى امرك ونعرض عليهم ما اجبناك اليه من امر هذا الدين فان يجمعهم الله عليك فلا رجل اعز منك » .

خطة الهجرة :

لم يبق في مكة من جماعة المؤمنين غير النبي عليه الصلاة والسلام وابي بكر في انتظار اذن السماء لهما بالهجرة ، وغير علي بن ابي طالب الذي تنتظره مهمة خاصة .

وفي الليلة الموعودة استل النبي من بين المتربصين بدارة ، وقد اعماهم الله وغشيهم السبات العميق ، وينام علي في فراشه في مهمة لا يقوم بها غيره وفي سبيل ما هو افضل من حياته ذاتها ، فهو من آل البيت ويعلم كل دقائقه ، وتلك لفتة من التخطيط السليم الذي انتهجه النبي حتى لا يثير دخول رجل غريب الى البيت في الليل الشك في نفوس المشركين وليحافظ في نفس الوقت على سرية الهجرة ، ومنع ارتياب المشركين في الامر .

ولاحت خيوط الفجر في الافق ترفع صفحة الظلام الذي غشى الكون ، فانزاحت الظلمة وبدت الحقيقة المغطاة مع اشعة النور ؛ فالمضطجع على الفراش ليس محمدا ، وعلي ينظر الى فتيان قريش بنظرات يفهمون معناها ومغزاها ، وشفتاه تنضح عن بسمة رقيقة مطمئنة على نجاح الهجرة بينما يأكلهم الغيظ والدم يغلي في عروقهم .

وكان النبي تحت جنح الظلام قد اتجه مع صديقه ابي بكر الى غار ثور في اتجاه الجنوب عن طريق الغرب والمعلاه الشمالي وهما اقرب منه الى المدينة ، ويبعد غار ثور عن مكة نحو خمسة كيلو مترا ونصف الى جنوب الجنوب الشرقي ويبلغ ارتفاعه ٧٥٩ مترا فوق سطح البحر ، والطريق

الموصل اليه شاق وعسير لكثرة الوعورة وشدة الانحدار حتى أن النبي لم يصل إليه الا بعد أن أدميت قدماه وسالت منها الدماء وبقيا فيه ثلاثة ايام كجزء من الخطة المعدة لضمان سلامة الهجرة ، ليكون دائم الاتصال باحوال قريش وتدابيرها ، تأتيه المعلومات عن طريق اسماء ومحمد ولدي ابي بكر .

وان استطاع قصاصو الاثر من الوصول الى باب الغار الا انهم اغفلوا عن البحث في داخله لما هو معروف من قصة نسيج العنكبوت والحمامتين الوحشيتين اللتين باضتا بجواره ، مما اوحى اليهم باستحالة دخول المهاجر العظيم الى هذا الغار ، وفي هذا يقول القرآن الكريم : (**إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم**) التوبة / ٤٠

وبعد الايام الثلاثة خرجا من الغار في اتجاه المدينة من طريق غير مألوف : من ناحية الغرب الى طريق الساحل بين اودية من السفوح ، عرجا منه شمالا ليتجنبا مناطق الاستقرار ويستفيدا في نفس الوقت من موارد المياه ، ثم اتجها شمالا مارين باسفل - عسفان ثم بامج - ثم اجازا قديدا ثم سلكا الخرار حتى بلغا الجحفة ثم سارا في المنطقة الجبلية حتى وصلا المدينة لمسافة تقدر بنحو ٣٣٥ كيلو مترا .

والى هنا تكون خطة الهجرة قد نفذت بكل مراحلها كأحسن ما يكون تنفيذا للخطة المدروسة من حيث السرية واستطلاع اخبار العدو وخططه لتجنب كل عوامل الاخفاق مع الاستفادة الكاملة بالامكانيات المتاحة .

وما اشبه اليوم بالبارحة .

** يهود الامس قدموا الى يثرب . واستقروا فيها زمنا ينهبون الثروات ويتحكمون ويستطلعون في المرافق ويوجهون دفة الحياة لما يخدم مصالحهم . وعن طريق الدس والوقيعة اوقعوا الخلافات بين ابناء العمومة بينما هم في موقف المتفرج الذي يميل مع الهوى ضد المغلوب .

* ويهود اليوم احتلوا فلسطين . بينما العرب تطحنهم الخلافات . فلم ينتبهوا للخطر الداهم فاذا تنبهوا كانوا قليلي الحيلة ممنوعي الوسيلة ليس امامهم الا الامر الواقع ، اما ان يقبلوه واما ان يوحدوا جهودهم لازالته واقتلاعه .

** وفرق كبير بين هجرة وهجرة .

* محمد عليه الصلاة والسلام هاجر الى قوم دعوه ولم يطلب منهم ترك وطنه ومسقط رأسه حتى انه لم يتمالك نفسه وهو يودع مكة ليلة الهجرة فانطلق لسانه وكله الم قائلا « والله إنك احب ارض الله الى الله وإنك احب ارض الله الي ولولا أن اهلك اخرجوني منك ما خرجت » وما كانت هجرته من اجل

شيء من متاع الدنيا وانما كانت في سبيل الله اعلاء لدينه الذي اراده للبشرية هاديا من الجهل والضلال والفوضى والظلام ليرسي قواعد الحق والعدل والمساواة .

لم يهاجر ليحارب عقيدة اخرى يختلف معها وانما كفل حرية العقيدة للكل ، لم يرفع سلاحا وانما كان سلاحه الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة والدعوة بالتي هي احسن .

** اما يهود فقد هاجروا من اجل احتلال الارض وطرد السكان الاصليين واستنزاف الثروات والتدخل في شئون البلاد ورفض كل عقيدة تخالف عقيدتهم ، مهدرين كرامة الانسان وحرمة الاديان ، وهدموا الكنائس والمساجد واحرقوا بيت المقدس وحولوه الى صالة للرقص والفجور وحمام للسباحة .

* محمد لم يهاجر من اجل عيش هانيء وانما كانت هجرته حلقة في سلسلة نضال طويل ومتصل من اجل اعلاء راية التوحيد ، وفي ذهنه أن يعود يوما من الايام الى وطنه ومسقط رأسه .

* وهم هاجروا من اجل التسلط بالحديد والنار لاغتصاب ارض قالوا انها وطنهم المزعوم ، وافتروا انهم الشعب المختار المستحق وحده للحياة .

النبي في المدينة

لما وصل المهاجر العظيم الى يثرب وجد الاسلام قد انتشر فيها على ايدي الطليعة الموفقة واستقبله اهلها استقبالا يليق بمقامه ، ومن بين المستقبلين جماعة يهود وبعض من اعتنقوا الاسلام ولا تزال الوثنية تراود عقولهم وعلى رأسهم عبد الله بن ابي ، وبدأ على الفور في تنظيم المجتمع الاسلامي ليكون النواة والمثل الذي يحتذي به بعد ذلك .

وكان الاسلام يمر بمرحلة حرجة من حياته ، واعداؤه في داخل المدينة وخارجها يتربصون به ويتحينون الفرصة للانقضاض عليه .

وان المجتمع الجديد كان في أمَسّ الحاجة الى تشريع جديد ينظم حياتهم ويحوطهم بالرعاية والحماية ويكفل لهم التناصر والتكافل ، لحماية هذا المجتمع الوليد من عوامل التفكك والاختلاف .

* وحتى يتناسى الاوس والخزرج خلافاتهما ، وحدهما معا تحت لقب الانصار اي الذين نصروا الله ورسوله . ثم جمع المهاجرين معهم في اخوة في حكم اخوة الدم .

* تشمل التوارث والالتزامات الاخرى الناشئة عن وشيجة النسب كالديات وغيرها ، وتلك صلة فريدة في تاريخ التكافل غير مسبوقة حتى بين اصحاب العقائد .

وقد استمر العمل بهذه الوشيجة الاخوية الاستثنائية الى ان استقرت الامور بعد غزوة بدر واستتب الامر والامن ، وتوفرت اسباب الارتزاق ، واصبحت الظروف الاستثنائية غير قائمة ، فنزلت آيات الوحي تبطلها

وتستبقي فقط نـواحي التعـاطف والتعاون والتناصر ، كما اقرت الابقاء على باب التكافل عن طريق الهبة والوصية وهو باب مفتوح لمن اراد ان يقدم برا او معروفا ، وهو كذلك اوسع نطاقا واشمل من نظام التوارث .

ثم بدأ ببناء مسجد بسيط ببساطة الاسلام ذاته ، متواضع في كل شيء بلا تكلف ، فراشـه من الرمـال والحصبـاء وجـدرانـه من اللبن ، وسقفه من جريد النخيل واعمدته من جـذوعها ، وفيـه يجتمـع الجميـع يتـدارسون امـور دينهم ودنيـاهم ويقيمون الشعائر التي طالما حوربت ، ليستشعروا معنى العبودية لله وحده ، وتتهذب نفوسهم ، وتصقلهم الطاعة والنظام فينعكس ذلك على علاقاتهم ، وصار المسجد منذئذ مصدر التوجيه الروحي والمادي وفيه تخرج أئمة العلم وقادة الجيوش وزعماء الاصلاح .

وقد اثنى القرآن الكريم على هذا الموقف النبيل باعتباره الصورة الحية والمثل المشرق للمؤمنين في توادهم وتعـاطفهم وتراحمهم ، فـرابطـة العقيدة اقوى من رابطة الدم والنسب والجنس ، انه صدق الايمـان من جانب المهاجرين الذين تركوا الاهل والمال والوطن ، والايثار من جانب الانصار الذين ضحوا بكل شيء في سبيل نصرة النبي وتأمين سلامة الدعوة وكفالة حرية العقيدة ، وذلك في الآيتين الثامنة والتاسعة من سورة الحشر .

اما يهودوهم اهل كتاب يشاركونهم وطنهم ـ فإن كسب مودتهم فيه امان لمجتمـع المدينـة واتقاء لشـرورهم خصوصا وانهم يرتبطون مع قريش بعلاقات تجارية ، وحصونهم تمتد في نواح معادية للدين الجديد ، والاسلام لا يستطيع بعد ، مواجهة جبهتين في آن واحد ـ لذلك كسب النبي مودة اليهود بتلك الوثيقة الخـالدة التي توضحت فيها سمات المجتمع القائم على النصرة وعدم الاعتداء وصد هجوم المهاجمين ، ضمت هذه الوثيقة المهاجرين والانصار ومعهم يهود ، الذين اقرهم على عقيدتهم وامنهم على امـوالهم وانفسهم واشترط عليهم وشرط لهم : « فمن تبعنا من يهود فان له النصرة والاسوة ـ اي المساواة في المعاملة ـ غير مظلومين ولا متناصر عليهم ـ وانهم في حالة الدفاع عن المدينة ضد اي خطر خارجي سواء مع المسلمين ، وان من يظلم او يأثم فانه لا يوقع الا نفسه واهل بيته . وان على المسلمين نفقتهم وعلى اليهود نفقتهم وبينهم النصر على من حارب اهل هذه الصحيفة » .

اما العلاقة بينهما فتقـوم على اساس من النصح والنصيحة والبر والتعـاون على رد المظـالم ونصرة المظلوم مع التزام السلم والمسالمة لان يثـرب حرام حـرمتها لاهـل هـذه الصحيفة .

ومنعا لاي خلاف جعلت الصحيفة امور المجتمع شورى بينهم ، واوكلت الفصـل في قضايـاهم للنبي عليه الصلاة والسلام تأليفا بين القلوب وتوحيدا لجهة الفصل فيها .

اما المسائل الداخلية والخاصة

فأبقيت كما هي ، واصبحت امة الاسلام تشمل المسلم وغير المسلم . ولما علمت بقية القبائل اليهودية بامر هذه الوثيقة ، اقبلت على النبي تطلب منه الانضواء تحتها فقبل واثبت توقيعهم عليها .

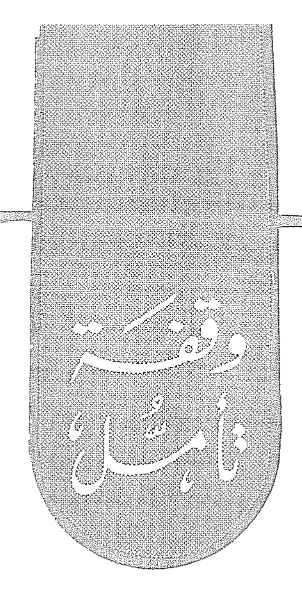
وامن الاسلام جبهته الداخلية وانصرف النبي الى شئون الدين يدعم القوى الروحية في النفوس ويؤلف بين القلوب باشاعة روح الاخاء والمساواة والرحمة والمحبة .

ومن الطبيعي ان تلقى دعوة الاسلام في هذا المناخ الجديد متنفسا ومنطلقا ، وان يجد من يريد الانضمام اليه مطلق الحرية في الاتصال بالداعي في امان واطمئنان دونما تهديد من أحد ، وان يعلن اسلامه على الملأ دون تردد وان يؤدي فرائض الدين في المسجد وقتما شاء وان يختلف وضع وموقف جماعة المؤمنين وبعدان كانوا لا يملكون الا الاحسان الى المسيء ، فقد تغير الموقف امام احتمال هجوم قريش في اي وقت او احتمال غدر يهود في الداخل فهم اليوم لا بد ان يعاملوا المسيء بإساءته ، ولذلك كان عليهم ان يدعموا قدراتهم القتالية بالاستعداد المادي والمعنوي : (**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**) البقرة / ١٩٤ وحتى رد الاعتداء احاطه الاسلام بفيوض من اخلاقياته فلا يتجاوز الاعتداء الذي وقع والا انقلب ظلما .

ويروي لنا التاريخ بان يهود لم تستطع على الوثيقة صبرا ، وان روح الغدر الكامنة في نفوسهم تحركت وغاظهم ان ينتشر الاسلام بهذه السرعة وان مكائدهم لم تفلح في ايقاف ذلك الاعصار الجارف الذي دمر امامه الخرافات والاباطيل وكشف ما زيفوه من التوراة وفضحهم إذ ادعوا انهم الشعب المختار ، فألبوا القبائل عليه واشتركوا معهم في قتاله ثم تحدوه بطريقة سافرة وحاولوا تفتيت الجبهة الداخلية باثارة الوقيعة بين الاوس والخزرج وايقاظ العداء القديم ، لكن النبي عليه الصلاة والسلام كشف مؤامراتهم وعرف المؤمنون ما يضمره لهم يهود .

وبات وجود يهود ظهراني المسلمين في المدينة خطرا يتهددهم ولا بد من التخلص منهم تمكينا للدعوة من الانطلاق دون قيود ، فخرج اليهم المسلمون وقضوا على وجودهم نهائيا وتخلصت المنطقة العربية من شرورهم ، وانطلق الاسلام الى آفاق لم يكن بالغها في وجود تلك الشراذم العاتية .

وعاد الاسلام الى مسقط رأسه ظافرا منتصرا بغير قتال واندفع الناس يدخلون في دين الله افواجا ، وهم يرون محمدا قد نسى في ساعة النصر كل مساءاتهم وتحقق الهدف بفضل خطة محكمة وسليمة دقيقة الحساب ، وبفضل وحدة جماعة المؤمنين وتماسكهم وحققت الهجرة اهدافها وان ذهبت باناسها ، لكنها بقيت لنا على طول التاريخ ذكرى وعبرة .



الجهاد

● ديننا لا يعرف الضعف ، ولا يستسلم للهزيمة ، ولا يقبل الدنية ، ولا يرضى لأتباعه الهوان والضياع والذل .

● فما بالنا تكال لنا الضربات القاتلة ، ويسبى أطفال المسلمين ونساؤهم ، وتسحق اقدام الأراذل جماجم الأحياء والأموات على السواء .

● ومأساة العصر في لبنان تدور طواحينها فتفرز اشلاء المسلمين .. ويتحد السلاح الكافر في يد الحاقد اليهودي ، والغادر الكتائبي ، والعميل الخسيس .. وترتفع اصوات النساء والصبيان والشيوخ .. « وا اسلاماه » !.. ولا مجيب ..

● ويجتمع من قبل المذبحة زعماء المسلمين .. ويحاربون بالقرارات ، والتوصيات ، والتهديدات ، ثم يأتي الشجب والاستنكار ، واعلان الحداد .. والتوقف عن العمل .. وتغيير برامج الاذاعات والتلتفزيونات العربية ، وتلاوة القرآن الكريم على ارواح الأبرياء الذين ذهبوا ضحية المكر والخداع والتآمر والعمالة ، وكأن القرآن كتاب أموات لا منهج حياة للأحياء !

● عجيب امرنا والله .. نضع مصائرنا على اعتاب الباب العالي الأمريكي .. وهو الذي قتلنا بسلاحه .. وأخرج مقاتلينا من مواقعهم بمكره ودهائه ، وخدع حكامنا بوعوده الكاذبة .. واطلق يد العدو لتعمل قتلا وذبحا في رقاب المسلمين .

● ومجلس الامن ، وهيئة الأمم ، والضمير العالمي .. وحقوق الانسان .. كلها مسميات بلا مضامين .. فلا خير فيها .. ولا امل .. والعدو لا يفهم الا منطق الحديد والنار ..

ولقد قال شاعرنا قديما :

السيف أصدق إنباء من الكتب   في حده الحد بين الجد واللعب

● وبعد .. فمتى نعمل من اجل الجهاد في سبيل الله ؟ اننتظر حتى يدخل العدو ديار المسلمين ؟ انه قد دخلها واغتصبها وشرد اهلها منذ عام ١٩٤٨

وما قبله .. وبسط نفوذه وما يزال على اراض اخرى اسلامية .. فماذا ننتظر ؟.. اليس الجهاد فرض عين في بعض حالاته..فمتى يكون كذلك اذا لم يكن الآن ؟..

● شعوب اسلامية كثيرة مقهورة من حكامها ، تحاسب على الكلمة ، والعقيدة ، والرأي الحق ، وتذوق شتى انواع العقاب على غير ذنب .. فماذا يمنع هؤلاء القادة ان يجهزوا من شعوبهم افرادا - غير مرغوب فيهم - يجهزوهم بالعتاد والسلاح ويمدوهم بالمؤن والمعونة ويفتحوا امامهم الطريق .. ليسطروا البطولات الاسلامية من جديد في ساحات الشرف والجهاد ، واذا انتصروا - وهم منتصرون بعون الله - كان في ذلك عز الجميع ، واذا استشهدوا ففي سبيل الله قدموا أرواحهم ، فقط على حكوماتنا ان تستطيع الدفاع عن نفسها .

● ان أمة الاسلام أمة عظيمة ، لا تصاب بالعقم ابدا ، فلله جنود من الناس يستطيعون ان يعيدوا الحق الى اهله ، ويذلوا الباطل ، ولا يخشون احدا إلا الله .

قال تعالى : « **يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم** » .

● واذا كنا لا نرغب في القتال لمجرد القتال ، ولا نحب سفك الدماء لمجرد سفك الدماء ، واذا كان ديننا هو دين السلام ، الا أنه يرفض الاستسلام للعدو ، او الفرار من ميدان القتال ..

قال - صلى الله عليه وسلم - : « **يأيها الناس ، لا تمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف** » .

● يا قوم الزحف الاسلامي قادم ، والكرامة الاسلامية يصونها المجاهدون ، بالثبات على الحق حتى النصر او الشهادة .. وذاك وعد الله القائل سبحانه :

« **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة عرفها لهم . يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم** » .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

من آيات الله في خلقه

كائنات بدائية تعاونت، فصمدت وعاشت!

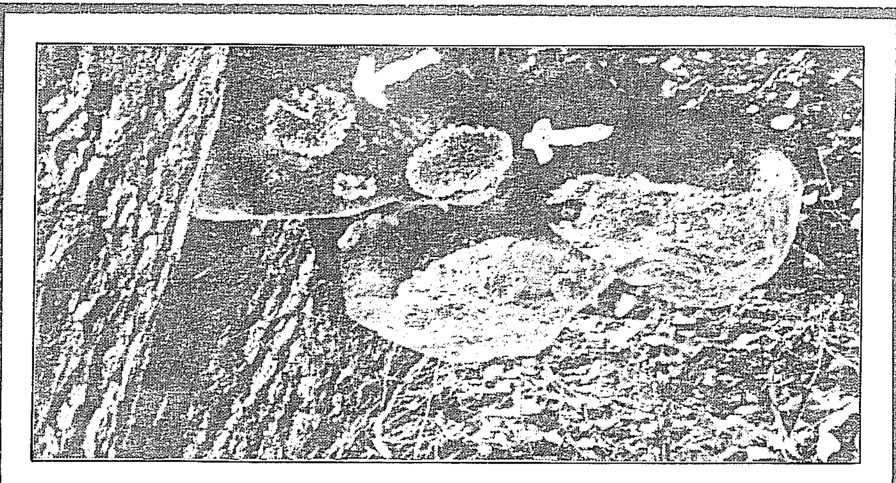
للدكتور

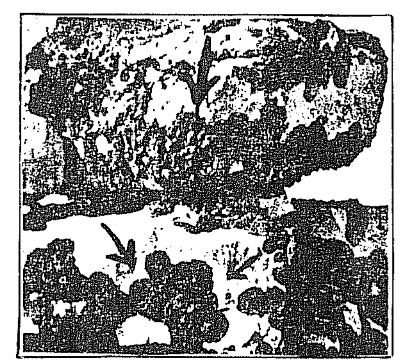


عبد المحسن صالح

التعاون في الحياة شيء طيب ومطلوب ، فما تعاون قوم على خير ، الا وجنوا خيرا كثيرا ... مبدأ منطقي هام ومعروف ، ولقد عبر عنه القرآن الكريم اجمل تعبير : (**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله**) المائدة/٢ . وفي الحديث الشريف : « يد الله مع الجماعة » رواه الترمذي .

لكننا - وبحكم تخصصنا - لن نتعرض هنا لمبادىء التعاون في الدين والدنيا على مستوى البشر ، فلهذا فقهاؤه من رجال الدين ، وعلماؤه من المتبحرين في علم الاجتماع والسلوك والاخلاق ، ثم ما اكثر ما قيل ويقال في هذا المجال ، وما اوفر النصائح





١ ـ صورتان للاشن وهي تلتصق على الصخور والاحجار (مشارا اليها بالاسهم).

المنطوقة والمكتوبة ، وما اجمل التوصيات والقرارات التي تتمخض عن الندوات والمؤتمرات ، علها تطبق في الدول والجماعات ، لكن ما من سميع او مجيب ، وها هو حال الدول العربية عامة ، والاسلامية خاصة ، شاهد على ما نقول ، فما اكثر الخلافات ، وما اشد العداوات ، خاصة عندما تؤدي الى حروب تسفك فيها الدماء ، ونرجو ان يكون ذلك سحابة صيف عما قليل تقشع .

ولست هنا من دعاة النصيحة الحسنة ، ولا الموعظة الطيبة ، فهذه وتلك تترددان بيننا ليل نهار ، دون ان يتمخض ذلك عن صلاح الحال ، لكننا سنتعرض هنا لصورة رائعة من صور التعاون التي حلت ببعض كائنات ظهرت قبلنا على هذا الكوكب بمئات الملايين من السنين ، ومع ذلك فقد هيأ الله لها من امرها رشدا ، فصمدت وسارت كل هذا العمر الطويل .

مواثيق رائعة

فرغم ان الانسان هو المخلوق

الوحيد الذي ينظم حياته بقوانين معروفة ، ومواثيق مكتوبة او منطوقة ، نتيجة لعقله الراجح ، وفكره الصائب ، الا انه في بعض الاحيان يخل بالمواثيق الكائنة بينه وبين ربه ، او بينه وبين كل ما حوله ، سواء كان ذلك فيما يتعلق بعلاقاته مع الناس ، او مع البيئة التي يعيش فيها ، فيكون الخلل الذي لا يمكن ان تستقيم معه حياة رشيدة ، او علاقات وطيدة ..

والى هذا المعنى ايضا يشير القرآن الكريم : **(ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق)** الاعراف/١٦٩ : **(والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل ويفسدون في الأرض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)** الرعد/ ٢٥ . الى آخر هذه الآيات التي تعرضت للمواثيق في سور غير قليلة .

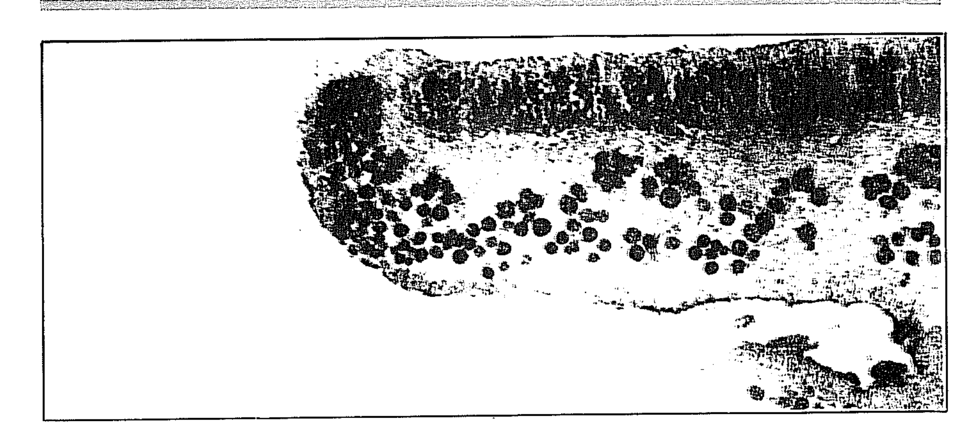
ومع اننا ارقى مخلوقات الارض ، ثم نفعل ذلك ، الا ان هناك كائنات صغيرة وبدائية قد احترمت مواثيقها بدرجة قد تنال من غرور الانسان وكبريائه ، فرغم ان هذه المواثيق غير مكتوبة ولا مسجلة ولا منطوقة ، الا انها واجبة النفاذ بين هذه الكائنات التي نعتبرها في ادنى درجات الخلق ، فلم يحدث ان اخلت بشرط من الشروط ، او تلاعبت ببند من البنود ، بل تحترمها وتسير على هديها ، وكأنما هي تقدم لنا درسا عظيما في معنى الحياة ، ولا حياة بدون نظام ولا مواثيق لو كنتم تعلمون !

من اجل هذا قدمنا تلك الدراسة ، فلعل فيها العبرة لمن اراد ان يتأمل ويعتبر بنظم اوحيت في هذه الكائنات البدائية وحيا جميلا ، وترك الانسان لعقله ، وبه يعرف الخطأ من الصواب : **(انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا)** الانسان/٣. فالحق بين ، والباطل بين ، لكن اكثر الناس عن الحق لا هون !

علينا ـ اذن ـ ان نقدم احد هذه الكائنات التي تآلفت وتعاونت ، فصمدت وعاشت ، وفوق هذا فقد عمرت الارض ومهدتها ، لتكون صالحة للزرع والضرع ، ولا زالت تقوم بعملها هذا الى اليوم ، رغم انها قد بدأته من مئات الملايين من السنين ، وسوف نعود لتوضيح ذلك فيما بعد .

فالذين اوتوا شيئا من التأمل وقوة الملاحظة ، ونظروا الى صور الخلق من خلال « مرآة » العقل ، لا شك ستقع عيونهم يوما على اشياء اشبه بقشور تلتصق على قلف الاشجار ، او تتشبث بالصخور او قطع الاحجار .. قد تحسبها ميتة ، لأنها احيانا تجف تحت حرارة الشمس الحارقة ، فاذا مسها ندى او رطوبة او مطر ، اهتزت وربت ولانت ، لكن لا عليك من كل ذلك اذن ، لأن الحياة تحتوي على كل ما هو غريب ومثير .

فمن خلال دراساتنا لامثال هذه الكائنات ، والتي نعرفها باسم الاشن « مفردها اشنة » يتبين انهما كائنان في كائن واحد ، ولقد تعاونا معا ليكونا



٢ ـ شريحة في الاشنة توضح النسيج الفطري
وهـو يحيط بخلايـا الطحلب (الدائـرية اوالبيضاوية).

اجناسا وانواعا شتى ، ومن خلال هذا التعاون الوثيق استطاعا ان يقهرا كل الظروف الصعبة ، فعاشت انواع منها على ثلوج القطبين ، وانـواع اخرى في الصحاري الحارة ، وغيرها تشبثت بجذوع وفروع الاشجار ، او حتى على اسطح المنازل في المناطق الباردة .. وبالاختصـار فقد اثبتـا وجودهما بعناد بالغ في بيئات قاسية قد تتهاوى فيها الكائنات الاخرى وتموت !

خذ وهات

ان الاشنة تمثل لنا شريكى حياة ظلا متعاونين منذ عشرات او مئات الملايين من السنين ، دون ان يخل احدهما بمواثيقه او تعهداته نحو الاخر ، ويحضرنا في هذا المجال ، حـديث للـرسـول عليـه الصـلاة والسلام : « يد الله على الشريكين ما لم يخن احدهما صاحبه ، فاذا خان احدهما صاحبه رفعها عنهما » رواه ابو داود والحاكم ـ وكـأنما هـذا الحـديث ينطبق ايضا عـلى حالـة شريكي حياة وممات ، ذلك انهما اذا عاشا ، عاشا معا ، واذا اكلا ، فكل شيء بـالعـدل والقسطـاس ، واذا خلفتهما ذرية ، جاءت الذرية بجزء من هذا وجزء من ذاك ، واذا ماتا ايضا ، ماتا معا .

والاشنة تتكون من طحلب وفطر ، وللطحالب عموما حياة تختلف اختلافا واضحـا عن الفطريـات ، وبيئتها الاسـاسية ميـاه البحار والانهـار والبحيرات والمستنقعات ، او احيانا عـلى بيئة ارضيـة تتميـز بـالبلـل والرطوبة ، ولا يمكن ـ والحال كذلك ـ ان يهجر الطحلب بيئته المائية او الـرطبـة ، ليعيش عـلى الصخـور والاحجار ، والا كان مآله الجفاف والمـوت في غضون سـاعات ، لكن مواثيقه غـير المكتوبـة مع شـريك

حياته ـ اي الفطر ـ قد هيأت له حياة ارضية ، فهجر بيئته المائية الى غير رجعة !

اما الفطر فنوع من العفن الذي يتكون من خيوط حساسة ودقيقة ، وانت تستطيع ان تراه على قطعة خبز رطبة تركتها لبضعة ايام في مكان دافىء ، فترى عليها مستعمرات فطرية ذات اشكال والوان مختلفة .

لكن كل هذا قد لا يهمنا بقدر ما يهمنا ان نعرف ان الكائنين من قسمين مختلفين من اقسام مملكة النبات ، وهما لبساطتهما يعتبران من النباتات الدنيئة او البدائية جدا ، لكن بداوتهما قد تحولت الى حضارة ، فاستقلا بحياة من نوع جديد ، وهي تشير الينا من طرف خفي بان الله يخلق ما يشاء بغير حساب ، ويؤلف بين الذين قد تفرقت بهم سبل الحياة ، حتى لو كان ذلك على مستوى طحلب وفطر !

لكن .. ما هو الدافع الى ذلك ، خاصة وان عشرات الالوف من انواع الطحالب او الفطريات تحيا حياة مستقلة ، ودون ان يحتاج اي نوع منها للاخر ، او يعتمد عليه ؟

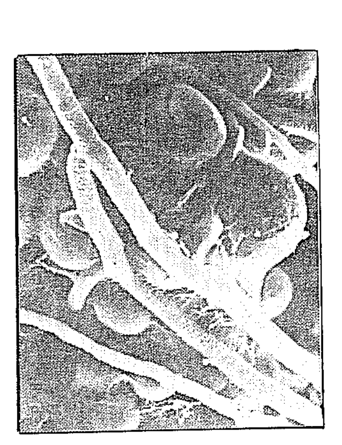
الواقع ان احدا لا يستطيع ان يقدم تعليلا مقبولا ومقنعا في هذا المجال ، اذ احيانا ما تضع لنا الحياة طرزا من الالغاز ، فيتخبط فيها العقل دون ان يصل الى قرار ، المهم ان هناك تمثيلية حكيمة نصبتها الحياة على خشبة مسرح الاشنة ، لنشهد احداثها من خلال هذين الكائنين ، وبعد ان نرى فصولها ، تتركنا في حيرة ، لنعلل ما شاءت لنا عقولنا من تعليلات ، لكننا لو اخترنا لها عنوانا يناسب الحال ، لكان هذا العنوان هو « التعاون في الحياة وعلى الحياة » .. او كما يعن لبعض العلماء تسميتها « حياة التكافل » او « تبادل المنفعة » ، او « اكفلني واكفلك ».. او ـ « خذوهات » .. او ما تشاء من مسميات ، لكن بعد ان نطلعك على اصول التمثيلية التي تنطوي على حكمة تجذب لاصالتها عقول العلماء والمفكرين والحكماء !

سوق تجارية لها مغزاها

وكما نتبادل نحن سلعنا على مستوى الاسواق المحلية او العالمية ، مع ما قد يعتريها في بعض الاحيان من بخس في الكيل والميزان ، او تحقيق ارباح ظالمة على حساب الغير ، كذلك يتبادل الكائنان في الاشنة سلعا كيميائية دون ان يغمط احدهما حق الاخر ، وكأنما هناك موازين منصوبة ، تتوازن كفتاها بين اخذ وعطاء ، فتؤدي الى توازن الحياة ذاتها بين السكان ـ نعني خلايا الفطر ، وخلايا الطحلب !

ان الطحلب بذاته ـ وكما ذكرنا ـ لا يستطيع ان يعيش معرضا للحرارة والجفاف ، فخلاياه جد رقيقة وحساسة ، ولهذا كانت بيئته الطبيعية في الماء ، ومع ذلك فأحيانا ما ينتشر على الصخور والاحجار في قيظ الصحراء ، وهذا تناقض صارخ ،





الصورة العليا بالميكروسكوب الاليكتروني وفيها تظهر خلايا الطحلب (بيضاوية الشكل) وحولها يتفرع النسيج الفطري (على هيئة خيوط حية).
والصورة السفلى رسم توضيحي للكائنين ، لاحظ الاتصال الوثيق بينهما ليتبادلا عناصر الحياة .

لكن المتناقضات قد تزول بالتعاون ، فجاء الفطر ليحيط صاحبه بنسيج من خيوطه ، ويحميه في الداخل ، وكأنما هو يدثره ويغطيه ، بحيث لا يؤثر الجفاف فيه ، بل ويحفظ عليه ماءه الذي يتوازن بحساب ومقدار مع حياته ، ومع ان الماء شحيح ونادر في الصحراء ، او في قلف الاشجار ، الا ان الكائن الفطري قد جاء بنسيج كثيف ومغزول ومتداخل بحيث يعطيه ذلك القدرة في الحصول على الماء من بخار الهواء ، اومن الندى الخفيف في الصباح الباكر ، فيقتسمه قسمة عادلة مع رفيق حياته ، او قد تجود السحب العابرة ببعض مائها بين الحين والحين ، فيؤدي ذلك الى نمو وانتعاش ، ويحتفظ ببعضه للايام العجاف !

لكن المشكلة ليست مشكلة ماء فحسب ، بل تبرز ايضا العناصر الغذائية اللازمة لاستمرار الحياة ، فالفطر بذاته لا يستطيع ان يشكل هذه العناصر البسيطة ويبنيها على هيئة مادة حية ، ولا بد والحال كذلك ان يعيش رماما على المواد العضوية المتحللة ، او متطفلا على النبات والحيوان .. ان العفن الذي نراه على الخبز المهجور ، او في الثمرات والفواكه والخضراوات العطنة ، انما هي انواع من الفطريات التي تحصل على غذائها منها عندما تحللها وتخمرها بعصاراتها الهاضمة ، ثم تمتصها ، وتعيش عليها ، وهي لا تختلف من حيث المبدأ عن عصاراتنا الهاضمة ، فنحن نهضم طعامنا في

امعائنا ، لكن الفطريات تفرز عصاراتها في الخارج على الطعام ، ثم تمتصه بحالة بسيطة وميسرة .

لكن الفطر الذي يعيش مع صاحبه الطحلب على قلف الاشجار الجافة ، او حتى على الصخور والحجارة ، لا شك نوع أو انواع غريبة من الفطريات ، فهو يوقع افكارنا مرة اخرى في تناقض واضح ، لأن الصخور مثلا لا تحتوي على اية مادة عضوية تكفي لاطعام نملة ، فما بالنا بأشنة اكبر من النملة بعشرات او مئات المرات ؟ وكيف ينمو الفطر على الصخر ، وليس فيه ما يسمن او يغني من جوع ؟

الواقع ان رفيق عمره ـ الطحلب ـ قد تكفل بهذه المهمة ـ لأنه هو الذي يقوم بتجهيز المائدة .. لقمة له ، ولقمة لمن دثره وحماه بجزء من نفسه او نسيجه ، وبذلك يقتسمان لقمة العيش ، او ما استوى من عناصر الغذاء ، سواء كان ذلك في السراء او الضراء ، اذ احيانا ما تسوء الظروف ، والنعمة لا تدوم ، لا بين بشر ، ولا مع اشن !

يفتت الصخر بحثا عن العناصر

ان الطحالب كائنات خضراء ، مثلها كالنباتات سواء بسواء ، بمعنى انها تمتلك مادة خضراء تعرف باسم « الكلوروفيل »، والكلوروفيل بمثابة بطاريات شمسية حية ودقيقة غاية الدقة ، وبهذا يستطيع الطحلب ، وكذلك اي نبات اخضر ، ان يستخدم هذه البطاريات في اقتناص الطاقة الشمسية ، وتحويلها الى طاقة كيميائية ، يدير بها عملياته الحيوية ، ويكون بها من العناصر البسيطة او غير العضوية ، خاماته الغذائية .. وهذه تتمثل لنا في بروتينات وسكريات ونشويات ودهون وفيتامينات .. الخ ، والطحلب يقوم بتجهيز الوليمة ، فيأخذ نصيبا ، ويعطي شريكه نصيبا !

لكن لا شيء يأتي من لا شيء ، فلكي يقوم الطحلب بتجهيز المائدة ، فلا بد من عناصر اولية وبسيطة ، ليصنع من خاماتها تلك الوليمة .. فمن اين يحصل على تلك العناصر ، وهو مدثر بنسيج الفطر ، ولا صلة له بتربة او صخر ؟

لقد تكفل الفطر بهذه المهمة ، وهي مهمة جد عويصة ، خاصة اذا كان يعيش على الصخور ، اذ ليس عليها شيء يصلح للحياة ، وليس له ايضا جذور ، ولو كانت ، لما استطاع ان يفتت الصخور ، لكنه مع ذلك يفتتها ، رغم ضعف حاله ، ورقة خيوطه ، فلقد امتلك لذلك احماضا يفرزها ، فيذيب الصخر والحجر ، صحيح ان العملية جد بطيئة ، لكن اعطها عمرا ، تعطك نتيجة اكيدة ، وبمرور ملايين فوق ملايين من السنين ، تمهد الاشن الصخور ، وتفتتها ، وتحولها الى بيئة تصلح لغزو كائنات اخرى صغيرة ، ثم قد تتبعها كائنات اكبر ، فاكبر ، ولهذا يعتبر العلماء ان هذه الاشن من الرواد الاوائل التي شاركت في تمهيد الصخور القديمة ، لتصبح بيئة صالحة لسلسلة من الكائنات التي

تبعتها في الظهور من قديم الزمن ، حتى جاء الانسان ليجد كل شيء ممهدا ، ومن وراء ذلك يد خفية ، ممثلة في عمل متناسق ومتعاون قام به جنود مجهولون لا يزالون يؤدون عملهم حتى يومنا هذا ، دون ضجة او دعاية ـ كما يفعل البشر !

المهم ان الاشن تذيب وتمتص من الصخر عناصره البسيطة ، هذا بالاضافة الى ما يجود به عليها الغبار المتساقط من عناصر بتركيزات جد ضئيلة ، او ما تسوقه اليها مياه الامطار في فترات متقطعة ، ومع انها تكتفي باقل القليل ، الا انها صامدة في مكانها صمود المجاهدين الصابرين ، ففي فترات الرخاء ، تنمو على الصخر وتنتشر وفي ايام الشقاء تجف وتتصلب وتنكمش ، حتى لكأنما هي من الاموات ، فاذا اصابها شيء من بخار او ندى او رذاذ : **اهتزت وربت** على حد تعبير القرآن الكريم !

نقول قولنا هذا ، لأن الاشن رغم قلة حيلتها ، تستطيع ان تقاوم البرودة القاسية ، والاشعة الحارقة ، والجفاف الشديد الذي لا يقدر عليه اي كائن اخر ، ورغم هذه الظروف ، نراها تعمر في مكانها مئات السنين ، او تنتشر على ما حولها من صخور ، لتفتت وتذيب وتمهد لنفسها ولغيرها من كائنات شتى .

من خامة اولية .. الى وليمة جاهزة

على الفطر اذن ان يسعى سعيه الشاق فيما تأهل له ، وتخصص فيه ، فهو خبير ـ كما سبق ان ذكرنا ـ بتجميع الماء ، وامتصاص العناصر ، وحماية صاحبه الرقيق الحساس الساكن في الداخل ، لكن الفطر لا يستطيع ان يستفيد بما امتصه ، والطحلب قادر على ذلك ، ولهذا يتفرع الفطر بنسيجه حول خلايا الطحلب ، ليعطيها العناصر التي لا فائدة له فيها ولا مأرب ، فيقوم الطحلب بتصنيعها على هيئة بروتينات ودهنيات وفيتامينات ، كما انه ضليع ايضا في تكوين السكريات والنشويات من غاز ثاني اكسيد الكربون والماء بمساعدة الطاقة الشمسية ، فيسحب الفطر منها نصيبه ، ويترك للطحلب نصيبه .. انها قسمة عادلة ومتوازنة ، ولا بد من ذلك ، والا لاختلت امور التوازن ، ولا حياة مع خلل: (**ولكن اكثر الناس لا يعلمون**) سبا/٢٨ .

ان المبدأ الاساسي الذي تقوم عليه حياة هذين النوعين من الكائنات الكائنين في كيان واحد ، هو مبدأ التبادل المنظم ، او التوزيع المنسق ، او التخصص في الاداء .. عملا لا قولا ، فكل مجهود يقوم به احدهما ، يجد التقدير عند الاخر .. لا ظلم ولا طغيان ولا بخس في الميزان ، ولقد طبقا ذلك بصورة تحطم غرور الانسان ، والى ذلك يشير القرآن الكريم : (**لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون**) الزخرف/٧٨ .

ولقد بلغ التآلف والتعاون بين الفطر والطحلب درجات وددنا لو انها كانت من نصيب الانسان ، اذ حاول العلماء التفرقة بينهما ، وقدموا للطحلب ما يهواه ، وللفطر كل ما يطمع فيه من خيرات هذا الكوكب ، لكنهما

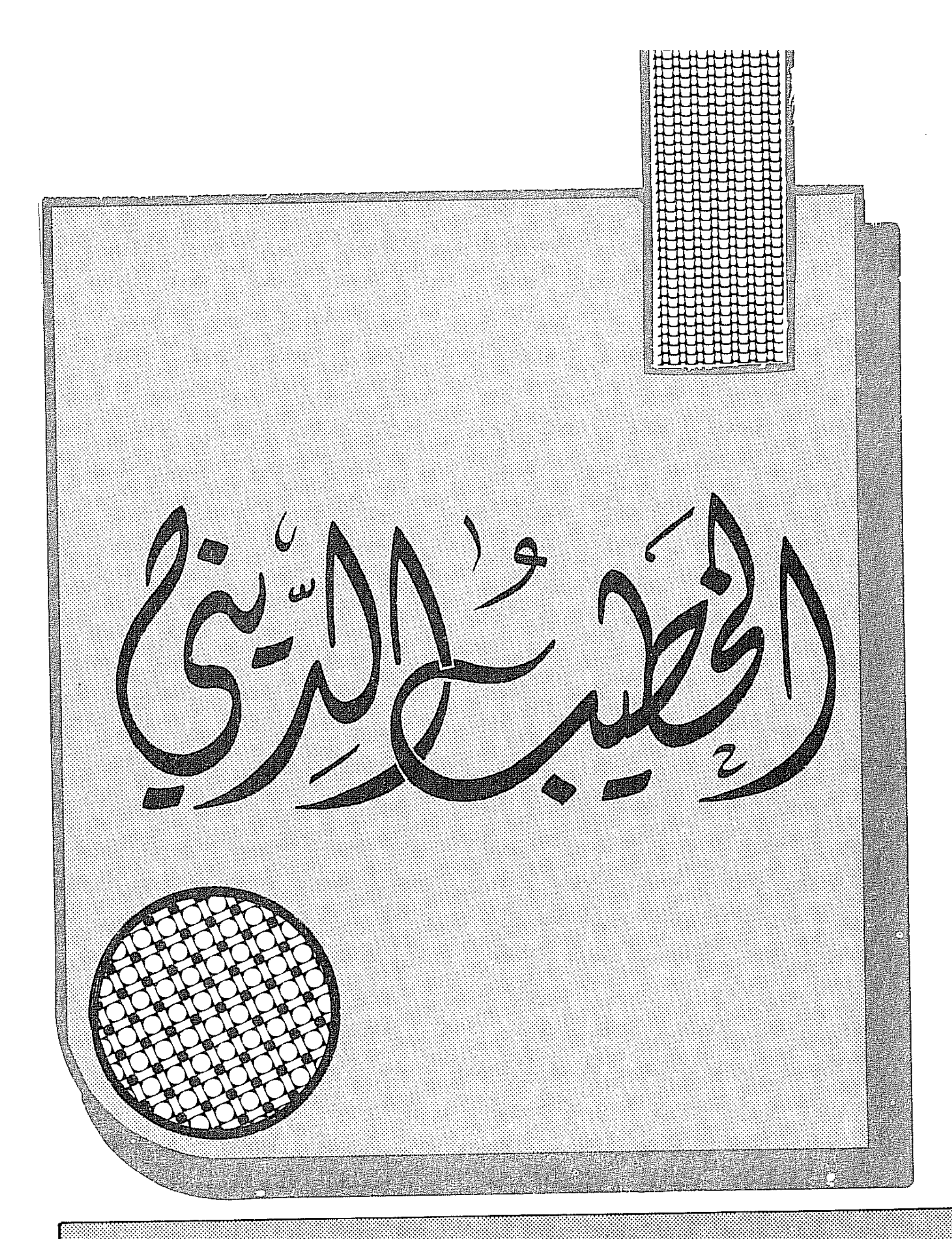
لم يستجيبا لهذه الاغراءات ، بمعنى ان كلا منهما قد توقف عن النمو والتكاثر ، وكأنما هو يفتقد شيئا غاليا ، وعندما جمع العلماء شمل هذا وذاك ، تآلفا ، وسارت بهما الحياة سيرها الطبيعي .. قصة هائلة من قصص الوفاء النادر ، رغم ان هذه الكائنات من ادنى وابسط صور المخلوقات !

انها على اية حال علاقات قديمة ، وروابط وثيقة ، ومواثيق غير مكتوبة ، لكنها مع ذلك تحترم ودون ان يخل احدهما بالتزامه نحو شريكه ، وهذا ما لا يقدر عليه البشر ، فكل منهم يريد ان يستولي على ما ليس له حق فيه ، الا من رحم الله !

ولقد بلغ التآلف في هذه الكائنات مداه الى الدرجة التي اصبحت ذريتهما مشتركة ، فلا تطغى ذرية احدهما على الاخر ، بل يأتي الخلف على غرار السلف ، ولن نتعرض هنا للوسائل المختلفة التي تنتهجها هذه الانواع من الاشن في تكوين ذرياتها ، لتنتشر طولا وعرضا في الزمان والمكان ، فالحديث في ذلك يطول ، لكن يكفي ان نذكر ان اجزاء من نسيج الفطر تدثر خلايا من الطحلب ، وتحفظها من تقلب الظروف ، وهذه الوحدات الصغيرة بمثابة « الانجال » التي تهاجر الى افاق جديدة ، لتؤدي رسالتها نحو نوعها ، ونحو تمهيد الارض لغيرها ، لتعمر بمن فيها . انه تعاون في الحياة وحتى الممات .. ولكل نصيب مما قدم نحو الاخر .

والواقع ان صور التآلف والتعاون لا تقتصر فقط على فطر وطحلب ، بل لنا فيها ايضا نصيب ، ففي داخل امعائنا ميكروب نحتضنه من المهد حتى اللحد ، ولو غاب ، لغابت عنا بعض مركبات لا نستطيع لها في اجسامنا تصنيعا ، وعندئذ تظهر علينا اعراض مرضية لا تختفي الا بعودة ما غاب عنها .. وما يجري علينا يجري على حيوانات المرعى ، فلها ايضا ميكروب من نوع اخر ، ولولاه لما كانت .. وصور اخرى كثيرة قد نتعرض لها في دراسة او دراستين ، فهذا وغيره يوضح امورا غابت عن مداركنا ومدارك الاجيال السابقة ، وهي تشير الى ما في الخلق من اسرار ، لو اننا وعيناها ، لكان لنا بين العالمين شأن يذكر : (**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات**) المجادلة/١١ . فالعلم في اية صورة من صوره ، انما هو قوة في الدين والدنيا ، وهو فوق ذلك يكشف الستار عن ايات الله في خلقه : (**وفي الأرض آيات للموقنين**) الذاريات/٢٠ . ولا شك ان هذه الصورة من صور التعاون التي قدمناها في هذه الدراسة تشهد بان الله قد خلق فقدر فسوى فأبدع :

(**صنع الله الذي أتقن كل شيء**) النمل/٨٨ : (**الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**) طه/٥٠ . ولن يتضح لنا معنى هذه الايات ، الا اذا بحثنا في اسرار الكون والحياة ، لنعلم ما لم نكن نعلم (**وما اوتيتم من العلم الا قليلا**) الاسراء/٨٥ .



الخطيب الديني

للأستاذ / ابراهيم علي ابو الخشب

تعول الأمم والجماعات على ما تسميه وسائل الاعلام ، ولا تفتأ ما بين وقت وآخر تعمل على تطويرها ، وادخال الجديد الذي يضمن لها قوة التأثير ، وأداءها لمهمتها على أكمل الوجوه وأحسنها ، لاعتقادهم أن الايمان بالفكرة ، والاذعان للمبادىء والاستجابة للرغبات ، وحمل الناس على سياسة معينة ، يتوقف إلى مدى بعيد على الدعاية له ، والتنويه به ،

وبيان جوانب الفضل من الاقبال عليه ، والرغبة فيه ، والحب له ، وهذه الوسائل مهما كان لها من الفاعلية او الأثر ، فان أعظمها عائدة وفائدة الخطابة ، وقد كانت هي السلاح الحاد لدى الأمم جميعا ، استعانت به ، واستفادت منه ، والتجأت اليه ، وأدى دوره الفعال في استقرار الأمور ، وانتصار السياسة ، وتمكين السلطان ، وتوطيد دعائم الملك ، والعرب وهي أمة بيان ولسن ، وفصاحة وبلاغة . كانت توليها شأنا عظيما ، والخطيب منهم كان لقبيلته بمثابة القوة الضاربة التي يعولون عليها في رفع الراية ، ونباهة الشأن ، واحترام الجانب ، وكان له من الاجلال والاحترام اضعاف اضعاف ما كان للشاعر على الرغم من تقديرهم للشعر وللشعراء ، وأنهم ـ كما يقول ابن رشيق في كتابه العمدة ـ ما كانوا يهنأون الا بغرس تنتج او شاعر يولد ، وذلك لأن الخطيب مع ذرابة لسانه ، وقوة بيانه ، وفصاحة اسلوبه ، وسلامة ألفاظه ، كان معروفا باستقامة الخلق ، وطهارة العرض ، ونقاء القلب ، وسلامة الضمير ، وحسن الأحدوثة ، ونظافة التاريخ ، ولهذا كانوا مع تلك المواقف المشهودة له ، يحكمونه في الخصومة ، ويعتمدون عليه في السفارة ، وينزلون على رأيه اذا اشتد بينهم النزاع ، وكان اعتقادهم فيه انه انسان مرموق ما في ذلك شك ، وكانوا على خلاف ذلك كله مع الشاعر ، وإن كان يتحدث باسمهم ، ويدافع عن اعراضهم ، وبخاصة اذا أضافوا الى ذلك أن معينه الذي ينفق منه هو الكذب الذي لا تتورع عنه السوقة ، ولا تتجنبه الدهماء ، ولا تخلو منه الطبقة الدنيا من الناس ، والشعر ـ كما يقولون ـ اعذبة أكذبه ، ولأمر ما جعل الاسلام الخطابة احدى شعائره في الجمعة والعيدين لما لهما من هذا الأثر الطيب الذي تتركه في نفس السامع ، لترغبه في الحق ، وتوجهه للخير ، وتحببه في السلوك السوى ، وكان الخلفاء المسلمون يقدرون لها دورها في توطيد دعائم السلطان ، واستقرار الأمن ، ولهذا كانوا يباشرونها بأنفسهم ، ليضمنوا ذلك النفع الذي يعود عليهم منها ، وكان خصومهم الذين يكيدون لهم ، او يكدرون الصفو عليهم ، إنما تثبت أقدامهم في الميدان ، ويقدرون على الطعان ، بمقدار ما يساعدهم القول ، ويسعفهم البيان ، أو يؤازرهم المنطق .

والجماعات الدينية ـ الآن ـ وقد انتشرت هنا وهنالك تدعو الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، عمادها الأول والأخير هو هذا اللون من القول ، وذلك الأسلوب من الدعاية ، الذي نسميه نحن بالخطابة الدينية ، وهو ضروري إلى حد بعيد لاثارة الوعي إلى الدين الحنيف ، والفقه فيه ، والفهم لقضاياه ومسائله ، ومعرفة حلاله وحرامه ، وبيان ما تضمنه من سلوك طيب ، وأخلاق حميدة ، ووازع الدين ، وصوت السماء ، من الأمور المهمة التي لها تقديرها في إصلاح البيئة .

وتهذيب الجماعة ، وتقويم الأخلاق ، وقد تقرع هذه المعاني كلها آذان الناس صباحا ومساء ، من اي جهة من الجهات ، أو ناحية من النواحي ، لكن دويها في الآذان ، أو وقعها في القلوب ، لا يكون بهذه المثابة من جلجلة الصوت ، والطنين في الأفئدة ، وتحريكها للنفوس ، كما يكون مصدرها خطيب المنبر في بيت من بيوت الله ، كما تنطق بذلك الآية الكريمة : **(وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا)** الجن/١٨ ، والصوت الذي ينبعث منها من غير شك كأنه صادر عن الملأ الأعلى ، يشيع في قلب المؤمن الرهبة والخشية ، والفزع والتقوى ، والطاعة والامتثال ، والاذعان والاستجابة ، ويحمل الروح على أن تكون دائما أبدا يقظى الى صوت الضمير من داخلها فلا تنحرف ولا تلتوي ، وانما تكون على السنن السوى ، والصراط المستقيم ..

وقد دأبت الأمم والشعوب على أن تصطفى لتلك الخطابة جماعة ممن تتوافر لهم من المزايا والخلال ، والقدرة والاستعداد ، والبيان واللسن ، والفقه والعلم ، والصلاح والاستقامة ، والورع ، ما يجعل منهم أمثلة صالحة لأن يتخذ الناس منهم القدوة المتبعة . التي يحاولون أن يكونوا ظلالها ، أو صورة مكرورة منها وليجد قولهم ـ على الأقل ـ طريقه الى قلوبهم وأفئدتهم .. وإذا كان الاصلاح الاجتماعي في كل زمان ومكان مدينا للقوة التي تدفعه ، والجهود التي تعمل له ، والرجال الذين يرفعون لواءه ، والأصوات التي تنادي به ، فان حملة مشاعل هذا اللون من البيان كانوا هم الرعيل الأول في إصلاح الأمم والشعوب ، والنهوض بالأفراد والجماعات ، لا لأن لهم صوتا أندى ، ومنطقا أروع ، وكلما أكثر بيانا وإفصاحا ، وإنما كان هذا لأن إقناعهم يعتمد على تعاليم السماء التي لا تسف ولا تنزل ، أو تنافق وتداجى .. ولا نبالغ بعض المبالغة إذا قلنا إن الخطابة الدينية مع غزارة مادتها ، وكثرة روافدها ، وفيض معينها من الكتاب والسنة ، ظلت متخلفة عن غيرها من ألوان الخطابة الأخرى .

ولا ندري ما هو السبب المباشر لذلك التخلف ، ويقولون ان جمال الدين الأفغاني ادرك ذلك المعنى منذ زمن فأنشأ مدرسة يقوم الخريجون فيها بملء هذا الفراغ ، وأنشأ بعده رشيد رضا اخرى لتكون امتدادا لها ، ولكن ذلك كله لم يأت بالثمرة المرجوة ، لأن نجاح الخطيب يبتدىء من نفسه هو أولا وقبل كل شيء ، والذي يحيط علما بتاريخ الزهاد والمتصوفين يجد أن فصاحة المنطق ، وذرابة اللسان ، وما اشبه ذلك من آلات البلاغة والبيان ، كانت آخر ما يلتمس لهم من النعوت والأوصاف ، وأن الرجل منهم كان يعظ بسلوكه وعمله ، ودينه وخلقه ، وزهده وورعه ، أكثر مما يعظ بذرابة لسانه ، ونصاعة بيانه ، ولا نكلف خطيب المنبر أن يكون في مسرح الحسن البصري وابن السمان وابن

المبارك وابراهيم بن أدهم وغيرهم ممن كانوا ينابيع حكمة ، ومصابيح هداية ، وأمثلة نادرة للربانيين أو الأحبار . غير أننا نكلفه ألا يكون صورة مشوهة للرجل الذي يقف موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقول للناس هذا حلال وهذا حرام ، ويقتضيه ذلك ـ لا محالة ـ أن يكون على كثير من العلم والأدب ، والفقه والورع ، والزهد والخلق ، ونظافة الظاهر والباطن ، وأن يكون عنده من الالمام بالمسائل ، والمعرفة للأحكام ، ما يجعله استاذا ، فلا يقول قائل ليته ، ولا لو كان ، وإنما يقول عنه القائلون انه يتحيز مكانا مرموقا ، وفراغا واسعا . وهو باعتباره « خطيبا دينيا » ينظر الناس اليه بمنظارين اثنين .. منظار الخطيب اولا ، ومنظار رجل الدين ثانيا ، وكلاهما له حسابه وتقديره ، واجلاله واحترامه ، واذا كان للدين سلطانه على الحياة في الاقتصاد والسياسة ، والحرب والسلم . والجماعات والأفراد . وكل معنى من معاني العيش والاستقرار ، فان الخطيب الذي نتحدث عنه وننشده ، يجب ان يكون صورة طيبة لهذا الدين الذي لا يضيق ذرعا بتلك الحياة التي يحياها الناس .. وقد كانت هذه الخطابة في بعض العصور صورة مهلهلة للصياغة الأدبية . او التفكير الهزيل ، وكان خطباء المنابر يخطبون من ديوان يدور على مدى العام مع المناسبات فلما انتعشت البلاغة ، وازدهر البيان ، تقدمت الخطابة نوعا ما . الا ان شيئا لا يزال عالقا بها ، وهو سجع الجمل ، واجتلاب بعض المحسنات البديعية ، ويقولون ان بعض علماء المذاهب كانوا يرون ضرورة ذلك السجع للموسيقى التي تؤثر في السامع ليخشع قلبه ، ويتحرك وجدانه ، كما يرون ـ كذلك ـ أن تلقى من مكتوب ليضمن الخطيب عدم الارتباك عليه او اللحن او الخطأ وللمنابر رهبتها واضطراب وقوف الناس فوقها .. ولا ينكر احد ان المنابر الكثيرة التي ظهرت في الأدب والسياسة والاجتماع والعلوم والفنون والتقاضي سيكون لها اثرها في انتعاش البيان واللسان ، وكل رصيد يضاف اليها مما يعمل على نهوضها وتقدمها فهو غنم لها ، وزيادة في تمكنها وقوتها ، وقد أدركنا منذ سنوات الأثر الذي احدثته بعض الجماعات الدينية في رقيها وتهذيبها ، ونهوضها وتقدمها .

ووددنا لو ان ذلك كله ظل موصولا ، لان ميزة هذه الجماعة التي كانت تحرص عليها ، أن يكون لأفرادها باع وذراع في اجادة القول ، وفصاحة المنطق ، وقوة البيان ، لكن هكذا اراد الله لهذه الطاقة التي كانت متاحة للخطابة الدينية أن تفتر ، ولهذا المد الثوري أن ينتهي ، وأصبحت المنابر لا تجد من يهزها ، وصارت لباقة اللسان ، وسلامة البيان ، وقوة المنطق ، فيما بيننا هنا وهنالك في البلاد التي تدين بالاسلام وتقضي تقاليدها الدينية ان يكون فيها منابر قول ، ومجالات خطابة ، وميادين براعةوفصاحة نادرة .



للأستاذ / فتح الله محمد حسن الحمدي

للتاريخ الميلادي (الافرنجي) اهمية كبرى في حياتنا وحياة العالم اليومية ، وهذا التاريخ ملء بالذكريات للفرد وللدولة فعلى اساسه يحسب الفرد تاريخ ميلاده وعمره وتاريخ زواجه وتاريخ ميلاد اولاده او مناسبة عزيزة عليه له او لاصدقائه او اقربائه ، وكذلك الحال بالنسبة للدولة فللدولة تاريخ استقلال وتحرر وتاريخ مولد امير او رئيس او وفاته ايضا وهو يحسب بهذا التاريخ .

فنجد ان للتاريخ الافرنجي (الميلادي) اهمية في حياة الفرد والدولة والعالم وهو التقويم السائد والرسمي في معظم دول العالم كانت اسلامية او غير اسلامية .

والمعروف ان هذا التاريخ بدأ بمولد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام . وشهور السنة الميلادية هي يناير ، فبراير ، مارس ، ابريل ، مايو ، يونيو ، يوليو ، اغسطس ، سبتمبر ، اكتوبر ، نوفمبر ، ديسمبر .. ولكل شهر

مناسبة لتسميته بهذا الاسم وهو يرجع الى قدماء المصريين والحضارات الاخرى وليس مجال بحثنا هذا أسباب تسمية كل شهر .
وعدد أيام السنة الميلادية هي ٣٦٥ يوما كل ٣ سنوات (في السنة البسيطة) ، ٣٦٦ يوما في السنة الرابعة وهي ما تسمى (بالسنة الكبيسة) .
ويمكنك عزيزي القارىء ان تعرف اي يوم يوافق للتاريخ الميلادي سواء في الماضي او في المستقبل بمئات السنين .

السنة الكبيسة والسنة البسيطة :

السنة الميلادية على عكس السنة الهجرية **تماما من حيث عدد ايام الشهور** فالشهور الهجرية ٣٠ **يوما او ٢٩ اما في الميلادية ٣٠ او ٣١ في جميع الشهور** عدا شهر فبراير **فهو احيانا** يأتينا ٢٨ **يوما واحيانا ٢٩ يوما وليس هذا متروكا للحظ** او رؤية **هلال لكن بعملية حسابية بسيطة جدا الا وهي** قسمة السنة على ٤ فان كان **الناتج** رقما **صحيحا ولم يبق شيء فالسنة كبيسة** واذا **تبقى** اي كسر فالسنة بسيطة (في السنة الكبيسة **فبراير٢٩ يوما وعدد** أيامها ٣٦٦ **يوما** ـ البسيطة **فبراير** ٢٨ يوما وعدد **أيامها ٣٦٥ يوما) .**
وعدد أيام اشهر السنة **هي يناير ٣١ ـ فبراير ٢٨ / ٢٩ ـ مارس ٣١ ـ** ابريل ٣٠ ـ مايو ٣١ ـ يونيو ٣٠ ـ يوليو ٣١ ـ اغسطس ٣١ ـ سبتمبر ٣٠ ـ اكتوبر ٣١ ـ نوفمبر ٣٠ ـ ديسمبر ٣١ يوما .

واليك بيان ذلك عمليا :

قبل ان ندخل في عمليات احتساب التواريخ الميلادية (الافرنجية) اود ان اوضح للسادة القراء انني سأتبع طريقين او اسلوبين او اكثر وحتى يستوعب القارىء الطريقة المختصرة يجب عليه اولا معرفة الطريقة المطولة والمفسرة الى ابعد الحدود .
كما يجب على القارىء الكريم حفظ المتممات الحسابية الاتية والتي سيأتي شرح استخدامها فيما بعد وهي :
١ ـ شهر يناير يأخذ رقم ١
٢ ـ شهر فبراير يأخذ ٤

٣ ـ شهر مارس يأخذ رقم ٤
٤ ـ شهر ابريل يأخذ ٠
٥ ـ شهر مايو يأخذ رقم ٢
٦ ـ شهر يونيو يأخذ ٥
٧ ـ شهر يوليو يأخذ رقم ٠
٨ ـ شهر اغسطس يأخذ الرقم ٣
٩ ـ شهر سبتمبر يأخذ الرقم ٦
١٠ ـ شهر اكتوبر يأخذ الرقم ١
١١ ـ شهر نوفمبر يأخذ الرقم ٤
١٢ ـ شهر ديسمبر يأخذ الرقم ٦

وهذه الارقام تستعمل من اول يناير ١٩٠٠ حتى ٣١ ديسمبر ٢٠٠٠فقط

مثال :

ما هو اليوم الموافق ليوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣

الحل **العادي اولا :**

احسب **عدد السنوات الكبيسة منذ ١٩٠٠ وحتى ١٩٧٣**

وذلك بقسمة ٧٣ على ٤ = ١ / ١٨

هنا سنستخدم ال ١٨ الصحيحة ونهمل الباقي لعدم اهميته .

ثانيا :

نجمع ال ٧٣ + ١٨ = ٩١

ثالثا :

نجمع ٦ **أيام من اكتوبر** = ٦

رابعا :

اذا نظرنا الى المتممات الحسابية والتي سبق ذكرها نجد ان المتمم الحسابي لشهر اكتوبر يأخذ = ١

خامسا :

المجموع = ٩٨

سادسا : نقسم ال ٩٨ ÷ ٧ (وهو عدد أيام الاسبوع) = ـ / ١٤

هنا لا يهمنا الرقم الصحيح ويهمنا جدا الرقم الباقي

اذا تبقى ١ فيكون اليوم هو الاحد
اذا تبقى ٢ فيكون اليوم هو الاثنين
اذا تبقى ٣ فيكون اليوم هو الثلاثاء
اذا تبقى ٤ فيكون اليوم هو الاربعاء
اذا تبقى ٥ فيكون اليوم هو الخميس
اذا تبقى ٦ فيكون اليوم هو الجمعة
واذا لم يتبق شيء فيكون اليوم هو السبت

وفي مثالنا هذا لم يتبق شيء وعلى ذلك فيكون يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ هو يوم السبت .

القانون العام :

السنة + $\frac{\text{السنة}}{٤}$ + اليوم المراد معرفته + المتمم الحسابي
٧

الحل المختصر : ملحوظات هامة :

١ ـ من خلال الحل العادي السابق يتضح لنا اننا نقسم الناتج على ٧ ولا يهمنا الناتج الصحيح ونهتم بالباقي كما هو في (ثانيا وثالثا) فمثلا يمكننا ان نقول ٩١ = ٠ (قسمة ٩١ على ٧ = ـ / ١٣

وكذلك الحال بالنسبة لليوم المراد معرفته فمثلا اذا اردت معرفة يوم ٢٧ اكتوبر فيمكننا اعتبار رقم ٢٧ هو ٦ (٢٧ على ٧ = ٦ / ٣

وكذلك ٣١ مارس مثلا يمكن اعتباره ٣ (ناتجة عن قسمة ٣١ على ٧ = ٣ / ٤

.. وهكذا واذا صعب عليك ذلك فعليك بجمعها بأكملها وبدون اختصار .

٢ ـ قبل ان تبدأ في احتساب اي تاريخ عليك ان تأخذ رقم السنة على جانب وتقسمها على ٤ اولا ثم نجمع الناتج على السنة نفسها وتقسمهما على ٧ واهمل الباقي من قسمة السنة على ٤ واهمل الصحيح من قسمة مجموع السنة + السنة على ٤ والكل على ٧ فمثلا سنة :

$$٧٣ \left(٧٣ + \frac{٧٣}{٤} \right) = \frac{٧٣ + ١٨}{٧} = \frac{٩١}{٧} = \text{صفر}$$

وهنا اذكرك عزيزي القارىء ان جميع ايام سنة ٧٣ يستعوض عنها بالرقم صفر من ١ يناير حتى ٣١ ديسمبر .

وبالتالي فان ١ ـ ٧٣ + $\frac{٧٣}{٤}$ = ٧٣ + ١٨ = $\frac{٩١}{٧}$ = ٠

٢ ـ ٦ ايام من اكتوبر = ٦

٣ ـ المتمم الحسابي لا كتوبر = ١

٧

٤ ـ بقسمة الناتج على ٧ = $\frac{٧}{٧}$ = ـ / ١ (المهم هنا الباقي وليس الرقم الصحيح)

وحيث انه لم يتبق شيء فاليوم كما ذكرت هو السبت

ملحوظة هامة :

اذا كانت السنة كبيسة (تقبل القسمة على ٤ بدون باق) وجب علينا طرح ١ من مجموع (السنة + $\frac{\text{السنة}}{٤}$) وقبل قسمتـه على ال ٧ في شهري يناير وفبراير فقط ولا نطرح شيئًا في باقي أيام السنة .

مثال (٢) : المطلوب معرفة اليوم الاول ليناير ١٩٦٠
الحل العادي :
١ ـ٦٠ + ٦٠/٤ = ٦٠ + ١٥ = ٧٥ − ١ = ٧٤
٢ ـ١ من يناير = ١
٣ ـ المتمم الحسابي لشهر يناير = ١
٧٦

٤ ـ بقسمة ٧٦ ÷ ٧ = ٦ / ١٠
فاذا تبقى ٦ فاليوم هو الجمعة
الحل المختصر :
١ ـ ٦٠ + ٦٠/٤ = ٧٥ − ١ = ٧٤/٧ = ٤ / ١٠ = ٤
٢ ـ ١ من يناير = ١
٣ ـ المتمم الحسابي ليناير = ١
٦

وحيث انه بقسمة ال ٦ ÷ ٧ ينتج صفرا ويتبقى٦فاليوم هو الجمعة .
مثال (٣)

مطلوب معرفة يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢
الحل :
١ ـ ٥٢ + ٥٢/٤ = ٦٥ = ٢
٢ ـ ٢٣ من الشهر = ٢٣ = ٢
٣ ـ المتمم الحسابي ليوليو = ٠
٤
وبقسمة ال ٤ على ٧ فيتبقى ٤ واذا تبقى ٤ فاليوم هو الاربعاء
ملحوظة : لا حظ عزيزي القارىء ان سنة ١٩٥٢ كبيسة واننا لم نطرح واحدا لوقوع التاريخ المراد معرفته بعد انتهاء يناير وفبراير ولا نطرح واحدا في السنوات الكبيسة الا في يناير وفبراير فقط .
مثال (٤)
مطلوب معرفة اليوم الموافق للعيد الوطني (٢٥ فبراير ١٩٨٢ م)
الحل :
١ ـ ٨٢ + ٨٢ ÷ ٤ = ١٠٢ = ٤
٢ ـ٢٥ من فبراير = ٢٥ = ٤
٣ ـ المتمم الحسابي لفبراير = ٤
وبالجمع = ١٢
وبقسمة ال ١٢ ÷ ٧ = ٥ /١

وحيث انه تبقى ٥ فان اليوم الموافق لـ ٢٥ فبراير ١٩٨٢ هو الخميس

نصائح عامة :

١ ـ اذا تمعنت النظر في اي تقويم في السنوات البسيطة فانك تجد ان أيام شهر يناير واكتوبر واحدة فمثلا اذا كان ٥ يناير يوافق السبت فمن الطبيعي انك ستجد ٥ اكتوبر من نفس السنة السبت ايضا وكذلك الحال مع اشهر (فبراير ومارس ونوفمبر)
اما أشهر (ابريل ويوليو) و (سبتمبر وديسمبر) فانها واحدة ايضا سواء كانت السنة بسيطة او كبيسة .
٢ ـ انصحك عزيزي القارىء بعدم استخدام الالات الحاسبة عند قسمتك على ٧ لان الباقي فيها جزء من ١٠ وليس جزء١ من ال ٧ لذا وجب النصح .

التاريخ الهجري

للتاريخ الهجري اهمية كبرى في حياة الامة الاسلامية وهو ملىء بالمعارك الاسلامية والفتوحات والمناسبات العزيزة على كل مسلم ومسلمة .
والمعروف لدى عامة الناس ان الشهور الهجرية بدأت بهجرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه لكن احب ان اذكر بعض الاخوة ان مولد الرسول صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين ٩ ربيع الاول من عام الفيل ـ الموافق ٢٠ ابريل ٥٧١ ، فمعنى ذلك ان الشهور العربية كانت موجودة قبل مولد الرسول .
لكن انشاء هذا التاريخ كان على يد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في يوم الاربعاء ٢٠ جمادى الثانية بعد الهجرة بـ ١٧ سنة ـ الموافق ٨ يوليو ٦٣٨ م ـ ولقد كانت هجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ٨ ربيع الاول سنة ١ هـ ـ الموافق ٢٠ سبتمبر ٦٢٢م
ومن ذلك كله نستنتج ان اليوم الاول للتاريخ الهجري (العربي) هو يوم الخميس ١ محرم عام ١ هـ ـ موافق ١٥ يوليو ٦٢٢ ميلادية .
وقبل ان ندخل في عمليات معرفة التواريخ الهجرية يجب ان نعلم بأن السنة الهجرية كالسنة الميلادية من حيث انها كبيسة وبسيطة فكما ان السنة البسيطة في الميلادية ٣٦٥ يوما والكبيسة ٣٦٦ يوما كل ٤ سنوات فان السنة

الهجرية ٣٥٤ يوما عامة و ٣٥٥ يوما كل سنتين او ثلاث ، وسوف اشرح ذلك بالتفصيل .

السنة الكبيسة والسنة البسيطة

اتفق العلماء على ان الشهر الهجري ٤٤ ث / ٤٤ د / ١٢ س / ٢٩ يوم
وباحتساب الشهور يتضح ان الشهور ٣٠ يوما ، ٢٩ يوما على التوالي فمعنى ذلك ان الشهر الذي يكون ٢٩ يوما فاننا نجد فيه زيادة مقدارها ٤٤ ث / ٤٤ د / ١٢ س ومن خلال هذه المدة البسيطة فانه يستجمع لدينا ١١ يوما كل ٣٠ سنة .. لذا اتفق العلماء على ان تكون في كل ٣٠ سنة هجرية ١١ سنة كبيسة وهي :
٢ ـ ٥ ـ ٧ ـ ١٠ ـ ١٣ ـ ١٥ ـ ١٨ ـ ٢١ ـ ٢٤ ـ ٢٦ ـ ٢٩
فاذا اردت معرفة السنة الكبيسة من السنة البسيطة اقسم السنة على ٣٠ وقابل الباقي بهذه الارقام فان وافق احداها فهي كبيسة والعكس فهي بسيطة ، ويجب حفظها عن ظهر قلب .

واليك بيان ذلك عمليا :

قبل ان ندخل في عمليات احتساب التواريخ احب ان اوضح للسادة القراء انني سأتبع طريقتين او اسلوبين او اكثر وحتى يستوعب القارىء الطريقة المختصرة يجب عليه اولا معرفة الطريقة المطولة والمفسرة الى ابعد الحدود .

اولا : معرفة غرة اي سنة هجرية :ـ

مثال : اود معرفة اليوم الموافق لاول محرم ١٤٠٢ هـ

اولا : الطريقة المطولة :

اتفقنا على ان السنة الهجرية البسيطة ٣٥٤ يوما والكبيسة ٣٥٥ يوما وان كل ٣٠ سنة يتخللها ١١ سنة كبيسة .
فلمعرفة ذلك اليوم يجب علينا اولا ان نعرف عدد الايام التي مرت منذ بداية التاريخ الهجري وحتى اخر يوم في عام ١٤٠١ هـ .
الحل : ١ ـ اضرب ال ١٤٠١ × ٣٥٤ = ٤٩٥٩٥٤ يوما
هذا ان كانت جميع السنوات بسيطة لكن يتخلل ال ١٤٠١ سنة كل ٣٠ سنة ١١ سنة كبيسة

٢ ـ اقسم ١٤٠١ ÷ ٣٠ = ٢١ / ٤٦ « ٣٠ سنة »
اذاً ٤٦ × ١١ « كل ٣٠ سنة » = ٥٠٦
٣ ـ ننظر الى ال ٢١ سنة الباقية نجد انه يتخللها « ٨ »
سنوات كبيسة وهي :
« ٢ ـ ٥ ـ ٧ ـ ١٠ ـ ١٣ ـ ١٥ ـ ١٨ ـ ٢١ »
والتي اشرنا اليها سابقا = ٨
٤ ـ نجمع عليها ١ « ١ محرم » = ١
وبقسمة عدد الايام منذ بداية التاريخ على ٧ « عدد أيام الاسبوع » يتضح لنا

٤٩٥٩٥٤ + ٥٠٦ + ٨ + ١ ‏/ ٧ = ٤٩٦٤٦٩ ‏/ ٧ = ١ يوم / ٧٠٩٢٤ اسبوع

وكما ذكرنا سابقا ان التاريخ بدأ بيوم الخميس ، وبالتالي فان عدد الاسابيع لا يهمنا بشيء

واذا تبقى من خارج القسمة	١	يكون اليوم موافق الخميس
واذا تبقى من خارج القسمة	٢	يكون اليوم موافق الجمعة
واذا تبقى من خارج القسمة	٣	يكون اليوم موافق السبت
واذا تبقى من خارج القسمة	٤	يكون اليوم موافق الاحد
واذا تبقى من خارج القسمة	٥	يكون اليوم موافق الاثنين
واذا تبقى من خارج القسمة	٦	يكون اليوم موافق الثلاثاء

اذاً لم يتبق شيء من خارج القسمة يكون اليوم موافق الاربعاء
اذاً فان مثالنا هذا يوافق الخميس . ١ محرم ١٤٠٢ هـ .

ثانيا : الطريقة المختصرة :ـ

اننا سنتبع نفس الطريقة بتسلسلها لكن باختصار شديد وقبل الدخول في الشرح عليك معرفة الآتي جيدا :ـ

١ ـ ما دمنا نضرب عدد السنوات السابقة × ٣٥٤ « في كل عملية » وقد نخطىء في عمليات الضرب وما دام لا يهمنا الرقم الصحيح ، فيمكن اختصار الرقم ٣٥٤ بـ ٤
وهو ناتج عن ٣٥٤ على ٧ = ٤ / ٥٠
٢ ـ كذلك الحال بالنسبة للسنة « السابقة » فيمكن قسمتها على ٧ أيضا واهمال الرقم الصحيح واستعمال الرقم الباقي :
مثل ١٤٠٢ ÷ ٧ = ٢ / المهم هنا ال ٢ الباقية فقط .
٣ ـ كذلك الحال بالنسبة لعدد السنوات الكبيسة « كل ٣٠ سنة » فيمكن قسمته على ٧ واخذ الرقم الباقي واهمال الصحيح « في مثالنا السابق ٤٦ »
٤٦ على ٧ = ٤ / ٦
٤ ـ كذلك الحال بالنسبة لعدد ال ١١ « فهو ثابت وهو احد طرفي الضرب » فيمكن قسمته واستبداله بـ ٤

مثال : ما هو اليوم الموافق لاول محرم ١٤٠٢ هـ
الحل :

١ ـ الباقي من قسمة ١٤٠١ على ٧ × الباقي من قسمة ٣٥٤ على ٧
١ × ٤ = ٤
٢ ـ ١٤٠١ ÷ ٣٠ = ٢١ / ٤٦
٣ ـ باقي قسمة ٤٦ على ٧ × باقي قسمة ١١ على ٧
٤ × ٤ = ١٦
٤ ـ ابحث عن عدد السنوات الكبيسة في ٢١ سنة الباقية
(٢ ـ ٥ ـ ٧ ـ ١٠ ـ ١٣ ـ ١٥ ـ ١٨ ـ ٢١ = ٨ / ٧ = ١
٥ ـ ١ من شهر المحرم = ١
المجموع ٢٢

٦ ـ نقسم ٢٢ ÷ ٧ = ٣ ١/٧
ومعنى ذلك انه يتبقى ١ واذا تبقى ١ فيكون اليوم الخميس

معرفة اي يوم في السنة الهجرية :

لا يختلف الحال في اي يوم من ايام السنة عن غرة اي سنة والفارق البسيط هو اننا سنزيد على ما سبق بيانه عدد الايام الداخلة في السنة نفسها كأنني اريد معرفة ٥ ربيع الاول مثلا فما علينا الا ان نتبع ما سبق بيانه بالاضافة الى أيام شهر المحرم ، صفر ، ٥ أيام من شهر ربيع الأول المذكور في المثال .
وقبل الدخول في التفصيل يجب علينا ان نعرف عدد الايام بكل شهر وهي :ـ

محرم ٣٠	صفر ٢٩
ربيع الاول ٣٠	ربيع الثاني ٢٩
جمادي الاولى ٣٠	جمادي الثانية ٢٩
رجب ٣٠	شعبان ٢٩
رمضان ٣٠	شوال ٢٩
ذو القعدة ٣٠	ذو الحجة ٣٠ / ٢٩

مثال :
المطلوب معرفة اليوم الموافق لـ ١٠ رمضان ١٣٩٣
الحل العادي : : ١ ـ أحسب عدد ايام التاريخ الهجري اولا حتى ٣٠ ذو الحجة ١٣٩٢ وهي :
١٣٩٢ × ٣٥٤ = ٤٩٢٧٦٨
٢ ـ احسب عدد ال ٣٠ سنة السابقة
١٣٩٢ ÷ ٣٠ = ١٢ / ٤٦
٣ ـ حيث ان كل ٣٠ سنة فيها ١١ سنة كبيسة
اذا ٤٦ × ١١ = ٥٠٦
٤ ـ ال ١٢ سنة الباقية فيها ٤ سنوات كبيسة = ٤
٥ ـ اجمع الايام الداخلة في سنة ١٣٩٣ وهي :
محرم صفر ربيع١ ربيع٢ جماد١ جماد٢ رجب شعبان رمضان
٣٠ ٢٩ ٣٠ ٢٩ ٣٠ ٢٩ ٣٠ ٢٩ ١٠ = ٢٤٦
= ٤٩٣٥٢٤

بقسمة هذا الناتج على ٧ = ٣ / ٧٠٥٠٣ .
حيث ان الباقي ٣ وكما سبق وان اوضحنا انه اذا تبقى ١ فيكون اليوم الخميس
واذا تبقى ٢ فيكون اليوم الجمعة
واذا تبقى ٣ كما هو في مثالنا هذا فيكون اليوم (السبت) .

اذا اليوم الموافق لـ ١٠ رمضان ١٣٩٣ هو السبت .

الحل المختصر :
١ ـ حيث ان عدد أيام السنة ثابت في جميع التواريخ فيمكن اختصاره بالرقم ٤ وهو ناتج كما سبق عن قسمته على ٧ واخذ الباقي ٣٥٤ ÷ ٧ = ٤
وكذلك الحال برقم السنة نفسها (السابقة) ١٣٩٢ في مثالنا هذا
١٣٩٢ ÷ ٧ = ٦
فتكون الخطوة الاولى ٦ × ٤ = ٢٤
٢ ـ الخطوة الثانية فليس فيها اختصار ١٣٩٢ ÷ ٣٠ = ١٢ / ٤٦
والناتج الصحيح يمكن اختصاره بضرب ٤٦/٧ × ١١/٧
٤ (باقي القسمة × ٤ باقي قسمة ١١ ÷ ٧ = ١٦
٣ ـ عدد السنوات الباقية من القسمة (١٢) فيوجد بها ٤ سنوات كبيسة (٢ ـ ٥ ـ ٧ ـ ١٠) = ٤
٤ ـ يمكن اختصار عدد أيام الشهور وذلك لتخفيف جمع الايام . وعلى ذلك فان

محرم ٢	صفر ١
ربيع الاول ٢	ربيع الثاني ١
جمادي الاولى ٢	جمادي الثانية ١
رجب ٢	شعبان ١
رمضان ٢	شوال ١
ذو القعدة ٢	ذو الحجة ٢ / ١

وهذا لم يجمع عادة
ففي مثالنا هذا
محرم صفر ربيع[١] ربيع[٢] جماد[١] جماد[٢] رجب شعبان رمضان
٢ + ١ + ٢ + ١ + ٢ + ١ + ٢ + ١ + ١٠ = ٢٢
٣٠/٧ = ٢ ٤ — ٢٩/٧ = ١ / ٤ = ٦٦
٥ ـ بقسمة ال ٦٦ على ٧ = ٩ ٣/٧
واذا تبقى ٣ فيكون اليوم السبت
مثال (٢) المطلوب معرفة اليوم الموافق لاول شوال ١٤٠٢ هـ

الحل العادي :

١ ـ ١٤٠١ × ٣٥٤ = ٤٩٥٩٥٤

٢ ـ ١٤٠١ ÷ ٣٠ = ٢١ / ٤٦

٣ ـ ٤٦ × ١١ = ٥٠٦

٤ ـ ال ٢١ سنة الباقية فيها ٨ سنوات ك = ٨

٥ ـ محرم صفرربيع[١] ربيع[٢] جماد[١] جماد[٢] رجب شعبانرمضانشوال

٣٠ + ٢٩ + ٣٠ + ٢٩ + ٣٠ + ٢٩ + ٣٠ + ٢٩ + ٣٠ + ١ = ١٦٧

٤٩٦٧٣٥

بقسمة هذا العدد على ٧ فيكون ٤٩٦٦٧٣٥ ÷ ٧ = ١

وحيث ان المتبقى ١ فيكون ١ شوال ١٤٠٢ هو الخميس

الحل المختصر :

١ ـ باقي قسمة ١٤٠١ / ٧ × ٤

١ × ٤ = ٤

٢ ـ ١٤٠١ ÷ ٣٠ = ٢١ / ٤٦

٣ ـ ٤ × ٤ = ١٦

٤ ـ ال ٢١ سنة الباقية بها ٨ سنوات كبيسة = ٨

محرم صفرربيع[١] ربيع[٢] جماد[١] جماد[٢] رجب شعبانرمضانشوال

ـ ٢ + ١ + ٢ + ١ + ٢ + ١ + ٢ + ١ + ٢ + ١ = ١٥

= ٤٣

٦ ـ نقسم ٧ / ٤٣ = ١ / ٦

واذا تبقى ١ فيكون اليوم هو الخميس

مثال (٣)

المطلوب معرفة اليوم الموافق ل ٨ محرم ١٣٦١

١ ـ ٢ × ٤ = ٨ = ١

٢ ـ ١٣٦٠ ÷ ٣٠ = ١٠ / ٤٥

٣ × ٤ = ١٢ = ٥

٣ ـال ١٠ سنوات الباقية فيها ٤ سنوات ك = ٤ = ٤

٤ ـ ٢٨ من محرم = ٢٨ = ٢٨ = ـ

٥٢ = ١٠

٥ ـ بقسمة اي من الناتجين على ٧ يكون الباقي هو ٣ وهو يوم السبت

ملحوظة هامة :

١ ـ لك الخيار عزيزي القارىء في ان تختصر او ان لا تختصر وما عملية

الاختصار هذه الا ضمان لعدم الوقوع في خطأ الجمع لاعداد كبيرة او بقسمتها على ٧ وستجد دوما ان النتيجة واحدة .

٢ ـ ان نسبة الخطأ في هذه العمليات لن تزيد عن ١ ,.. ـ ٪ في جميع السنوات

٣ ـ انصح بعدم استخدام الالات الحاسبة عند قسمتك في اي عملية على ٧ لان الباقي فيها هو جزء من ١٠ وليس من ٧ لذا وجب النصح باستخدام العمليات الحسابية البحتة في القسمة .

العلاقة بين التاريخ الهجري والميلادي

ذكرنا في الجزء الخاص بالتقويم الهجري انه بدأ الحساب به على يد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه منذ الخامس عشر من شهر يوليو ٦٢٢ ميلادية ، وان عدد ايام السنة الهجرية ٣٥٤ يوما في السنة الهجرية البسيطة و ٣٥٥ يوما في السنة الهجرية الكبيسة .

وذكرنا ان السنة الكبيسة يمكن تحديدها بقسمة السنة على ٣٠ وباقي القسمة اذا قابل الارقام (٢ ـ ٥ ـ ٧ ـ ١٠ ـ ١٣ ـ ١٥ ـ ١٨ ـ ٢١ ـ ٢٤ ـ ٢٦ ـ ٩ ٢) فهي كبيسة وان لم يقابلها فهي بسيطة وذلك لكون كل ٣٠ سنة يتخللها ١١ سنة كبيسة ، وان عدد اشهر السنة ١٢ شهرا وانها على التوالي ٣٠ ، ٢٩ يوما عدا ذى الحجة فهو الذي يختلف فيه عدد الايام من حيث كبيسة او بسيطة .
وذكرنا في الجزء الخاص بالسنة الميلادية ان السنة ٣٦٥ يوما في السنة البسيطة و ٣٦٦ يوما في السنة الكبيسة ويمكن معرفة السنة الكبيسة بقسمتها على ٤ فان كان الناتج رقما صحيحا فالسنة كبيسة وان تبقى من خارج القسمة اي كسر فالسنة بسيطة (٣ سنوات متواصلة) وان عدد شهورها ١٢ شهرا ويتراوح عدد أيام شهورها من ٢٨ ـ ٣١ يوما وشهر فبراير الذي يختلف عدد أيامه تقريبا كل ٣ سنوات كما ذكرنا من حيث ان السنة كبيسة او بسيطة . ففي الكبيسة ٢٩ يوما والبيسطة ٢٨ يوما .
ومن خلال تلك المقدمة البسيطة يمكن معرفة عمليات التحويل ببساطة .

تحويل التاريخ الهجري الى ميلادي

مثال (١) نود معرفة التاريخ الميلادي الموافق ليوم ١٠ رمضان ١٣٩٣ هجرية

الحل : لمعرفة التاريخ الميلادي يجب ان نعرف اولا عدد أيام التاريخ الهجري منذ بدايته وحتى العاشر من رمضان ١٣٩٣ ويحسب كالآتي :

١ ـ السنة السابقة

١٣٩٢ × ٣٥٤ = ٤٩٢٧٦٨

٢ ـ السنة السابقة

١٣٩٢ ÷ ٣٠ = ١٢ / ٤٦

٣ ـ الصحيح

٤٦ × ١١ = ٥٠٦

٤ ـ نبحث في الـ ١٢ سنة الباقية عن عدد السنوات الكبيسة

فتجد انها (٢ ، ٥ ، ٧ ، ١٠) = ٤

٥ ـ الايام الواقعة في عام ١٣٩٣ هي

محرم صفر ربيع١ ربيع٢ جماد١ جماد٢ رجب شعبان رمضان

٣٠ + ٢٩ + ٣٠ + ٢٩ + ٣٠ + ٢٩ + ٣٠ + ٢٩ + ١٠ = ٢٤٦

ويجمع كل من ناتج ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، = ٤٩٣٥٢٤

ثم نقسم الناتج على عدد أيام السنة الميلادية (٣٦٥ ١/٤ يوما) ينتج

٤٩٣٥٢٤ ÷ ٣٦٥,٢٥٠ = يوم ٧١ سنة ١٣٥١

ونضيف على عدد الايام الناتجة ١٢ يوما (وهذا العدد ثابت على الدوام في جميع عمليات التحويل ولا يسع المجال لشرح سببه) فينتج لنا :

يوم	سنة
٧١	١٣٥١
١٢	
٨٣	١٣٥١

وفي النهاية يمكن جمع السنة (١٣٥١ + ٦٢٢ (بداية التاريخ الهجري بالميلادية)

١٣٥١ + ٦٢٢ = ١٩٧٣

وعن الايام فيمكن العد اعتبارا من ١٥ يوليو ولمدة ٨٣ يوما فينتج لنا

باقي شهر يوليو اغسطس سبتمبر اكتوبر

١٦ + ٣١ + ٣٠ + ٦

ومعنى ذلك ان العاشر من رمضان ١٣٩٣ يوافق السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣م .

مثال (٢) :
نود معرفة اليوم الميلادي الموافق لـ ١٢ ربيع الاول ١٤٠٢ هـ
الحل :
لمعرفة ذلك اليوم يجب معرفة عدد الايام السابقة في التاريخ الهجري وهي :

١ ـ ١٤٠١ × ٣٥٤ = ٤٩٥٩٥٤
٢ ـ ١٤٠١ ÷ ٣٠ = ٢١ / ٤٦
٣ ـ ٤٦ × ١١ = ٥٠٦
٤ ـ نبحث في الـ ٢١ سنة الباقية عن عدد السنوات الكبيسة
(٢ ـ ٥ ـ ٧ ـ ١٠ ـ ١٣ ـ ١٥ ـ ١٨ ـ ٢١) = ٨
٥ ـ محرم صفر ربيع الاول
٣٠ + ٢٩ + ١٢ = ٧١
وبجمع ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ = ٤٩٦٥٣٩
وبقسمة الناتج على ٤ /١ ٣٦٥ يوما ينتج
٤٩٦٥٣٩ ÷ ٢٥, ٣٦٥ = ١٦٤ يوم ١٣٥٩ سنة

وباضافة ١٢ يوما وهذا العدد ثابت على الدوام في جميع العمليات التحويلية

يوم	سنة
١٦٤	١٣٥٩
١٢	
١٧٦	١٣٥٩

وبالعد من ١٥ يوليو ٦٢٢ ولمدة ١٧٦ / ١٣٥٩ ينتج لنا
اولا السنة ٦٢٢ + ١٣٥٩ = ١٩٨١
ثانيا اليوم :
باقي يوليو ٨١ اغسطس ٨١ سبتمبر ٨١ اكتوبر ٨١ نوفمبر ١٩٨١ ديسمبر ٨١ يناير ١٩٨٢
١٦ + ٣١ + ٣٠ + ٣١ + ٣٠ + ٣١ + ٧
ومعنى ذلك ان ١٢ ربيع الاول من عام ١٤٠٢ يوافق السابع من يناير ١٩٨٢م .
وهناك طريقة اخرى سريعة بالنسبة للسنة فقط وان كانت نسبة الخطأ فيها تصل الى ٢٥٪ وهي :
السنة الميلادية = السنة الهجرية × ٣٣ / ٣٢ + ٦٢٢
حيث ان كل ٣٣ سنة هجرية تعادل ٣٢ سنة ميلادية تقريبا ولان التاريخ الهجري بدأ في عام ٦٢٢م

مائدة القارئ

مصير الأصنام

جاء في سيرة ابن هشام أنه كانت « بقباء » امرأة لا زوج لها ، مسلمة ، وكان يأتيها إنسان من جوف الليل فيضرب عليها بابها ، فتخرج اليه ، فيعطيها شيئا معه ، فتأخذه ، قال علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وهو راوي الخبر : فاستربت بشأنه ، فقلت لها : يا أمة الله ، من هذا الرجل الذي يضرب عليك بابك كل ليلة ، فتخرجين إليه ، فيعطيك شيئا ، لاادري ما هو ، وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ؟

قالت : هذا سهل بن حنيف بن واهب ، قد عرف اني امرأة لا احد لي ، فاذا امسى عدا على أوثان قومه فكسرها ، ثم جاءني بها ، فقال : احتطبي بهذا .

بناء مسجد

كان اول ما فعله الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد أن استقر به المقام في « المدينة المنورة » هو بناء المسجد النبوي الشريف .. وكان البناءون من المهاجرين والأنصار ورسول الله معهم يعمل كواحد منهم .. وكان نشيدهم :

لئن قعدنا والنبي يعمل
لذاك منا العمل المضلل

والنبي - صلى الله عليه وسلم يقول :

« لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة » .

وكان علي بن ابي طالب يقول :

لا يستوى من يعمر المساجدا
يدأب فيه قائما وقاعدا
ومن يرى عن التراب حائدا

حائط الاسلام وبابه

خطب سعيد بن سويد بحمص - في الشام - فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

ايها الناس : إن للاسلام حائطا منيعا ، وبابا وثيقا : فحائط الاسلام الحق ، وبابه العدل ، ولا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان ، وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ، ولا ضربا بالسوط ، ولكن قضاء بالحق ، وأخذ بالعدل .

لهذا لا يشرب الخمر

قيل للعباس بن مرداس : لو شربت النبيذ لازددت جرأة .

فقال : ما كنت لأصبح سيد قومي ، وأمسى سفيههم ، وأدخل في جوفي ما يحيل بيني وبين عقلي .

مجالسة العلماء

قال الشعبي : جالسوا العلماء ، فانكم ان احسنتم حمدوكم ، وإن أسأتم تأولوا لكم ، وعذروكم ، وان اخطأتم لم يعنفوكم ، وان جهلتم علموكم ، وان شهدوا لكم نفعوكم .

دعوتان

قال حكيم : دعوتان ارجو احداهما ، واخاف الأخرى :

دعوة مظلوم اعنته ، ودعوة ضعيف ظلمته .

زماننا

قال الامام الشافعي - رضي الله عنه :

نعيب زماننا والعيب فينا
ومالزماننا عيب سوانا
ونهجو ذا الزمان بغير ذنب
ولو نطق الزمان لنا هجانا
وليس الذئب يأكل لحم ذئب
ويأكل بعضنا بعضا عيانا

دعاء

قال اعرابي في دعائه :

اللهم لا تخيبني وانا ارجوك
ولا تعذبني وانا ادعوك
اللهم فقد دعوتك كما امرتني
فأجبني كما وعدتني

من وحي الهجرة النبوية

للاستاذ /محمود ابراهيم طيرة

قـديم ، ولكن في القلوب جـديد
ومجـد لنـا في العـالمين تليـد

ويوم ، ولكن قل في الدهر مثله
وعيـد على مـر الـزمـان سعيـد

وذكـرى الى كل القلـوب حبيبة
وحب الـورى للخـالـدات اكيـد

وتلك ـ لعمرى ـ ليلة ، قد جرى بها
من المعجـزات الخارقـات عديـد

فيـادورة الدنيـا ـ ففى بتـأدب
لها ، واحترام ، والانـام يشيد !

تجدد عزم المرء بالجد في العلا
ومـا العـزم الا قـدرة وجهـود

وتوحى بان الحق ـ مهما أصابه
من الباطل البطاش ـ سوف يسود

ومن يعتصم بالله يحظى بنصره
ولـلـه في نصر النبـي جنـود

سقا الله ارضا سار فوق اديمها
نبي الهدى ، والخطو منه سديد

وفي هجرة الهادي تجلت بطولة
له ، واسالوا التاريخ ، فهو شهيد

فما أشجع المختار : لا يرهب القوى
قـوى الشر تغشى داره وحشود

ويقتحم الاخطار ـ لا ـ بل يدوسها   كما داس اعواد الهشيم وليد !

ولكنه اذ غادر الدار شامخا   عرى القوم طرا رهبة وجمود !

وطاشت سهام المعتدين ، لانها   عناية ربِّ الكون عنه تذود

مقام رفيع لا ينال ، وكوكب   سما في الاعالي ، ما اليه صعود !

الى الغار يمضي في امان ، تحفه   ملائكة ، فالشر منه بعيد

فيا غار ثور ـ ان حظك وافر   وحسبك فخرا في الوجود خلود !

شرفت بايواء النبي محمد   وصاحبه حينا ، فأنت سعيد

سمعت حديث المصطفى لصديقه   يطمئنه ، والخوف منه شديد

هما اثنين كانا ، والمهيمن ثالث   ورابعهم انت الوحيد تسود

هنيئا بما قد نلت في غسق الدجى   فمجدك وافي ، والزمان يجود

وفي الغار آيات الاله كثيرة   فسبحان ربي ، قادر ومريد

ولكنها الطلسم ، جمت رموزه   وقد حار في حل الرموز رشيد !

طلاسم تنفي ان في الغار ساكنا   فضاعت سدى للمقتفين جهود

عجيب هو الغار ، الذي بدد القوى   ورد غزاة الشرك ، وهو قعيد

فان يك عند الناس غارا فانه   لدى الله حصن للرسول عتيد !

وان عليا في الوفاء لدينه   مثال علي في الحياة ، مفيد

ومن يرتضي الموت الزؤام نيابة   عن المصطفى رمز الفدا ، ويزيد

وان له في العلم شانا وفي الحجى   ودر علي في البيان نضيد !

ويا هجرة المختار ـ الف تحية   فاني محب ، والاله شهيد

فقد كنت للاسلام اول نصره   وللشرك ـ يعتو ـ دولة وجنود

لذا قدر الاسلام قدرك عنده   فأولاك مجدا ، ما عليه مزيد

بك ابتدأ التاريخ ، يعلى مقامه   بنسبته للمجد ، وهو اكيد

ومن ينتسب للمجد لا شك ماجد   فتاريخنا في العالمين مجيد

سلام على الذكرى بهيج ، كأنه   من القلب في العام الجديد نشيد

ويا ربِّ ارجو للعباد هداية   فان ضلال الاخسرين شديد !

وسلما لدنيانا ، يتوجه الرضا   لعل به حلو الرخاء يعود



هذا الكتاب الذي نعرض له لا نجد تعبيرا يصلح له الا ان نقول انه كتاب يجب على كل مسلم ومسلمة في مشارق الأرض ومغاربها ان يقتنيه وان يقرأه ويتدارسه فهو كتاب يوضح بالدليل والبرهان مدى تغلغل الافعى اليهودية في كثير من شؤون الحياة بل ان اخطر ما فعلته الأفعى اليهودية هو القيام بكافة المذابح والانقلابات والمتغيرات التي طرأت على العالم العربي والاسلامي .

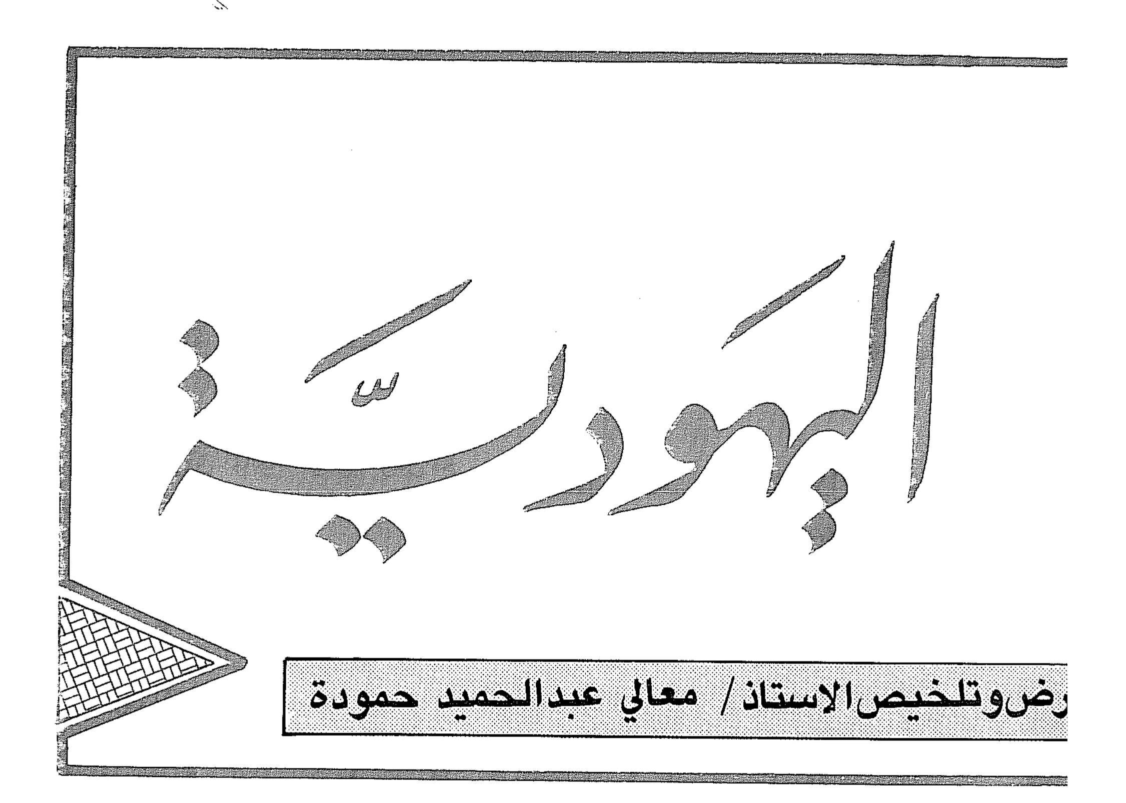
والكتاب يفضح كل مؤامرات اليهود ضد الاسلام .

ينقسم الكتاب الى فصول تسعة سنقوم - في ايجاز - بوضعها أمام القارىء المسلم ليعرف ماذا فعلت الأفعى وماذا ستفعل اذا لم نتقدم لها ليس لقطع رأسها فحسب ولكن لاستئصال ذيلها .

الفصل الأول : تجار الحروب :

يذكر المؤلف - رحمه الله - بالدليل والتوثيق العلمي ان جميع الثورات والانقلابات التي بدأت منذ عصر التسامح مع اليهود تكاد تكون كلها من صنع اليهود انفسهم لجأوا اليها تنفيذا لتعاليم التوراة المتداولة والتلمود الارهابي هذه التعاليم التي تحض وفي صراحة ودون مواربة على القضاء على غير اليهود .

ولقد سعى اليهود الى السيطرة على



الشعوب عن طريق السيطرة عليهم ثقافيا وروحيا ثم استخدام المال في تحقيق هذه السيطرة ولعل أبرز من تولوا تنفيذ هذا « آل روتشيلد » ودورهم الخطير في الاتصال بالملوك والرؤساء والقيام بانشاء مصارف مالية في العديد من العواصم والمدن في اوروبا والولايات المتحدة الامريكية ، ناهينا عن تطور الدور الذي لعبه آل روتشيلد وما نجم عنه افتعال الكيان الصهيوني بناء على وعد بلفور « ١٩١٧م » .

وكان اليهود وراء الثورة الفرنسية « ١٧٨٩م » ورفعوا شعار الماسونية المزيف : حرية مساواة اخاء وعندما قامت الثورة الفرنسية كان المحفل الماسوني الاكبر في باريس مركزا لتجمع قادة الثورة ، وقد وضعت القوانين والأنظمة للثورة الفرنسية في ذلك المحفل الماسوني الرهيب .. والثابت تاريخيا ان اليهود هم الذين خططوا للثورة الفرنسية ، وهم الذين قاموا بها ، وكان من اسوأ نتائجها ان الفرنسيين قتلوا اخوانهم الفرنسيين ، وغنم اليهود في النهاية كل شيء .

ولقد اذاع اليهود ان الثورة الفرنسية كانت عملا تاريخيا خدم الانسانية واعطى وثيقة حقوق الانسان ؟؟ وهذه كلها مزاعم لا تستند الى واقع تاريخي ، فقد تحولت فرنسا بعد ثورتها الكبرى الى مزرعة يهودية وتحولت الى بؤرة فساد ، توزع

الرذيلة والدعارة والدنس والفجور على العالم بأسره .

ويبين الكتاب وقوف اليهود وراء حروب نابليون فعندما انتهت السلطة العليا في فرنسا اليه ، اتصل به اليهود وسيطروا عليه ومن ثم كانت اعمال نابليون في كافة حروبه من الحذاء الى الرأس . بيد ان نابليون انتبه الى الدور الذي لعبه اليهود في توريط فرنسا في الديون المالية الرهيبة ومن ثم اورد المؤلف عبارة خطيرة قالها نابليون بعد هزيمته .

« لقد عزمت على تحسين احوال اليهود غير اني لا اريد زيادة منهم في مملكتي . لقد عملت بالفعل على كل ما يثبت أزدرائي لاحقر شعب على وجه الأرض » وكان هذا بعد ان لقى نابليون هزيمته القاصمة في معركة ووترلو .

وعن حوادث القرن التاسع عشر الميلادي فان اصابع اليهود كانت وراء اغتيال الملوك والرؤساء في النمسا وايطاليا وروسيا والبرتغال وكذا اسهم اليهود في حرب السبعة اسابيع « ١٨٦٤م » التي وقعت بين بروسيا والنمسا .. وحرب السبعين « ١٨٧٠م » التي وقعت بين فرنسا وبروسيا وحرب البوير « ١٨٩٩ ـ ١٩٠٢م » التي دارت بين الانجليز وشعب البوير .

كما اورد المؤلف رحمه الله بيانات علمية دقيقة عن ان اليهود كانوا السبب الأول والأخير في الحربين العالميتين ، والتي تجاوزت خسائرها البشرية ٦٦,٢٧٩,٩٢٢ مليونا من البشر .

وينهي الفصل الأول حديثه عن اثر اليهود في الثورة الشيوعية ، هذا الاثر الذي بدأ بالتغلغل اليهودي للافعى في روسيا عن طريق المساعدات المادية الكبيرة وملايين الدولارات تتدفق على الثوار بواسطة قائدهم اليهودي « ترتوتسكي » .

الفصل الثاني : استغلال عصر التسامح لتخريب المسيحية :

يوضح لنا الكتاب ان اليهود تسللوا الى المسيحية منذ مئات السنين فخربوا معتقداتها واضاعوا اصولها السماوية الصحيحة وكان هذا التسلل في البدء بمعرفة بولس « شاؤل » الرسول وانطلق اليهود لتخريب المسيحية فاعتنقوا المسيحية . ولقد نجح اليهود في هذا العمل ايما نجاح ساعدهم في ذلك عصر التسامح من جهة ومن جهة اخرى رغبة بعض الدول المسيحية في معاداة الاسلام . وقد حارب اليهود كنيسة روما ، وتمت هذه المحاربة عن طريق تسلل ما يسمى بالمصلحين « وهم يهود » لاستحداث حركات مذهبية اخرجت المسيحية عما تبقى لها من اصولها الصحيحة واخر هؤلاء المصلحين كان « مارتن لوثر » الذي احيا الهالة الخرافية التي اضفتها التوراة المتداولة على بني اسرائيل بعد ان كانت المسيحية قد حطمت هذه الهالة وقضت تماما على خرافة الشعب

المختار .

الفصل الثالث : هدم الخلافة الاسلامية :

يعد هذا الفصل اهم فصول كتاب الافعى اليهودية واخطرها ، هذا الفصل الذي يبين كيف نجح اليهود والماسونية في اسقاط الخلافة الاسلامية . فيوضح لنا المؤلف كيف تسلل اليهود الى الخلافة العثمانية ؟ وتقربوا من السلاطين العثمانيين ، وبدأ هذا التسلل باغتيال السلطان محمد الفاتح عن طريق طبيبه اليهودي « يعقوب » ، وكذا تم اغتيال اولاد السلطان سليمان القانوني واحفاده الصغار ، وكان وراء هذا خليلة سليم الثاني « نوربانو » اليهودية ثم استمر تغلغل اليهود في دوائر الحكم العثماني اربعمائة عام ، حتى انتهى بزوال الخلافة العثمانية وهدم ذلك المعقل الاسلامي على يد العميل الماسوني مصطفى كمال الملقب بأتاتورك .

ويبين هذا الفصل الخطوات المرحلية التي لجأت اليها الافعى اليهودية لاسقاط الخلافة ، وبدأت بيهود الدونمة « المرتدون » الذين تظاهروا بالاسلام ، وكذا الجمعيات السرية ـ وعلى قمتها الماسونية ـ التي جندت كافة قواها لخدمة اليهود وهدم الخلافة ، ثم تكوين جمعية « الاتحاد والترقي » .

اكتملت الخطوات المرحلية بالدعوة المغرضة الى القومية العربية ، وساهم في هذه الدعوة الزائفة بعض مفكري النصارى الذين حملوا الحقد والبغضاء ضد الاسلام ، ويفرد الكتاب مقالا ضافيا للحديث عن رأس الافعى اليهودية : مصطفى كمال الذي جندته اليهودية ، واعتنق الماسونية ، واضطهد علماء الاسلام ، واغلق المدارس ، وهدم المساجد ، وحرم الأذان ، ومنع الصلاة في جامع ايا صوفيا ، والغى استعمال التقويم الهجري ، وألغى قوانين الميزات والزواج والاحوال الشخصية ، وشجع المرأة التركية والشباب المسلم على الدعارة والفجور .

الفصل الرابع : الافعى اليهودية في بلاد المسلمين تحت الحكم الشيوعي :

لم يكن عبثا تغلغل اليهود في الثورة البلشفية ، فقد كان لهذا التغلغل اسباب لها ما وراءها ، وتجسد هذا في التنكيل بالمسلمين تحت الحكم الشيوعي ، وبدأت مذابح الشيوعية تحركها الافعى اليهودية للتنكيل بالمسلمين ، فذبح المسلمون في تركستان الغربية .. والشرقية ، وبدأت هذه المذابح بخداع من ستالين .. ولينين للمسلمين وبعدها بدأت سلسلة حمراء دموية من الشيوعية لكافة البلدان الاسلامية ، التي غزتها الشيوعية ثم امتدت المذابح الى القوقاز .. والقرم وغيرها

من المدن ثم الى يوغسلافيا ، فلقى المسلمون هناك المذابح والتنكيل والتصفية الجسدية .

الفصل الخامس : الافعى في اندونيسيا وباكستان :

لعله لا توجد دولة من دول العالم الاسلامي تتعرض لموجات متتالية من التبشير والتنصير مثل اندونيسيا بالاضافة الى الهجوم الشيوعي الذي لا يتوقف ولا يهدأ ، ويفرد الكتاب صفحات للدور الخطير الذي لعبه « احمد سوكارنو » خدمة لليهودية والشيوعية والصليبية .

اما باكستان فيبين المؤلف رحمه الله بالوثائق والادلة كيف لعبت الافعى اليهودية دورا كبيرا في تقسيم باكستان وشن الهند للحرب ضد باكستان المسلمة ناهينا عن الصلات الوثيقة بين الهنادكة واليهود ، هذه الصلات الوثيقة التي تمثلت في التعاون العسكري بين النظامين .

الفصلين السادس والسابع من الكتاب :

يتكلم **الفصل السادس** عن لواء الاسكندرونة .. وقبرص .. والعراق وايران ويوضح ما قام به العميل الماسوني مصطفى كمال من اغتصاب لواء الاسكندرونة وعن قبرص والدور الذي قامت به الافعى اليهودية وبريطانيا ناهينا عن دور اليونان في محاولة ضم قبرص التركية المسلمة اليها .

وعن العراق وما قامت به الافعى اليهودية في ايام الشيوعية .. وعن ايران كيف ثبت تدخل اليهود في نظام حكمها - السابق - وتجارتها والسيطرة على اقتصادها بالاضافة الى تغلغل اليهود في نظام المخابرات الايراني « السافاك » وما قام به اليهود من انشاء دور للدعارة والفجور والفساد ايام شاه ايران .

اما **الفصل السابع** فهو يتحدث عن مأساة اريتريا المسلمة ومحنة الاسلام في الحبشة - ابان حكم هيلا سلاسي - وتعاونه مع اليهود تعاونا تاما من اجل القضاء على الاسلام كما نتعرف على الدور الذي قام به هيلا سلاسي عندما سلم ارتيريا الى اليهود عن طريق ضمها الى الحبشة متجاهلا في ذلك قرار الامم المتحدة وقتها .

الفصل الثامن : نيجيريا والسنغال وتشاد وزنجبار :

تواصل الافعى اليهودية لدغاتها السامة في قارة افريقيا المسلمة حيث الدول ذات الثقل الاسلامي ففي نيجيريا تسللت الطوائف اليهودية وافتعلت المنازعات الطائفية في هذا البلد الاسلامي العريق واستعانت اليهودية بالاستعمار البريطاني ومراكز التبشير وتسلل اليهود الى نيجيريا لتهويدها واعترض زعماؤها فكان ان تم تدبير اغتيال الزعيم المسلم

« احمدو بيللو » و (ابو بكر تافاوا باليوا) في ١٩٦٦/١/١٥ وقام بالاغتيال مجموعة من الضباط النصارى بتخطيط من اليهود وبريطانيا لازاحة الزعماء المسلمين .

اما تشاد والسنغال - وشعباهما من المسلمين - فقد قام الاستعمار الفرنسي بالتواطؤ مع اليهود بافتعال الخطط المألوفة لاحداث الفتن المعتادة وتدفقت البعثات اليهودية الى البلدين ونجحت هذه الطوائف في خلق الفتن واشتعلت المناطق كلها .

اما زنجبار فقد تكاتف على اضاعتها القوى العدائية المعتادة ، فاتفق الاستعمار الصليبي والاستعمار اليهودي بتصفية زنجبار ، ورصدت اسرائيل الاموال اللازمة وتم تدبير المذبحة المشهورة ضد المسلمين « ١٩٦٤/١/١٢م » وكانت الأوامر تقضي بقتل كل عربي مسلم وذبح الاطفال وهتك اعراض المسلمات وتم تشجيع الاباحية والرذيلة ، وقام الخادم « عبيد كرمومي » - الذي وضعه جوليوس نيريري حاكما لزنجبار - بتنفيذ خطة سادته ، وتم ضم زنجبار الى تنجانيقا في ٢٦ نيسان ١٩٦٤م وليصبح القس الكاثوليكي جوليوس نيريري رئيسا للدولتين المتحدتين تنجانيقا وزنجبار تحت ما يسمى بـ « تنزانيا » .

الفصل التاسع والأخير :

اما **الفصل الاخير** فهو يتعلق بالصدى الذي احدثه كتاب الافعى اليهودية في معاقل الاسلام ، وهو يتمثل في بعض المناقشات التي دارت بين النصارى وبين مؤلف الكتاب بالاضافة الى بعض الاراء الاسلامية التي خضعت في تقييمها للكتاب الى التهوين من اليهود والى التهويل لهم ، وقد تصدى المؤلف رحمه الله لهذا كله ووضع الامور في مكانها الصحيح .

واختتم المؤلف كتابه بعدة ملاحق هامة هي :

١ - ملحق رقم ١ الخاص بسلاطين آل عثمان وتواريخهم .

٢ - ملحق رقم ٢ الخاص بامبراطورية الاسلام « الاقطار الاسلامية المستقلة والاقليات المسلمة » .

٣ - ملحق رقم ٣ ويحمل نص المذكرة التي رفعها رئيس جماعة الكفاح لتحرير الشعوب الاسلامية الى الامم المتحدة .

وبعد ..

فليس لنا من تعليق نختتم به عرضنا لكتاب الافعى اليهودية في معاقل الاسلام الا ان نطالب من فوق منبر **مجلة الوعي الاسلامي** بأن يقرأ كل مسلم ومسلمة هذا الكتاب ، ولعل الله عز وجل يلهم بعض اولياء امر العالم الاسلامي الذين منحهم الله ثروة من عنده ان يقوموا باعادة طبع هذا الكتاب وتوزيعه - ولو مجانا - على الشباب المسلم كي نعرف عدونا .

فلن نستطيع قط ان نتغلب على عدونا الا اذا عرفناه .. ولن نعرف عدونا الا اذا عرفنا اعماله وما فعله .. وما يفعله .. وما يخطط لعمله .



من الاحداث الثقافية الهامة انعقاد الملتقى السادس عشر للفكر الاسلامي بمدينة تلمسان بالجزائر منذ السادس من شوال ١٤٠٢ هجرية حتى اليوم الثاني عشر منه (٢٧ يولية ـ ٢ اغسطس ١٩٨٢م) ، وكان الموضوع الرئيسي الذي دارت حوله المحاضرات والمناقشات تقويم حصيلة الدراسات الاسلامية التي اجريت حول السنة النبوية باعتبارها المصدر الثاني للتشريع في الاسلام ، والرد على افتراءات المستشرقين المغرضين ، ووضع منهج علمي تقوم عليه البحوث الفقهية . وقد شارك في هذا المؤتمر نحو الف من العلماء المتخصصين العرب والمسلمين والباحثين والطلاب . وقد بلغ عدد الاساتذة الجزائريين مائتين ، وخمسين عملوا جنبا الى جنب مع المفكرين القادمين من مختلف بلاد العالم .

وتناول الملتقى دراسة السنة من حيث تبليغها ، وتدوينها ، والبحث التحليلي لكتب الحديث ، وكان المحور الرابع للدراسة فهم السنة والعمل بها ، وذلك في اطار ما تهدف اليه هذه الندوة التي تقام بالجزائر سنويا من التعريف بالفكر الاسلامي والتصدي للغزو الثقافي الاستعماري .

ويذكر احتضان مدينة تلمسان لهذا الملتقى وكذلك الملتقى الذي عقد بها في سنة

مدينة الفكر الاسلامي

للدكتور

حسن فتح الباب

١٣٩٥ هجرية (١٩٧٥م) بماضيها التليد في العصور الوسطى ، اذ كانت مركزا للفكر العربي الاسلامي ومنارا ثقافيا يقصده طلاب المعرفة طوال ثلاثة قرون تقريبا . وكانت تنافس بما بلغته من مكانة مرموقة مدن المغرب العربي ولا سيما فاس والقيروان ، بل مدن المشرق العربي ايضا ، وقد هيأ لتلك المدينة العريقة ذلك المركز العلمي والحضاري عدة عوامل اهمها ما تتمتع به من موقع جغرافي استراتيجي ممتاز جعل منها مركزا تجاريا وثقافيا كبيرا يربط بين الشمال الافريقي والاندلس ، وملتقى طريقين من اهم طرق المغرب العربي ، احداهما تصل الشرق بالغرب ، والاخرى تربط بين الشمال والجنوب ، وكانت تعتبر خلال مدة طويلة سبيل الذهب . وبالاضافة الى هذه الميزات الجغرافية ، فان وفرة اراضيها الخصبة ومياهها العذبة جذبت اليها كثيرا من الاقوام إلتماسا لطيب المقام والحياة الرغدة ، وان كانت هذه العوامل قد جعلتها مسرحا للصراع في

العصرين الوسيط والحديث بين القوى السياسية المتنازعة ومطمعا للدول الاوروبية ، فكانت محاصرة او مهددة بالحصار في كثير من الاحيان . وهدمت واعيد بناؤها في كل مرة على يد القوة الغالبة لتتخذ منها ركيزة ومستقرا او نقطة وثوب للتوسع . وهكذا تعددت الممالك والدول التي عرفتها تلمسان ، اذ تعاقب عليها الرومان والادارسة والمرابطون والموحدون والزيانيون والمرينيون ثم الزيانيون مرة اخرى ، وقد اعقبهم الولاة الاتراك الذين استمر حكمهم ثلاثة قرون اعقبها عصر الاستعمار الفرنسي البغيض منذ نهاية الثلث الاول من القرن الماضي حتى اندثر على يد المجاهدين الجزائريين الاحرار واستقلت الجزائر سنة ١٩٦٢م .

ومازالت في تلمسان بعض اثار الحضارة الاسلامية التي ازدهرت بها في عهود الممالك المتوالية ، وفي مقدمة هذه المنشآت ذات القيمة التاريخية الاسلامية مساجدها ومدارسها ، واقدمها الجامع الكبير الذي بناه المرابطون في القرن الثاني عشر الميلادي ، وهو يشبه الى حد كبير مسجد قرطبة في فنه المعماري ولا سيما ساحة الصلاة والمحراب والقبتان . ومن اشهر مساجد تلمسان مسجد بلحسن وهو تحريف اسم ابن الحسن اخي العالم المشهور أبى اسحق ، وقد بناه عثمان ابن يغموراسن سلطان الزيانيين ، ومسجد سيدي أبى مدين نسبة الى الفقيه شعيب أبى مدين الاندلسي الاصل اذ ولد في اشبيلية سنة ١١٢٦م ، ودرس في فاس بالمغرب في عهد الموحدين ، كما درس في مدينة بجاية بالجزائر ، وكان زاهدا متصوفا . وكذلك مسجد سيدي الحلوي الذي بني في عهد المرينيين ، والحلوى هو الشيخ ابو عبد الله الشودسي الذي نشأ ايضا في اشبيليه ، وكان قاضيا متصوفا ، طاف في بلاد المغرب حتى استقر في تلمسان في اوائل القرن الثالث عشر . وثمة مساجد اخرى شيدت في تلمسان خلال العصور المختلفة ، ولم يزل بعضها قائما حتى الان مثل جامع اولاد الامام الذي يرجع الى عهد المرينيين . ولكثرة هذه المساجد تعد تلمسان بحق مدينة المآذن ولولا ان الاستعمار الفرنسي اهمل شأنها ، ولم يعن الاتراك ايضا بترميمها ، لاحتفظت المدينة بكثير منها .

وتضم مسجد ابي مدين وضريحه ومسجد الحلوي « قرية العباد » التي تقع في الجنوب الشرقي من تلمسان على منحدر هضبة عالية : وهي تزخر بالاثار التاريخية التي خلفها السلطان المريني ابو الحسن لتخليد العلماء والزهاد في عصره وليدخل بصنيعه هذا في قلوب الاهلين لما عرفوا به من تقدير عميق لاهل العلم والصلاح ، ومن ارتفاع مكانة العلماء عندهم على مكانة الامراء . وتحوي هذه القرية اثار قصر ومدرسة الى جانب المسجدين والضريح . وقد ووري في مقبرتها كثير من رجال الفقه والتصوف ، فهي اشبه بمقبرة العالية مثوى الشهداء في الجزائر العاصمة . بيد ان بعض اهل المدينة ممن لم ينالوا قسطا من التعليم يبلغون في تقديرهم لاولئك الرجال مرتبة تكاد تقرب من التقديس اذ يعدونهم من اولياء الله ويعتبرون كل ما يصيبهم من نعم من فيض بركاتهم ، ويعتمدون عليهم

بعد الله في حماية مدنهم ومنشآتهم . ومن ثم تختلط الحقائق بالاساطير فيما يتعلق بسير هؤلاء الزاهدين نظرا لما تنسبه اليهم العامة من افعال كالخوارق . ولا شك ان انتشار مذاهب المتصوفة في عهد المرابطين والموحدين وسوء فهم العامة للاصول الشرعية قد ساعدا على ذلك . كما ان بعض اصحاب الطرق قد لعبوا دورا كبيرا في هذا الشأن دعمه المستعمرون ومبشروهم بعد الغزو الفرنسي ، كما استغله بعض مؤرخيهم المتعصبين في تشويه الاسلام والمسلمين .

ومع ذلك ، فانه من الثابت تاريخيا انه نشأت ـ الى جانب حركة التصوف ذات الاتجاهات المعتدلة والمغالية ـ نهضة ثقافية عربية اسلامية كبرى عمت تلمسان وسائر بلاد المغرب العربي ، تدل على ذلك المؤسسات الحضارية التي اشاد بها الخبراء والعلماء الاوربيون غير الحاقدين ، والتي تقع المدارس موقع الصدارة منها . وقد كانت هذه المدارس ـ التي اكثر الحكام المسلمون من بنائها ـ مقصدا لرواد العلم والمعرفة من اهل الاندلس والمغرب ، وبفضلها غدت تلمسان احدى العواصم الثقافية الكبرى . فكان المسجد بمحرابه تجاوره المدرسة بمكتبتها . ولا يخفى الدور الاجتماعي الكبير الذي يقوم به المسجد الى جانب دوره الديني بل ان الجوامع الكبرى كانت اشبه بالجامعات العلمية كما هو الشأن بالنسبة للجامع الازهر بالقاهرة وجامعي الزيتونة في تونس والقرويين بالمغرب . ومن ثم يحق القول ان مدارس تلمسان كانت محل عبادة ومنجم علماء وفلاسفة ومثقفين في نفس الوقت . بل ان الزوايا قامت الى جانب المدارس والمساجد بدور في نشر اللغة العربية والاسلام ، اذ لم تتعرض لها السلطات الفرنسية بل تركتها لابناء الشعب ، ظنا بان اقبالهم عليها من شأنه ان يلهيهم عن الاستعمار ويصرفهم عن السياسة والنضال الوطني ، فافاد من ذلك طلاب العلم في الحفاظ على لغتهم وشخصيتهم .

ويؤكد الباحثون الاجانب انفسهم أن تلمسان كانت تعد في الفترة ما بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر للميلاد مدينة العلماء ، ومجمع المدارس ومزار الحكماء من مختلف ارجاء العالم العربي والاسلامي . وكان لحكامها مآثر غير منكورة في هذا الميدان ولا سيما في عهد بني زيان ازهى عصور تلمسان ، اذ كانوا يبنون الى جانب قصورهم مساجد تضاهيها في عظمة البنيان في اغلب الاحيان . كما اولوا دور التعليم والقائمين عليها رعايتهم ، تقديرا لرسالة العلم ، واستجابة لما عرف عن التلمسانيين من اجلال للمعرفة . وقد اوقفوا على هذه المدارس اراضي وحدائق ومطاحن وحمامات للانفاق من ريعها على المعلمين والطلاب وصيانة المباني . ولم يحل الاصل البربري لهؤلاء الحكام المسلمين دون تشجيعهم التدريس باللغة العربية باعتبارها لغة القرآن والحضارة الاسلامية ، واحتفالهم بالمولد النبوي في قاعة القصر الزياني بين ابناء الشعب المتجمعين في حلقات ادبية يتبارى فيها الشعراء ويحضرها السلطان . ويبرز بين هؤلاء الحكام بصفة خاصة السلطان يغموراسن الكبير ، اذ كان شغوفا بالثقافة العربية ، مطلعا عليها ، حريصا على حضور حلقات الدراسة في الجامع الكبير رغم انه لم يكن يتحدث الا باللهجة

البربرية ، واليه يرجع الفضل في اجتذاب علماء العرب المشهورين الى عاصمته تلمسان .

ومن اهم المدارس القديمة في تلمسان « مدرسة العباد » التي نوهنا بها انفا والتي كان ينقطع بها للدراسة الباحثون عن المعرفة ويلقي بها العلماء محاضراتهم . ولم يقتصر بعض هؤلاء العلماء على دراسة العلوم الدينية ، بل جمعوا بينها وبين العلوم الاخرى ، اذ لم يكن ثمة تخصص علمي في ذلك الزمان ، بل كان العلماء موسوعات جامعة حية ، تقاس مراتبهم بمعيار الشمول وسعة المعرفة مع الدقة وحدة الذهن والقدرة التعبيرية . وكان اكثرهم يجمعون بين العلم والعمل الصالح والزهد الذي يبلغ درجة التنسك ، ولا سيما ان النساك كانوا منتشرين انذاك في ربوع المغرب الكبير ، وقال عنهم مستشرق في دراسة علمية موضوعية « انهم يحسنون التوفيق بين العلم والتخيل وبين التقشف والعبادة » . ومنهم من كان فارسا مجاهدا في الحروب . ولعل ذلك من الاسباب الظاهرة التي ذكرناها من قبل ، وهي نظرة البسطاء من الناس الى هؤلاء العلماء الورعين البسلاء بصفتهم اولياء الله ، واحبابه ، وحماة مدينتهم الذين يصدون عنها غائلة المغيرين ، وتناقل الناس عديدا من الروايات التي تجمع بين الواقع والخيال في مآثر هؤلاء الرجال الابطال . ويكفي ان يذكر منهم « سيدي محمد بن علي » الذي قاد ثورة التلمسانيين ضد الاتراك في القرن السابع عشر .

وقد ذكر المؤرخان ابن مريم والتنسي (القرن الرابع عشر الميلادي) في مؤلفاتهما قائمة تضم اكثر من ثلاثمائة عالم عاشوا في تلمسان ، وامسكوا بزمام حياتها الثقافية في العصور الوسطى ، ومن بينهم الحافظ بن مرزوق ، وابو عبد الله الشريف ، وابراهيم المغمودي ، وسعيد العقباني ، وابن ذكرى ، والابلي ، ومحمد ابن عبد الكريم المغيلي ، وابن يحيى الونشريسي . وجلهم تعمقوا في دراستهم الفقهية ، وتوسعوا في العلوم الاخرى ، وصنفوا مؤلفات مازال بعضها يحمل افكارا لم يتجاوزها عصرنا . ومنهم من شغل مناصب هامة في العواصم العربية القديمة كفاس وغرناطة وتونس والقاهرة ، مثل مناصب الفتوى والقضاء والتدريس .

ويحظى الحافظ بن مرزوق بمكانة خاصة بين هؤلاء العلماء ، وقد عاش بين سنتي ١٣٦٤ ، ١٤٣٨م ، وعرف على نطاق واسع في تلمسان ، اذ شرح مؤلفات العالم الفيلسوف اليوناني سقراط ، والف كتابا في الفتوة ، وتخصص في تفسير القرآن ، ونظم قصيدة بعنوان « البردة » . وتدل هذه المؤلفات جميعا على سعة ثقافته .

ومن ابرز الشخصيات التاريخية التي عرفتها تلمسان المفكر العربي الاسلامي الكبير عبد الرحمن بن خلدون الذي يعد من العبقريات النادرة في العصور الوسطى (١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م) ، اذ وضع لاول مرة اصول فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع ، وله افكار تدخل في صميم الفكر الاقتصادي وان لم تشكل نظرية اقتصادية بالمعنى

الحديث . وقد تنقل في بلاد المغرب والاندلس ، ثم اقام بتلمسان حيث شرع في تأليف مصنفه التاريخي الكبير : « العبر وديوان المبتدأ والخبر في اخبار العرب والعجم والبربر » . وقد اتمه وكتب مقدمته الشهيرة ـ على ارجح الاقوال ـ في قلعة ابن سلامة بقرية تاقزوت التابعة لولاية تيهارت بالجزائر ، وذلك بعد ان غادر تلمسان وقبل ان يتوجه الى القاهرة . وهو يذكر انه خلال اقامته في تلمسان قصد الى مدرسة العباد في ضواحيها ، ملتمسا فيها الاعتكاف قليلا والتقاط الانفاس من عناء رحلاته الطويلة وعبء المناصب الادارية التي تولاها ، ومواصلة التحصيل ، وقال في ذلك ما معناه : « لقد توجهت الى مدرسة الشيخ ابي مدين فرارا من الشئون المدنية وطلبا للدرس بقدر ما يسمح لي بذلك » .

ويلي ابن خلدون في الاهمية العلمية لمؤلفاته الجغرافي المؤرخ ابو العباس احمد ابن محمد التلمساني المعروف بالمقري المتوفي سنة ١٤٠١هـ (١٦٣١م) . وكان اديبا مشاركا في علوم الكلام والحديث والتفسير . وقد ولد في تلمسان وتوفي بمصر حيث كان قاضيا . واشهر مؤلفاته كتابه في تاريخ ممالك الاندلس والمغرب « نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب » ، ومازال يدرس حتى الان في الجامعات العربية . وله كتاب بعنوان « تعاليق حول مبادىء الحق » . ومن علماء تلمسان الشيخ محمد بن يوسف السنوسي (١٤٢٨ ـ ١٤٩٠م) الذي قال عنه احد المستشرقين انه قدم للعلم ما قدم ابن خلدون للتاريخ وعلم الاجتماع . وقد اسس تيارا فلسفيا انطلاقا من مبدأ وحدانية الله . ومن مؤلفاته كتاب العقيدة في عدة اجزاء (العقيدة الكبرى ، الوسطى ، الصغرى ، واخيرا المقدمة) . كما الف في علوم الطب والرياضيات والفلك وقد خلف اكثر من اربعين مصنفا في هذه العلوم وفي المنطق والنحو ، الى جانب العلوم الدينية والتصوف . وهو يعد فخر الفكر الاسلامي في اواخر القرن الخامس عشر . وقد توفي في بلدته تلمسان وله ضريح يزار في قرية العباد . ومن تلامذته عبد الكريم المغيلي الذي توفي في مدينة كانوا (نيجيريا) حيث اسس اول جامعة اسلامية في هذه المدينة .

ويقترن اسم الشيخ السنوسي باسم الشيخ ابي عبد الله الشوديسي المشهور بسيدي الحلوي ، اذ كان كلاهما من شيوخ المدرسة التلمسانية العريقة ، رغم ما يفرق بينهما من فاصل زمني . وقد ولد الشيخ ابو عبد الله ، واقام في اشبيلية بالاندلس حيث اشتغل بالقضاء بفضل تمكنه من علم التشريع ، واعتنق المذهب الصوفي . ورحل الى المغرب ثم الى تلمسان في القرن الثالث عشر ، ودفن في مقبرة العباد حيث اقيم له ضريح ومسجد باسمه . وقد عرف عنه انه من تلاميذ ابني الامام محمد التنسي والشيخ الابلي ، ذلك العالم الذي كان له دور راجح في تكوين ابن خلدون . ويروي المؤرخون عن الشيخ ابي عبد الله انه درس مبادىء المنطق اليوناني والحساب والهندسة والطب والفلاحة والموسيقى . وكان طلب العلم شغله الشاغل .

ومن علماء تلمسان الذين جمعوا بين العلوم الدينية والعلوم الاخرى احمد ابو

يحيى الحباق ، اذ تخصص هذا الفقيه في علم الاسطرلاب (الفلك) ، وترك مؤلفات قيمة مازالت تدرس في الجامعات الاوروبية منها « رسالة السفر » وتعليقه على كتاب الفقيه وعالم الرياضيات المراكشي ابي العباس احمد بن البناء (١٢٥٨ ـ ١٣٣٩م) « تلخيص اعمال الحساب » .

لقد ترسم هؤلاء العلماء خطى الرعيل الاول من علماء تلمسان القدامى ابتداء من القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) حينما كانت تحمل هذه المدينة القديمة اسم « اغادير » في عهد الأدارسة الذين بنوا فيها اول مسجد كبير بعد الفتح الاسلامي الذي قاده عقبة بن نافع قادما من مدينة القيروان التي اسسها في تونس ، وجعلوا منها مركزا لنشر مبادىء الاسلام عبر المدن والقرى في المغرب الاوسط (الجزائر حاليا) ، ثم اعقبهم المرابطون في اواخر القرن العاشر الميلادي . وقد شهدت تلمسان في عهدهم ـ ولا سيما في ظل حكم يوسف بن تشفين مؤسس دولتهم ـ ازدهارا بعد معاناة وحصار . وكان اول اعماله بناء عاصمته « تاقرارت » في موقع تلمسان الحالي ، واقامة الجامع الكبير ، واجتذبت تلك النهضة التي عظمت في عهد بني عبد الواد (الزيانيين) واستمرت من القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر ، اقطاب الفقه والفكر من شتى البلدان . فوفد الى تلمسان الشيخ عمران ابو موسى المشدالي (٦٧٠ ـ٧٠٥هـ) ، وكان يدير بها المدرسة التاشفينية ، وهو شيخ مشايخ ابن خلدون ، وكذلك الشيخ اسحق بن ابراهيم التنسي الذي توطن فيها في عهد يغموراسن مؤسس الدولة الزيانية ، وكان يلقي دروسه بمسجدها .

وبفضل هذا الاضطراد في المجال العلمي والتعليمي بالمساجد والمدارس ابتداء من محو الامية والوعظ والارشاد وبث تعاليم الفقه والتصوف حتى التثقيف بالمعنى العام ، وتواتر العلماء طبقة بعد طبقة في سلسلة لم تنقطع حلقاتها عدة قرون ، ارسيت تقاليد في المجال الثقافي والفكري لم تقو على محوها كوارث الحروب التي لحقت بالبلاد . فكان التلمسانيون ينبعثون بالعلم والعرفان من بعد موتهم في الدمار ، وكانما مدينتهم طائر الفينيق الذي ينتفض بين ركام الرماد المحترق ، منطلقا الى الحياة ، محلقا في اجواء الفضاء . ونرى مصداق هذا الواقع الثقافي في شهادة شاهد من الفرنسيين لا يخلو من التعصب للعهد الاستعماري والتجني على العصر التركي ، وهو المستشرق « الفريد بال » ، اذ قال في عام ١٩٢٠ : « لازالت تلمسان مركز الثقافة . ويمتاز المسلمون في هذه المدينة . بحياتهم الثقافية لا عن سكان الارياف فحسب ، بل عن مسلمي المدن الاخرى ايضا » . وبعد ان نسب هذا المستشرق الى الاتراك وحدهم مسؤولية ما ران في عصرهم على بعض المناطق من خمول ثقافي ، متجاهلا الجاني الحقيقي وهو الاستعمار الفرنسي ، واستطرد قائلا : « واليوم ايضا ، رغم الضعف الثقافي الناتج عن ثلاثة قرون ، فانه يمكن العثور على عدد كبير من المثقفين المسلمين وبعض العلماء في تلمسان . وانك لتجد في

احيان كثيرة بقالا ، او بائع تبغ ، او حلاقا ، منهمكا في مطالعة نص تاريخي او ادبي ، او ديني ؛ او جزء من الف ليلة وليلة او مجموعة اغان ، ريثما يأتيه الزبائن » .

وقد كان من نتائج هذا المناخ الثقافي الذي ساد البيئة التلمسانية ، انه رغم المحو الاستعماري المنظم لمقومات الشخصية التاريخية لسكان المدينة ، فقد بقي اتصالها وثيقا بماضيها العربي الاسلامي ، واستطاعت تكوين تراث غني مكنها رغم تلك العقبات والالتواءات من مواصلة حياة ثقافية زاخرة قيمة ، خلعت طابعها التهذيبي على الكثرة الغالبة من اهلها في اوقات فراغهم ، وفي معاملاتهم ، بعد ان كان ذلك وقفا على طبقة الاثرياء . وقد كان هذا التراث الثقافي هو القاعدة التي شادت عليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الصرح التمهيدي للنهضة العربية الاسلامية في الثلاثينات من القرن العشرين ، فشيدت في تلمسان مدرسة باسم « دار الحديث » افتتحها الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس الجمعية ، وادارها من بعده نائبه الشيخ البشير الابراهيمي ، وكانت تدرس فيها اللغة العربية ، الى جانب الكتاتيب ، وقد تخرج في هذه المدرسة وتلك الكتاتيب كثير من ابناء جيل الثورة الجزائرية التي اندلعت في الخمسينات .

كما انشئت في تلمسان بجهود فردية جمعيات دينية ثقافية ، اهمها جمعية اصدقاء الكتاب سنة ١٩٢٦ ، وكانت مكتبتها مركزا للتنوير وتبادل المصنفات ، وملتقى لطلاب المعرفة ، بل كانت هذه الجمعية ايضا مدرسة للتربية الوطنية ، وبث روح الصمود في مواجهة العدو ، فكان التلمسانيون يقصدونها بحثا عن الوسيلة التي تمكنهم من الاحتفاظ بشخصيتهم العربية الاسلامية ، من خلال الهامش الضئيل الذي تركه الاستعمار ، وهو تعليم مبادىء الدين واللغة العربية ، وذلك قبل ان يستبدل بهذه السياسة نهج القهر والتنكيل . ولقد منحت جمعية اصدقاء الكتاب النور لجمعية أخرى انشئت باسم « اصدقاء الطالب » ، وكانت مهمتها تقديم المساعدة المادية للشبان الجزائريين الذين وصلوا الى مرحلة التعليم العالي .

واليوم تؤتي البذور القديمة والرعاية الحديثة ثمارها ، فتتضاءل الامية بفضل التعليم المجاني وتنفيذ خطط التنمية الاجتماعية ، وتتزايد المدارس بمختلف مراحل التعليم ، وينشأ مركز جامعي سنة ١٩٤٧ يضم في هذا العام ١٧٠٩ طالبا . ويصدق القول ان تلمسان اليوم التي احتضنت ملتقى الفكر الاسلامي مرتين ، هي ابنة تلمسان الامس ، التي دافعت عن مقوماتها العقائدية واللغوية والثقافية ، وخاضت معارك طاحنة في سبيل الوطن ، واستحقت ـ بمن انجبت من مفكرين وباحثين وتجاوزت شهرتهم ارضها الى ارجاء العالم الاسلامي ، بل الى بلدان كثيرة خارج هذا العالم ـ ان تسمي عاصمة الفكر الاسلامي جنبا الى جنب مع القاهرة وفاس والقيروان والمدن الاندلسية في العصر الوسيط ، ومازالت كذلك حتى اليوم .

الله أقسم أن يتم نوره

للدكتور / احمد حسنين القفل

هلا سألت الدهر عن عظمائه ... وسألته : من جل عن نظرائه ؟
ينبيك توا ، دون ادنى ريبة ... أن الفريد الفذ من نجبائه
هو ذا النبي الهاشمي « محمد » ... من انقذ الانسان من أدوائه
من أسس الدين القويم مضحيا ... بالنفس والأموال في إنشائه
من قابل الأهوال يضحك ثغره ... للنائبات . اذا دعا بدعائه
من قاوم الكفار فردا أعزلا ... وهم الكثير ، فزلزلوا لبلائه
أقصوه عن وطن له فاذا بهم ... فتحوا البلاد بأسرها لندائه
الله أقسم أن يتم نوره ... حاشاه يخذل لائذا بلوائه

***

نعم الحنيفة . إنها دين الورى ... حمدا لرحمن على نعمائه
دين أضاء الكون بعد ظلامه ... آساه من أدوائه وشقائه
قد كانت الأعراب قبل ظهوره ... شعبا يشيع الجهل في أرجائه
قد الحجارة عابداً بجهالة ... وتفنن الشيطان في اغوائه
جور ، وحيف ، وانتهاك محارم ... حمق يعيش الكل تحت سمائه
جار القوي على الضعيف سفاهة ... واجتاحه في صبحه ومسائه
مازال يمرح في الضلالة هائما ... يزداد أدواء على أدوائه
والخير مقصور على ساداته ... والذل مضروب على ضعفائه
حتى أراد الله خيرا بالورى ... بل شاء آلاء على آلائه
بعث البشير « محمدا » برسالة ... لتخلص الانسان من أهوائه
لينير هذا الكون من ظلماته ... ويشيع دين السلم في أرجائه

***

بشر حباه الله نور بصيرة ... آتاه قرآنا وكل رضائه
مازال يدعو كادحا مستبسلا ... يزداد في اخلاصه ووفائه
والقوم منصرفون عنه للهوهم ... مستنفرين عليه في ايذائه
وسط الجحافل قام يدعو هازئا ... من عصبه رابت على اقصائه

قالوا له الايذاء مرا علقا ... كم ساوموا حينا على اغرائه
لهفي على فرد يتيم أعزل ... ايمانه قد زاد من أعبائه
ما انفك يدعو ساخرا من أمرهم ... والكل مشدوه لحسن بلائه
جهرا وسرا ؛ في المساء وفي الضحى ... يدعو لدين جد في أرسائه
حتى اذا برموا وجن جنونهم ... ورأوا نذير الشر في أنبائه
جمعوا الجموع لقتله وليأسهم ... من رده عن دينه ووفائه
وقفوا بباب البيت ليلة اجمعوا ... أمرا على اهدار حق دمائه
كتب الاله لينصرن رسوله ... والسهم طاش ففر من أعدائه
خرج الرسول « محمد » من بينهم ... « وعلي » يكمن طيعا لفدائه
والجمع عند الباب غاب صوابهم ... هذا يشارك ذاك في اغفائه
الله أكبر ، تلك معجزة بدت ... هدت كيان الشرك في غلوائه

***

هذي قريش قد تزايد كربها ... رصدت له الابطال من اعدائه
في اثره ذهبوا ، وغاية قصدهم ... ان يقتلوا « المبعوث » في صحرائه
ما ذنب هادٍ قام يدعو قومه ... للصالحات ، وذاك كل رجائه ؟
واساه « صديق » وسار بجنبه ... يسعى ويمضي طيعا لفدائه
حب لذات الله ، لاختل به ... كلا ولا التضليل من أسمائه
خاب الطغاة المشركون فقد رأوا ... ما تعجز الألفاظ عن ابدائه
يا « غار ثور » قل لهم ماذا جرى ... للصاحبين تناجيا بفنائه
بالباب أكملت « الحمامة » عشها ... و« العنكبوت » يجول في أرجائه
سبحانك اللهم تنصر من تشا ... وتذل جبارا على خيلائه

***

في « يثرب » الفى الذين تمسكوا ... بالدين والتفوا على اعلائه
هم زمرة « الأنصار » قر بقربهم ... كل يبالغ في تمام رضائه
هبوا لنصرته كراما ، أيدوا ... « علم الهدى » و« الدين » في ضرائه
ترك « المهاجر » ماله وعياله ... فالمصطفى والله كل رجائه
يا هاديا سعد الأنام بفضله ... والله ناصره على أعدائه
هاجرت من وجه الظلام لرحمة ... وسعت جميع الكون من أرجائه
هذا منار للجهاد أقمته ... عال يحار الطرف في أضوائه
هذا مثال للنزاهة حبذا ... لو أننا سرنا على لألائه

***

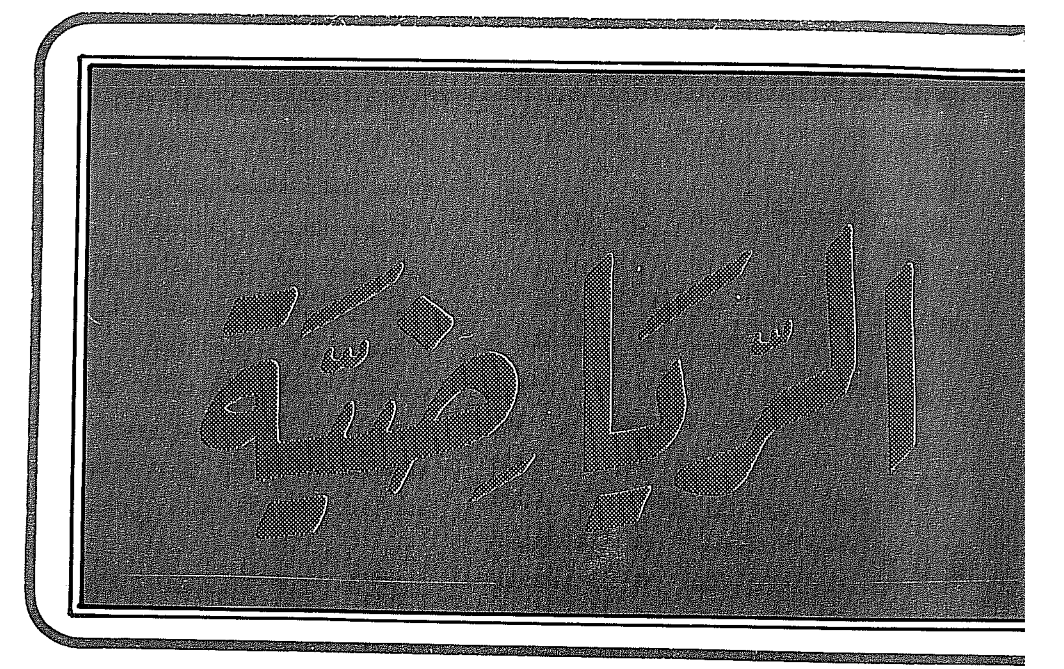
يا دولة الاسلام هذا مجدكم ... جال الرسول وجد في ارسائه
هذا تراث ان تمسكتم به ... سدتم ، وان الفوز في اعلائه
قرآنكم دستوركم فخذوا به ... فالمجد ان تمضوا على آرائه

إعداد الأطفال للإسلام بالألعاب

للدكتور / زيدان عبد الباقي

التكيف الاجتماعي من الموضوعات التي لم يتفق ـ بعد ـ علماء الاجتماع على تعريف محدد لها . فمن الناحية العفوية هناك من يعرفه بأنه« **الوسيلة الاجتماعية التي تمكن الفرد من ان يتكامل اجتماعيا** » أي محاولة مساعدة الفرد على تحقيق النمو الفردي الاجتماعي السليم ، وعلى خلق الاتجاهات الاجتماعية البناءة في كيانه ، وكذلك خلق الشعور بالمسئولية الاجتماعية ، الذي يسمح له ـ في مرحلة معينة من عمره ـ بممارستها . وهناك من يعرفه بأنه « **تلاؤم الفرد مع المجتمع الذي يعيش فيه في اطار الأفكار والعادات والتقاليد السائدة ، ومع أنماط السلوك الاجتماعي الجديدة التي يخلقها التطور والتغيير في المجتمع ، وفي نظمه ومؤسساته ووسائل انتاجه** »بمعنى ان التكيف الاجتماعي عملية توفيق بين أفراد المجتمع ، تقوم على التضحية والتساهل والتحمل في سبيل الصالح العام وتحقيق الهدف المشترك .

ذلك ان الافراد مهما تقاربت مكوناتهم الشخصية ، فانهم مختلفون في الكثير او القليل منها ، ومن ثم يستحيل ان تسير حياتهم الاجتماعية على نحو صحيح الا بالتكيف الاجتماعي الايجابي ، وفي حدود ما



يتيحه الموقف الاجتماعي الذي يجمعهم من عناصر تلاؤمية .

التكيف الاجتماعي السلبي :

هذا ولم يجد علماء الاجتماع صعوبة في الاتفاق على تعريف محدد للتكيف الاجتماعي فحسب ، وانما وجدوا صعوبات أشد في تعريف « **سوء التكيف الاجتماعي**» ذلك المفهوم الذي يستخدم بكثرة في علوم الاجتماع والنفس الاجتماعي والتربية والبيولوجيا .. على اعتبار ان الفرد الذي لا يتكيف اجتماعيا سيكون منعزلا اجتماعيا وقد يعزله المجتمع اجتماعيا أيضا ، بعد أن تصبح له شخصية غير مقبولة من الجميع .

أنواع التكيف الاجتماعي :

هذا والتكيف قد يكون **فيزيقيا** Accommodation وقد يكون **اجتماعيا** Adaptation والنوع الثاني هو الذي يدخل في موضوعنا هنا . ويقصد بالتكيف الاجتماعي - من وجهة نظرنا - ان « **يتكيف الانسان مع البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ، بحيث يصبح قطعة منها ، وعنصرا منسجما من عناصرها** » وعملية التكيف مع البيئة الاجتماعية - على هذا النحو - تحتاج الى نضج في الشخصية من جانب ، وادراك لواقع المجتمع من كل جوانبه من ناحية اخرى . وهذه العملية تتحقق بشكل متدرج ، وعلى مراحل متتابعة ، تتوافق مع مراحل نمو وتنشئة الفرد اجتماعيا . وهذه

العملية الأخيرة تبتدىء قبل ان يصبح الطفل جنينا . وتستمر معه من مرحلة النضج الاجتماعي .. الخ . وفي كل مرحلة من مراحل حياته تأخذ عملية التكيف الاجتماعي صيغة معينة ، تتبدل وفق المتغيرات التي تطرأ على شخصية الفرد من خلال تلك المراحل . وكلما اتيح له ان يندمج في مجتمعات متعددة ، كلما اكتسب تجارب وخبرات تربوية واجتماعية تساعده على الارتقاء بتكيفه الاجتماعي مع أفراد المجتمع الآخرين .

وبعبارة موجزة فان التكيف الاجتماعي « **هو الانسجام مع البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد** »على حين ان التكيف الفيزيقي وظيفته ترويض اعضاء الفرد وتكوينه الجسماني على التكيف مع ظروف البيئة الجغرافية ، ولا سيما الجوانب المناخية فيها . ذلك ان الانسان كما يفقد القدرة على الرؤية ، بصفة مؤقتة ـ عندما ينتقل فجأة من مكان يغمره الضوء الى مكان آخر مظلم ، يظل عاجزا عن الابصار ـ لفترة قصيرة ـ والى ان يتسع انسان العين . وبذلك يتمكن من التعرف على المرئيات داخل هذا المكان .. وبالمثل فان الانسان يفقد القدرة على التكيف الاجتماعي ـ بصفة مؤقتة ـ عندما ينتقل من بيئة اجتماعية الى اخرى مغايرة . وتستمر تلك الحالة معه الى ان يتغلب على المقاومة الداخلية والصراع الذاتي العنيف بين تراثه الراسب في تكوينه و[illegible] . وبين البيئة الاجتماعية الجديدة بمختلف عناصرها .

التوازن بين الفرد والجماعة :

غير ان التكيف الاجتماعي أو « **الشعور بالجماعية** » لا يعني ذوبان شخصية الفرد في المجتمع ، كما ان « **الفردية** » الحقيقية ليست انعزالا وهروبا من المجتمع ، على اعتبار ان « **التوازن بين الفردية والجماعية هو التكيف الاجتماعي بعينه**» اذ ان التكيف الاجتماعي « **عملية اجتماعية** »Social process تعتمد على ما يتطلبه المجتمع من تفاعل ايجابي بين الفرد والجماعة ، وهو **عملية فردية بقدر ما يتطلب المجتمع من اثراء لحياة الفرد ، حتى يتمكن من التفاعل الايجابي والاندماج** Amalgamation **في المجتمع** .

التكيف الاجتماعي بالأرقام :

وقد توصلت « السوسيومترية » Sociometry أو « علم قياس العلاقات الاجتماعية » الى وسيلة منهجية لقياس درجة التكيف الاجتماعي لكل فرد بالأرقام ، وترتيب افراد كل جماعة طبقا لدرجة تكيفهم الاجتماعي . وتقوم هذه الطريقة على أساس قسمة القيمة العددية لمجموع الاستجابات الرأسية والأفقية ـ في الصفوفة الاجتماعية ـ Matrix نحو

العضو في الجماعة على (ن ـ١) على اعتبار ان (ن) تساوي عدد أعضاء الجماعة ناقص العضو الذي يجري قياس مدى تكيفه الاجتماعي وعدد الاستجابات الرأسية والأفقية يمكن الحصول عليه من المصفوفة الاجتماعية ، التي تعتمد على أساس نتائج الاختبارات السوسيومترية .

التكيف الاجتماعي بالألعاب الرياضية :

التربية الرياضية هي احدى الوسائل التي تساهم في اشاعة التكيف الاجتماعي بين افراد المجتمع ذلك ان المجتمع الرياضي اذ يمارس بعض افراده الانشطة الرياضية ، ويشاهد البعض الآخر ممارسة هؤلاء ، مؤيدين البعض دون البعض بصورة تساعد على التنفيس الانفعالي Catharsis للمشاهدين والمشجعين ، وتساعد على ازجاء الطاقات الزائدة لدى اللاعبين في نشاطات بناءة . وكل ذلك مما يساعد على اندماج الافراد في البيئة الاجتماعية وزيادة انتمائهم اليها ، وهذا هو التكيف الاجتماعي الفعلي .

وفيما يلي يمكن تلخيص عناصر الدور الذي تلعبه الرياضة في احداث التكيف الاجتماعي :

(أ) انها مجال للتعبير عن الذات ، وبالتالي وسيلة لاثراء قدرات الأفراد على الابداع والتفوق من جانب ، واظهار الاستعدادات والمهارات الكامنة لديهم ونقلها الى حيز الواقع .

(ب) انها مجال للتنفيس الانفعالي عن الطاقات المكبوتة ، وبالتالي تساعد على التقليل من حدة التوترات النفسية ، الأمر الذي يصل الفرد الى حالة من الطمأنينة والهدوء النفسى . وتلك كلها تشكل أساسا للتلاؤم والتفاهم مع الآخرين . ولا ريب ان الانسجام بين الفرد والآخرين هو احد عناصر التكيف الاجتماعي في صورته الواقعية .

(ج) انها تعمل على توسيع دائرة الانتشار الاجتماعي للفرد ، اذ تأخذ به من دائرة الاسرة ، الى دائرة اوسع وارحب هي دائرة الملعب ، وهذه الأخيرة يجد فيها ما ينسيه ، ما قد يوجد في الدائرة الأولى من مشاكل اجتماعية ونفسية الى حين ، حتى اذا ما عاد اليها كان اكثر قدرة على التغلب عليها . اذ ان هذا النسيان يساعده على توفير الراحة المطلوبة لعقله ، حتى اذا ما عاد الى مجتمعه الاسرى كان عقله أكثر قدرة على التفكير المنطقي الخلاق ، الذي يأخذ بيده إلى وضع الحلول الناجعة لمشكلاته التي يعاني منها ، ومن المعروف ان لكل فرد مشكلاته التي كثيرا ما تختلف عن مشكلات الآخرين .

(د) انها تيسر للفرد فرصة التعود على التعاون الايجابي مع الآخرين ، فضلا عن ممارسة المنافسات الشريفة مباشرة أو غير مباشرة . وهذا يساعد الفرد على السيطرة على انفعالاته السلبية قبل الايجابية . وطبقا لما تفرضه الظروف في الموقف الاجتماعي

من أنماط سلوكية .

(هـ) انها تتيح للفرد التعامل مع مختلف الفئات الاجتماعية ، ومع المجتمعات المحلية والدولية ، سواء على النطاق الوطني او العالمي وبذلك تزداد دائرة معرفته اتساعا في الكم والكيف . وهذا يساعده على التعود على الالتزام بما تقضي به القوانين المكتوبة وغير المكتوبة التي تفرضها قواعد الألعاب الرياضية . وكل ذلك يجعل الفرد على بينة من قواعد الضبط الاجتماعي Social Control واذا ما عرف الانسان تلك القواعد الضبطية ، فانه سيكون على حذر من مخالفتها ، وحينئذ يوصف « **بالمواطن الصالح** »

(و) انها ليست نظاما اقتصاديا أو سياسيا ، وانما هي نظام اجتماعي ، بمعنى انها رؤية جمالية حياتية ، ومدرسة « **نبل** » كالصلاة ، مع ملاحظة ان الصلاة تحل محل الرياضة ، والعكس غير صحيح .. وهي « **نقاء اخلاقي** »لا يستهدف من ورائه مغنما .

(ز) انها مجهود يبذل للارتقاء بتصوراتنا عن قدرة الانسان وكرامته ، والارتفاع بها الى مستوى قدراته العضلية ، حتى نفرق بين العلم الذي نطلبه بعقولنا ، والاجسام القوية التي نطلبها بعضلاتنا .

(ح) انها تربية للجسم والفكر والروح معا ، بمعنى انها تهدف الى تحسين « **الذات** » البشرية والى التكامل المتواصل اللامتناهي لانسانية الانسان . ذلك ان التكوين الاجتماعي « **الشخصية** » للفرد ، والتكوين الكياني « **الجسم** » لا يتوقف عند حد معين ، وانما يعاد تكوينهما على فترات غير متباعدة من الزمن طوال عمر الانسان . وبالتالي فان التربية الرياضية عامل أساسي من عوامل اعادة تكوين الشخصية والجسم الانساني بين حين وآخر ، كلما طحنتهما المحن وصقلتهما التجارب .

اللعب وسوء التكيف الاجتماعي :

لقد تفاقمت المشاكل الاقتصادية المتعلقة بالرياضة ، بشكل لا نتوقع معه الا النتائج الوخيمة ، فتكاليف اقامة الدورات الرياضية وبطولاتها ومهرجاناتها تتزايد بصورة خيالية ، وناهيك عن الدورات الأولمبية .. ونتيجة لذلك سادت الجوانب الرياضية نزعة قوامها الرفاهية والأبهة ، والاسراف الذي يصل الى حد السفه . وقد انعكست هذه النزعة على حياة الرياضيين فدفعتهم الى تخصيص جل أوقاتهم للتدريب من أجل تحقيق (الفوز) والانتصار فحسب .. كل ذلك أدى الى كثير من السلبيات التي يمكن الاشارة اليها بالاصبع على النحو التالي :

● - ساعد ارتفاع مستوى الاداء وتعقده في الرياضة الدولية ، على انتشار ما يمكن تسميته « **بمرض المشاهدة دون الممارسة** » . ولعل

الاجسام المعيبة للافراد الذين لا يمارسون الرياضة ، حيث الكروش « البطون » البارزة ، والظهور المقوسة ، والنتوءات هنا وهناك ، والأرجل الملتوية والاجسام المترهلة ، والعرق الذي يتصبب من الجبين مع سرعة دقات القلب و « النهجان » لمجرد السير على الأقدام لبضع دقائق قليلة .. كل ذلك خير شاهد على الآثار السيئة لهذا المرض ، فالعامل أو الموظف أو التاجر .. ذو الوزن الثقيل ، او ذو الكرش « البطن » الكبير » ، أو ذو الجسم الناحل الضامر المريض ، عدم فائدته للتنمية الاجتماعية والاقتصادية اكثر من فائدته . وهؤلاء لعيوبهم الجسمية ـ الناجمة عن عدم ممارسة الرياضة ـ يصطفون على مقاعد الملاعب الرياضية بالعشرات أو المئات او الآلاف .. يمارسون الأقوال « التصفير » والتصفيق لأولئك النجوم الرياضيين الذين انتزعوا منهم المبادأة وسيطروا على الميدان ، واستحوذوا على الرياضة وسخروا كل الامكانات التي تتحمل نفقاتها الشعوب لصالحهم دون الجماهير صاحبة الحق فيها ، والتي يبدو انها لا تعرف أن ممارسة الرياضة حق لها وواجب عليها .

ـ أدى تشجيع مختلف الدول للحركة الرياضية الى انتشار الملاعب ، بل والمدن الرياضية الفسيحة الأرجاء خارج المدن السكنية ، الأمر الذي جعل ممارسة الرياضة تحتاج الى مبالغ مالية كبيرة للانتقال إليها ، فضلا عن المبالغ الكبيرة الأخرى المطلوبة للملابس الرياضية التي تحتكر انتاجها شركات صهيونية مثل « شركة أديداس » ولذلك فان عدم قدرة الكثيرين على شراء الملابس الرياضية ، وكذلك عدم قدرتهم على حيازة وسائل الانتقال الخاصة الى النوادي الرياضية ، فضلا عن ارتفاع قيمة العضوية في هذه النوادي .. كل ذلك أدى الى شعور الكثيرين بالعجز ، ومن ثم سوء التكيف الاجتماعي .

الفوائد التربوية للرياضة :

للتربية الرياضية عدة فوائد تربوية واجتماعية يمكن تلخيصها فيما يلي :

ـ ان الرياضة تقبل التوظيف « **كأداة تسهم في البناء الانساني والحضاري** » للمجتمع ، بمعنى انها تسهم في القضاء على كافة الاخطار التي تهدد المجتمع ، وكذلك في التخفيف من حدة المشاكل التي يعاني منها . وعلينا نحن ان نجعل منها رسالة تربوية ، تمارس بروح رياضية عالية ، من اجل تحقيق الاهداف الاجتماعية السامية . ولذلك يشترط لقيامها بتحقيق تلك الاهداف ان تكون خالية من التعصب والاثارة والمغالاة والصراع الدامي ، وان تكون بعيدة عن التحيز المقوت ، وعن الاتجار والمتاجرة ، وكذلك عن الاحتراف والاستعباد لشخصيات اللاعبين .

ـ انها واجب وهواية ، بمعنى انها

تشمل كل افراد المجتمع ، وتجب على الجميع ، وان كانت تمارس كهواية خالصة في الزمان والمكان بالرغم من انها ليست كذلك .

- انها تثري المناخ التربوي في مختلف مجالاته وتعزز مكانته وتدعمه ، بما تتيحه من فرص امام ذوي المواهب والاستعدادت والمهارات ، وتجعل من الميسور على كل منهم ان ينمي مواهبه وقدراته ، وصولا الى اعلى المستويات الرياضية الميسورة في نطاق الروح الرياضية السامية والاخلاق الحميدة الفاضلة . ومن هنا يمكن القول : ان الرياضة احدى الطرق الاساسية لبناء الشخصية الانسانية وتدعيم اركانها .

- انها ضرورة صحية واجتماعية ، ذلك ان اقوال المصلحين الاجتماعيين ان « **الرياضة للجميع** » رؤية انسانية صادقة ، تعبر عن حاجة الانسان المعاصر للحركة والنشاط البدني والرياضي المعاصر مملوءة بالمؤثرات السلبية التي ابعدت الانسان عن الحركة والنشاط ، حتى اصبح الانسان من الناحية الاجتماعية ، تتنازعه امراض الحضارة وتمزقه الصراعات النفسية .. واصبح في بعض المجتمعات الاخذة في النمو مجرد هيكل بشري ينوء بحمل ثلاثي امراض التخلف « **الفقر والجهل والمرض** » فلا هو قادر على حملها ، ولا هو قادر على التخلص منها ، وكأنها قدر لا فكاك منه ولا محيص عنه .

الدين الاسلامي والألعاب الرياضية :

من الظنون الخاطئة السائدة في المجتمع ان الدين الاسلامي يتعارض مع الالعاب الرياضية ، وهم في ذلك يجهلون ان الاسلام اعتد في تكوين شخصية الفرد كل اعتداد ببنائه الجسماني ، كاعتداده بكيانه الخلقي في ذاته ، مع الشخصية المثالية - لكي تجتمع فيه قوة البدن ، الى جانب قوة الروح والعقل . فقد نظر الاسلام نظرة اهتمام الى ضرورة القوة للتركيب الجسماني من اجل الاضطلاع بشاق الاعمال ، والقيام بأثقل الأعباء ، سواء اكان ذلك فيما يتعلق باعمال الصناعات الثقيلة ام مخاطر الاستكشافات والبحوث العلمية ، نظرية كانت ام تجريبية ، ام العمليات العسكرية على اختلاف انواعها وتعدد طرائقها .

فلا عجب اذن ان يعظم الاسلام اغراض البدن وحاجات الجسم ، بقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه « **فان لجسدك عليك حقا ، ولعينيك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا** » (رواه الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص) وبإشادة القرآن الكريم ببسطة الجسم ، على انها من نعم الله اذ يقول سبحانه

وتعالى : (**وزاده بسطة في العلم والجسم**) البقرة / ٢٤٧ وزيادة على ذلك يدعو الاسلام اهله الى ممارسة كثير من الرياضات البدنية كالسباحة والرماية وركوب الخيل والاستطراد في عرض الادلة والشواهد على اهتمام الاسلام بأجسام المسلمين وعقولهم وارowاحهم لا ينتهي .

التكيف النفسي بالالعاب الرياضية :

ومن الضروري - من الناحية الاسلامية - ان تمارس الالعاب الرياضية بعيدا عن التعصب الاعمى والتحيز المقيت ، ولا تمارس الا على اسس من الاخلاق الاسلامية السامية . فقد فطن « ابن طباطبا » صاحب « الفخري في الاداب السلطانية » الى نفع الرياضة البدنية ، حيث قال عن فوائد الصيد .. **ومنها ان حركة الصيد حركة رياضية تعين على الهضم وتحفظ صحة المزاج** » ويقصد بالمزاج او بالسمات المزاجية ، ما يقصد بها في علم النفس الاجتماعي ، حيث تتوقف صحة المزاج على التكوين الفسيولوجي للفرد كحالة جهازيه العصبي والغدي . فهناك بعض الافراد الذين يميلون بطباعهم الى المدح والاستبشار ، والبعض الاخر الذي يميل الى الاكتئاب والانقباض بطباعهم ايضا وربما لظروفهم الاجتماعية والاقتصادية . وهناك البعض الاخر ممن هم معرضون بفطرتهم الى ارتفاعات وانخفاضات في حالاتهم الانفعالية الغالبة .. وهناك اناس يميلون الى الانعزال والخجل والانطواء بحكم تكوينهم المزاجي .

والمعروف ان قصور الغدة الدرقية يسم الفرد بالخمول والبلادة .. ومثل هذه الامور يعنيها التكوين الوراثي للفرد الى حد كبير . ومن ثم فمن العسير - وربما من المحال - تغييرها . كما انها لا تحتاج الى تعليم او تدريب خاص .. وهذا على عكس السمات الاجتماعية والخلقية ، مثل التدين والامانة والتعاون والتنافس والتصارع والتكيف الاجتماعي والاستمثال الاجتماعي وما الى ذلك . والدليل على هذا ما لوحظ من ان الرضعاء في الاسبوع الاول من حياتهم ولا سيما الذين يعيشون في بيئة واحدة ، تبدو عليهم فوارق ملحوظة في سماتهم المزاجية . وما لوحظ من ان التوائم الصنوبة - اي التي تنشأ من انشطار نفس البويضة المخصبة - تبدي نشاطا ملحوظا في سماتها المزاجية ، حتى وان كان احدها منفصلا عن الاخر . اي في غير بيئته الاجتماعية . على حين ان التوائم اللاصنوية - اي التي تنشأ من بويضات مخالفة - والتي تنشأ وتربى اجتماعيا معا - تبدي اختلافا ظاهرا في السمات المزاجية في سن مبكرة . وبالتالي فان اللهو واللعب من الامور التي تساهم في التخفيف من اثار السمات المزاجية السلبية . وهذا ما يقصده الاسلام من وراء التشجيع

على الالعاب الرياضية ، بشرط الا تعوق اللاعبين والمشجعين عن اداء الفرائض الدينية .

هذا وفي كتاب « الموجز في الطب » لابن النفيس ـ في الكلام عن الالعاب الرياضية ـ ما نصه « **وفي اللعب بالصولجان رياضة للبدن والنفس ، لما يلزمه من الفرح بالغلبة والغضب بالانقهار** » واللاعب هنا هو الذي يفرح بفوزه ، ويغضب لفشله ـ وليس المشجعون الذي يستخدمون الحجارة وزجاجات المياه الغازية الفارغة ، والمقاعد وغيرها في قذف اللاعبين والحكام بها ، بل وقذف المتفرجين انفسهم عند هزيمة الفريق الذي يتولون تشجيعه .

والملاحظ هنا ان المتفرجين يتقمصون شخصيات اللاعبين طبقا لانتماءات المتفرجين الرياضية ، وبالتالي فان المتفرج يفرح عندما يفوز الفريق الذي يشجعه على الاخر المنافس . وبالعكس من ذلك يحزن عندما ينهزم فريقه او يصاب بالانقهار ، كما يقول الحديث السابق الذكر لابن النفيس .

ولعل دول الجزيرة العربية ـ وفي مقدمتها دولة الكويت ـ من اولى دول العالم التي تعطي اهتماما عظيما لممارسة الانشطة الرياضية ، حيث يوفر المسؤولون كافة احتياجات الرياضة والرياضيين بصورة ملأت الملاعب بعشرات الالاف من لاعبين ومتفرجين ، حيث يمكثون الساعات الطوال تحت وهج الشمس لمشاهدة المباريات الرياضية .. الامر الذي يمنع القليل النادر من شباب الجزيرة العربية من اداء الصلوات في مواقيتها . ولما كانت انماط السلوك ذات خاصية انتشارية ، فان الخوف يملأ قلوبنا من انتشار وزيادة اعداد الذين يؤجلون الصلوات من اجل الاستمتاع بمشاهدة المباريات الرياضية . ولان هذا الامر يقلقني فقد اجبت على سؤال لاحد طلاب المعهد العلمي بمدينة « سكاكا » بمنطقة الجوف بشمال المملكة العربية السعودية في صيف سنة ١٤٠٠ هجرية .. وكان السؤال يدور حول رأيي في الرياضة ؟ وكانت اجابتي : انها « وباء » ولم تفهم اجابتي على وجهها الصحيح ، حيث ظن بعض الطلاب انني لا احبذ الالعاب الرياضية . وقد اوضح لهم قصدي احد الزملاء .. هذا ولازلت اقول ان من الضروري توجيه جزء من طاقات الشباب التي توجه الى الرياضة .. توجيهها الى الاسهام في تنفيذ مشروعات وبرامج التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، حتى لا يبدو الشباب العربي ـ بين شباب العالم ـ فارغا ولا هم له الا تشجيع الرياضة والتعصب للاعبين .

تلك هي الرياضة التي اعتد بها الاسلام من اجل توفير التكيف الاجتماعي والنفسي للمسلمين في كل آن وزمان .



الإسلام والمشكلة الإسكانية

للأستاذ / محمود قطام

لقد انفرد الاسلام وتميز في نظرته وموقفه ومعالجته لهذه المسألة ، حيث كان صريحا حين اعلن ان الحد من النسل يعتبر جريمة لا تغتفر لقوله تعالى (**من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا**) المائدة / ٣٢ وقوله تعالى (**قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله**). الأنعام/ ١٤٠ لان هذا يعني تحجيما لسنة الله في خلقه وارضه ، وتدخلا في شؤون الخالق الرازق ، الكفيل بأرزاق جميع مخلوقاته من انس وجن وانعام وبقية الكائنات الحية الاخرى ، لقوله تعالى:(**وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين**). هود/ ٦ وقوله تعالى :(**ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا . ولا تقتلوا اولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا**) . الاسراء / ٣٠ و ٣١

ويقول الامام ابو الاعلى المودودى - رحمه الله - : « ان قوانين الاسلام للحياة الاجتماعية والاقتصادية مع تعاليمه الخلقية وتربيته الروحانية قد محت كل سبب او داعية من تلك الاسباب والدواعي التي لاجلها نشأت ثم تقدمت وانتشرت حركة تحديد النسل في المدينة الغربية فالانسان اذا كان مصدقا ومؤمنا بالاسلام وتعاليمه وقوانينه من الوجهة الفكرية والعملية ، فانه من المحال ان تنشأ في نفسه رغبة في تحديد النسل ، او تعرض له في حياته ظروف ترغمه على الانحراف عن طريق الفطرة المستقيم ».

ويرى المرحوم محمود شلتوت - شيخ الجامع الازهر الاسبق - « ان تحديد النسل بالمعنى العام تأباه طبيعة الحياة ، وحكمة الله وشريعة

الاسلام ».
واذا كنا نجد في علومنا مثلا كثيرة لهذه المسائل التي لم يحرر فيها محل النزاع ، فاني ارى ان مسألة تحديد النسل من اوضح المسائل التي تناولها النظر واختلاف الرأي دون أن يحرر بين الباحثين المعنى المراد من كلمة ـ تحديد النسل ـ فقد تبادر ان المقصود منها هو : اصدار قانون عام يلزم الامة كلها ان تقف بالنسل عند حد معين ، لا فرق بين سيدة يسوغ اليها الحمل ، فترضع ولدها السابق لبن الحمل ، واخرى يبطىء حملها وتمضي مدة الرضاع او اكثر في تربية السابق دون حمل ولا ارضاع في زمن الحمل ، ولا بين قوى سليم من الامراض يلد اقوياء اصحاء ، وضعيف مريض يلد ضعفاء مرضى ، ولا بين غني في سعة من الرزق يستطيع القيام بتربية ابنائه الكثيرين ، فيضعف احتماله وتفسد حياته ويقع في حياة مرتبكة .
فتحديد النسل بهذا المعنى العام لا يمكن ان يرضاه عاقل او شرع يريد الاصلاح ، او امة تريد لنفسها البقاء وتعمل جاهدة وبخطوات سريعة في المشروعات الانتاجية التي تنافس بها الامم الاخرى ، وترد عنها كيد الغزاة المستعمرين . وهو بعد ذلك تـأباه طبيعة الكون المستمرة في النمو ، وتـأباه حكمـة الحكيم الذي خلق الخلق ، وخلق فيها مادة التـوالد والتناسل ، وخلق مقـابل ذلـك في الارض وسائر ما خلق قوة الانتاج الدائم المضاعف .
فالنظام الاسلامي يحض على التزاوج ويشجع التكاثر والتناسل ، تحقيقا لمبدأ القوة والاتساع السكاني ، ولكي تبقى امة الاسلام مرهوبة الجانب من قبل اعدائها الكثيرين ، لقوله تعالى : « **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم اني شئتم وقـدمـوا لانفسكم** » البقرة/٢٢٣ وقولـه تعالى : « **ومن ايـاته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ». الروم /٢١ وقوله تعالى :(**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشـركـوا بـه شيئـا وبالوالـدين احسانـا ولا تقتلوا اولادكم من إمـلاق نحن نرزقكم واياهم**) . الأنعام/١٥١ .
والاسلام في تحريمه لمنع او وقف او تحديد النسل اباح تنظيم النسل في حالات معينة وفقا للقاعدة الشرعية التي تشير : « ان الضرورات تبيح المحظورات » كأن يكـون الزوجـان مصابين بمرض خطير يخشى ان يمتد الى ذريتهما ، وقد اباح الرسول صلى اللـه عليـه وسلم العـزل بـرضى الطـرفين » ـ الـزوج والزوجـة ـ ، والقاعدة الشرعية تقول : « الضرر يزال » ، وهذا متروك للشخص وتقدير حالته ومدى تحمله ، وقد اباح العلماء ايضا منع الحمل مؤقتا بين الزوجين او دائما ان كان بهما او بأحدهما داء من شـأنه ان ينقـل الى الـذريـة والاحفاد .
والاسلام لا يتعارض مع العلم في نظرته الى ان الانسان خلق على هذه الارض ليكون خليفة لله في الارض ، ومسؤولا عن بقاء النوع البشري الى

ان يرث الله الارض ومن عليها ، فالله سبحانه وتعالى لم يخلق الانس والجن عبثا ، لقوله تعالى : « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** » الذاريات /٥٦.

وأشار ـ كاتب روسي انتون بتمي لوف في كتابه المأساة الحياتية للمرأة BIOLOGICal Tragedy of Woman الى ان ولادة المرأة ليست الا لتقوم بخدمة الابقاء على النوع البشري ».

يقول الطبيب آزوالد شوارز في كتابه نفسية الجنس The Payohologic-al Sex « اي شيء يا ترى يدل عليه وجود الغريزة الجنسية في الانسان ؟ من الحقيقة التي لا غبار عليها ان هذه الغريزة انما هي لانجاب الذرية وتخليد النسل ، اذ من القوانين الثابتة في علم الاحياء ان كل عضو في جسد الانسان يجب ان يؤدي وظيفته الخاصة المستقلة ، حتى يحقق بذلك المهمة التي قد اسندتها اليه الفطرة ، وعلى هذا اذا منع هذا العضو من اداء وظيفته الخاصة ، فلا بد ان تتعرض حياة الانسان لمشاكل مرهقة متعددة ، ومما يتعلق بهذا البحث ان جسد المرأة لم يخلق في معظمه الا لوظيفة الحمل والتوليد ، فهي اذا منعت ان تعمل لتحقيق هذه الوظيفة الاساسية لنظامها الجسدي والعقلي فلا بد ان تذهب ضحية الاضمحلال والتذمر والعقد النفسية المتعددة ، وعلى خلاف هذا فانها عندما تصبح اما تجد جمالا جديدا ، وبهاء روحيا يتغلب على ما قد يعتريها من الضعف والاضمحلال بسبب وضع الطفل وارضاعه .

ويضيف د . شوارز « ان كل عضو في جسدنا يجب ان يقوم بوظيفة ، وعلى هذا فانه اذا حيل بينه وبين ان يقوم بوظيفته فلا بد ان يختل به التوازن في نظامنا الجسدي ، ان المرأة ليست بحاجة الى انجاب الذرية لمجرد ان ذلك مما تقتضيه عاطفة الامومة التي قد فطرت عليها ، او لمجرد انها ترى القيام بهذه الخدمة واجبا على نفسها بناء على ضابط خلقي مفروض عليها ، وانما هي بحاجة اليها لان نظامها الجسدي ما بني كله الا للقيام بها ، فهي اذا منعت ان تقوم بها فلا بد ان تتأثر شخصيتها كلها بالانقباض والحرمان والهزيمة واليأس المميت .

والاسلام حين منع تحديد النسل كان محقا في ذلك لحرصه الاكيد على النوع البشري من الفناء والزوال ، ولحرصه على صحة افراده وجماعاته ومجتمعه بدليل ان العلم والطب الحديث أثبتا الحقائق التي اشار اليها الاسلام ، فقد أشار تقرير لجنة نسبة الولادة القومية في بريطانيا سنة ١٩٢٧ بصدد الحديث عن مشكلة تحديد السكان من الوجهة الطبية الى انه « من الممكن باستخدام الوسائل المانعة للحمل ان ينشأ الاضطراب والاختلال في نظام الرجل الجسماني ، كما انه من الممكن ان ينشأ به الضعف في قوته التناسلية او تنعدم فيه هذه القوة بتاتا ، ومما يجوز القول به على وجه عام : ان هذه الوسائل كانت تحدث في صحة الرجل مؤثرات سيئة جدا ، الا ان الذي يخشى دائما

ان الرجل عندما لا يشبع غريزته الجنسية بعلاقته الزوجية يعتريه التبرم والانقباض شيئا فشيئا في حياته العائلية ، ولا بد اذن ان يحاول اشباع غريزته الجنسية بوسائل اخرى تفسد عليه صحته بل قد تعرضه للامراض الخبيثة .

ويشير التقرير ذاته بالنسبة للنساء : « ان منع الحمل اذا كان لازما من الوجهة الطبية وكانت ولادة عدد كبير من الاطفال قد افسدت على المرأة صحتها ، فلا شك ان وسائل منع الحمل تحدث مؤثرات حسنة في صحة المرأة ، ولكن اذا لم تكن ثمة حاجة تدعوها الى منع الحمل فلا بد ان تكون النتيجة المحتومة لاتخاذ التدابير الصناعية ان ينشأ التوتر في نظام المرأة الجمساني ، ويلازمها شيئا فشيئا القلق والاضطراب والتبرم والضجر ، لانها عندما لا تشبع غريزتها فان علاقتها بزوجها يعتريها الشذوذ والانزعاج ، وقد شوهدت هذه النتائج بصفة خاصة في الذين يختارون طريق العزل لمنع الحمل .

وترى د . ماري شارليب ان وسائل تحديد النسل سواء كانت هي اللولبات المعدنية او الاقراص والعقاقير القاتلة للحيوانات المنوية او حواجز المطاط وغيرها ، وان كانت المرأة لا تتعرض باستخدامها لضرر فوري ظاهري ، ولكنها اذا ظلت تستخدمها لمدة من الزمان فلا بد ان يصيبها الانهيار العصبي Nerrous Instability قبل ان تبلغ سن الكهولة ، ومن النتائج اللازمة لاستخدام هذه الوسائل ، التبرم ، التذمر والقلق والنزق والارق وتوتر الاعصاب وتشويش الفكر وهجوم الاحزان ، وضعف القلب ونقص الدورة الدموية ، وشلل اليدين والرجلين والتهاب الجسد واضطراب العادة الشهرية .

وترى د . ستياوتي في كتابها التخطيط العائلي Family Planning « ان نتائج تحديد النسل خطيرة جدا ، حيث ان الانسان يفقد بها طمأنينة القلب ، ويصيبه الاضطراب النفسي ، والقلق العصبي والارق الشديد ، ويختل عليه توازنه العقلي ، وتعقم النساء ويفقد الرجال قوتهم التناسلية .

ويرى د . رينيل ديوكس ان « المرأة عندما تتناول هذه الحبوب لمنع الحمل فهي لا تتعرض للصداع والالام العصبية فحسب بل لا تأمن على نفسها ان يصيبها مرض عضال كالسرطان .

والاسلام يرى ان لجوء المجتمع البشري في اي مكان واي زمان لاسلوب تحديد النسل ، دليل ابتعاده عن جادة الصواب والحق ، وانحرافه عن المحجة البيضاء ، الذي لا يزيغ عنها الا هالك ، لقوله تعالى « **وإذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل** » البقرة / ٢٠٥ .

كما ان لجوء المجتمع لتحديد النسل سيتبعه بالضرورة تقليص في موارد الرزق كعقاب الهي ، لتدخل خلقه في شؤون مخلوقاته ،

ومعاكستهم لفطرته السليمة وتناقص في القوى العاملة بسبب ازدياد معدل الوفيات ، وفي ذات الوقت انخفاض معدل المواليد ، لقوله تعالى « **قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله** ».

من هنا فقد جاء النهي الاسلامي جازما وحازما بضرورة التخلي عن فكرة تحديد النسل ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما يمنع المؤمن ان يتخذ اهلا لعل الله يرزقه نسمة ، تثقل الارض بلا اله الا الله ».

ويرى جوزف اسبنجلور : ان الزيادة السريعة في عدد السكان تكفل الزيادة السريعة في النشاط الاقتصادي ، ولا سيما اذا كانت القوى المنبسطة Expensive Forces اكثر نشاطا من القوى المنكمشة Contractive Forces ، ومثل هذا سيحدث ايضا في الحالة المضادة ، والحق انه على قدر ما تهبط نسبة زيادة السكان ، تهبط نسبة استثمار رأس المال المتعلق بالتوظيف الكامل . Full Emplyment.

كما ان الله سبحانه وتعالى تعهد وتكفل بمنع حدوث مشكلة الانفجار السكاني ، اوالقنبلة السكانية ، كما يحلو لبعض المفكرين تسميتها ، ذلك ان الخالق جل وعز هو المنظم والمسير لشؤون خلقه وكونه ، وهو العليم الخبير بما في مملكته ، فرب البيت اعلم بمن فيه من ضيوفه ايا كان علمهم ، ووعيهم ، وبعد نظرهم ، لقوله تعالى « **انا كل شيء خلقناه بقدر** »القمر /٤٩.

وقوله تعالى « **وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم** »الحجر/٢١ ، وقوله تعالى « **وما كنا عن الخلق غافلين** » المؤمنون/١٧.

والزيادة السكانية المطردة او ما يسمى بالانفجار السكاني ، قضية محلولة حسب الشرع الاسلامي ، فنظام الحياة والموت وعوامل الحرب والمحن والامراض والافات التي تحدث بين حين واخر ، والزلازل والاعاصير والبراكين تعمل بطريقة او باخرى على تحقيق التوازن المطلوب والمقدر من قبل رب السموات والارض ، لقوله تعالى : (**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض**) البقرة /٢٥١

»١ وكأن هذه الامور تسعى الى تطبيق مبدأ النزعة نحو التوازن المعروف في اساسيات علم النفس ، والذي يتلخص في ازالة كل ما من شأنه تهديد التوازن واعادة الامور الى حالتها الطبيعية ، والمحافظة على التوازن في هذا الكون الفسيح .

من هنا يمكن القول ان حركة تحديد النسل حركة غريبة عن المجتمع الاسلامي وهي حركة استعمارية ، هدفها تحطيم المجتمع الاسلامي ، والحضارة الاسلامية من الداخل من خلال اشاعة الفساد والانحراف ، وبالتالي العمل على افناء الانسان المسلم من خلال الترويج لفكرة تحديد النسل بدواعي شتى ، ظاهرها الحرص على المستوى المعيشي

للفرد والمجتمع ، والمحافظة على التوازن الحياتي للانسانية ، وباطنها القضاء على الامة الاسلامية واذلالها .

ويرى الامام المودودي رحمه الله : « ان حركة تحديد النسل ليست الا ثمرة من ثمار الالحاد والدهرية

ان الاسلام هو الكفيل ـ اذا ما طبق كشريعة ومنهاج حياة ـ بحل كافة المشكلات الانسانية ، لان الانسان بلا اسلام يقتل نفسه ، ويظلم نفسه ، ويعيش حياة الالم مهما اخذ حقه حظه من اللذة العابرة ، وان الانسانية بلا اسلام تدمر نفسها ، وتهدم سعادتها ، وتعيش حياة الشقاء الدائم حتى في هذا العالم الذي لا يدوم .

ويرى المفكر الاسلامي الشهير محمد قطب : انه لا بد من الاسلام لتخليص الناس من جاهليتهم وضلالهم وشقائهم وحيرتهم ، وقلقهم واضطرابهم ، وتمزق حياتهم وافكارهم ومشاعرهم ، فالاسلام هو العلاج الوحيد لكل جاهليات الارض ، ولهذه الجاهلية الحديثة ـ جاهلية القرن العشرين ـ على وجه التخصيص .

فالاسلام زيادة على كونه العلاج الناجع والوحيد لكافة المعضلات البشرية ، فان ممارسته العملية ، وتحكيم منهجه في واقع الحياة كفيل بخلق الاستقرار والتوازن المعيشي والحياتي للانسانية ، لقوله تعالى : **(ولو أن اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون)** الاعراف / ٩٦

خلاصة القول فان الحل الناجع لمشكلة التزايد السكاني تكمن في التخطيط العلمي الواعي والمدروس الذي يأخذ بعين الاعتبار حاجتين اساسيتين يحتاج اليهما العالم الاسلامي اليوم ، وهما : ١ ـ حماية نفسه .

٢ ـ اطعام نفسه .

ولتحقيق هاتين الحاجتين ، لا بد من زيادة وتكثيف الجهود لاستثمار الموارد التامة لبني الانسان ، وتطوير الزراعة بشقيها النباتي والحيواني ، والعمل على تطوير الصناعة السمكية باستثمار الامكانات المتاحة في البحار الداخلية والانهر ، وعمل بحيرات اصطناعية ، والاستفادة من امكانيات الصيد في اعالي البحار ، بهدف زيادة الموارد المعيشية لتواكب الزيادة السكانية المطلوبة لبقاء الامة على اعتبار ان الله ـ جلت قدرته ـ هو الرزاق ، لقوله تعالى « **ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين** » الذاريات / ٥٨ وقوله تعالى : « **له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** » الشورى /١٢ وقوله تعالى : « **وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين . وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم** » فالرزق من وظيفة رب العزة ، والسعي والبحث عنه من وظيفة الانسان ، لقوله تعالى : « **فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له** » العنكبوت /١٧ .

أصحاب الرس

الاخ عبد القادر هائل غالب .. ارسل الينا من كالفورنيا ـ بأمريكا .. رسالة يقول فيها انه كان يقرأ في كتاب الله تعالى ، وابتدأ القراءة من أول سورة « ق » ومضى في قراءته الى ما شاء الله له ، وقد استوقفته الاية الكريمة : « **كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود** ».

ويسأل من أصحاب الرس ؟ ومن نبيهم ان كان لهم نبي ؟ وأين كانوا ؟ وفي أي زمن عاشوا .. وختم رسالته كما بدأها بتحية الاسلام ، حيث عالم اليوم الذي لا يعرف الا الوحشية والهمجية والخراب وسفك الدماء .

المحرر : نحمد الله سبحانه على هدايته وتوفيقه ، ونستعينه ، ونطلب الغفران منه ، ونحيي في الاخ السائل حرصه على تلاوة القرآن الكريم وتدبره وفهم مقاصده ، ونرجو ان يوفقنا الله وإياه للعمل بكتابة وبسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

هذا .. وتحكي سورة (ق) موقف كفار مكة من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والقرآن الكريم ، وتكذيبهم بيوم البعث ، ورفضهم الاذعان والايمان بما جا ء به محمد صلى الله عليه وسلم ، والتصديق بأن وحي الله المنزل عليه ، كذبوا الرسالة والرسول ، وما جاءهم رسول الله الا بالحق الواضح ، وابان لهم القرآن الكريم عن قدرة الله الخالق .. أفلم ينظروا الى السماء وما فيها من مظاهر قدرة الله ، والى الارض وكيف حفظ لها الله استقرارها

بالجبال ، وأحياها بالنبات بواسطة الماء المبارك النازل بالخصب والنماء من السماء ، كل ذلك بفضل الله جعله رزقا للعباد ، والله القادر على الاحياء أول مرة قادر على البعث بعد الموت ، ولكن الكافرين يصرون على الانكار والكفر والعناد ، وشأنهم في ذلك شأن أمم سابقة كذبت رسل الله اليهم أمثال قوم نوح ، وأصحاب الرس ، وثمود ، وعاد ، وفرعون ، واخوان لوط ، واصحاب الايكة ، وقوم تبع ، فحق عليهم وعيد الله ، حيث انزل بهم عقابه في الدنيا ، فمنهم من مات غرقا ، ومنهم من تهدم عليهم بنيانهم وخسف الله بهم الارض ، ومنهم من اخذته الصيحة ، ذلك جزاؤهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب اليم .

وفي ذلك تهديد لكفار مكة ، وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بسرد قصص الانبياء السابقين مع اقوامهم .

وأصحاب الرس كما يقول البيضاوي : قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينما هم حول الرس - وهي البئر غير المطوية - انهارت ، فخسفت بهم وبديارهم .

واختار ابن جرير الطبري : ان المراد بأصحاب الرس هم أصحاب الاخدود الذين كفروا في سورة البروج .

وهناك من العلماء من يرى : انهم قوم رسوا نبيهم في البئر اي دفنوه حيا فيها ، فأهلكهم الله ، الى غير ذلك من الاراء ..

والذي يعنينا انهم قوم كذبوا رسول الله اليهم فأهلكهم الله ، وهذا هو شأن مكذبي الرسل دائما ، الهلاك في الدنيا ، والعقاب الأليم في الآخرة .

وبعد ذلك فلن يضيرنا في شيء اختلاف العلماء في تحديد زمانهم ومكانهم .

فابن عباس - رضي الله عنهما - يقول : هم أهل قرية من قرى ثمود
وعكرمة - رضي الله عنه - يقول : أصحاب الرس بفلج ، وهم أصحاب (يس) ، وقال قتادة : فلج من قرى اليمامة .

والرس : هي البئر المطوية : اي التي لم تبن حوائطها .
هذا .. والله أعلم .



محاربة الاسلام الفقر

تحت هذا العنوان كتب الأخ/علال البوزيدي - من المغرب - يقول :-

○ إن الاحسان الذي هو خلق نبيل من الاخلاق الاسلامية يعتبر من بين الطرق الايجابية التي حارب بها الاسلام الفقر .

ومظاهر الاحسان متعددة وحققت من النتائج عبر العصور ما تعجز الاقلام عن وصفه ، حتى ان فلسفة الفكر الاجتماعي استمدت قواعدها من الاحسان ، واكدت الأيام أن اهم مظاهر النهضة الاجتماعية ، واهم عناصر نجاح العمل الاجتماعي يرتكز على الاحسان والتضامن والتعاون والتآزر بين الناس ، كأفراد يشكلون المجتمع العام .

○ وحارب الاسلام كذلك الفقر بالحث على العمل ، والنهي عن البطالة ، نظرا لعواقبها السلبية على الانسان والمجتمع نفسيا واجتماعيا واقتصاديا .

- وقد جاء في الأثر .
- « التمسوا الرزق من خبايا الأرض » .
- وقوله تعالى : (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) .

○ حارب الاسلام كذلك الفقر بالزكاة فأوجبها على المسلم وجعلها ركنا من الاركان الخمسة التي بني عليها الاسلام ، ولما لها من اهمية تعتبر الركن الثالث بعد الشهادة التي بها يدخل المسلم في الاسلام والصلاة التي هي عمود الدين ، ولذلك يعتبر الاخلال بهذا الركن ، وعدم القيام به ، من الكبائر .

وبفضل الشريعة الاسلامية الخالدة تم ايجاد الحلول الكفيلة

بمحاربة الفقر والقضاء عليه نهائيا لو تمسك الناس جميعا بعدالة السماء ، وقام الانسان باداء الأمانة بصدق ونزاهة ونكران ذات . ومن اسباب محاربة الفقر ما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة وما نصت عليه السنة المطهرة ، فهذا الرسول عليه الصلاة والسلام يقول معالجا للامراض الناتجة عن الفقر والعوز ومنها التسول والاستجداء : (اليد العليا خير من اليد السفلى) والاستقراء الواعي العاقل العميق في الأبعاد التي يشير اليها هذا الحديث تؤكد أن التحرر من الفقر والتوصل الى الغناء والاكتساب المشروع الحلال هو نتيجة كد واجتهاد ، وليس نتيجة تقاعس وكسل وخمول وبطالة ، بل لابد للانسان من العمل ، فالأرض غنية ومتعطشة الى السواعد والى عرق الجبين .

ولم يبق امام الانسان الا استعمال عقله وبصيرته ووعيه ثم عزيمته وارادته وحريته .

هذه الخصائص منحها الاسلام للانسان لتكتمل بها انسانيته وتصان بها كرامته ، وبتوفره عليها يجعل بينه وبين الفقر حواجز وموانع . وفي ختام هذا الموضوع يمكن القول بأن الاسلام حارب الفقر بما جاء في القرآن الكريم ، ويتضح ذلك من خلال ما تنص عليه الكثير من الآيات البينات التي تدور حول القدر والعدل والحرية والارادة .

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .
« كل امرىء بما كسب رهين »
« ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك »
« اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير » .
« وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون »
« من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها . وما ربك بظلام للعبيد » .
« إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا » .

وهكذا تتوالى الآيات دالة دلالة محكمة على ما فيه خير الانسانية وصلاحها ونفعها ، ولكن عقوق بعض الناس وخروجهم عن الصراط المستقيم وتمسكهم بالمذهب المادي جعلهم يرون الآيات معكوسة ، وبذلك اصابت الناس فتنة تاه فيها الفقراء والأغنياء على السواء ، وما سلم منها الا اغنياء الايمان فاللهم اغننا بحلالك عن حرامك ، واكفنا بفضلك عمن سواك . آمين .

مَنطِق القُوّة

إن من هداه الله الى الاسلام يجب ان يسخر قلبه ولسانه في كل وقت لشكر الله وحمده على هدايته لأن الاسلام حقيقة إذا دخل القلوب ملأها بالحب والخير والارتداع عن أذى الغير .

أقول هذا عندما أسمع أنباء اتباع الأديان الأخرى من قوات اسرائيلية غازية ومعها العناصر العميلة الفاسدة وهي تقتل الأبرياء من اللاجئين الفلسطينيين العزل في بيروت ، وما قامت به اسرائيل من قبل بقصف مروع ، وتهديم البنايات فوق رؤوس المدنيين ، واستخدام الاسلحة المحرمة دوليا انتقاما لفشلها العسكري .

هذا الاسلام الذي شرفنا به الله يجب ان يكون مفخرة لكل مسلم يعتز به دينا وعقيدة في كل الظروف ، لأنه يقف مع المجتمعات يطورها وينميها ومع الانسانية يحافظ على كرامتها ويدافع عن حدودها وهو ما عجزت عنه قيادات ترفع شعارات معينة .. ولذلك فإني سأفصل موضوعي الى ناحيتين :-

الناحية الأولى .. موقف الرسول العظيم وخلفائه من اتباع الأديان الأخرى . واحترامهم للمواثيق معهم .

الناحية الثانية : موقفهم من المنحرف من اهل هذه الأديان والمعتدي على ارض الاسلام منهم .

أما الناحية الأولى : فقد اعطى النبي صلى الله عليه وسلم مثلا اعلى لمعاملة اصحاب الأديان الاخرى فقد روى انه يحضر ولائمهم ويشيع جنازاتهم ويعود مرضاهم ويزورهم ويكرمهم حتى روى انه لما زاره وفد نصارى نجران فرش لهم عباءته وأمرهم بالجلوس عليها .

وقد سار المسلمون على سيرة نبيهم فعاشروا اهل الملل بصفاء تام ووئام ..

وحين نذكر موقف الخليفة الراشد أبي بكر حين وقف خطيبا في جيش اسامة وقال كلمته ليس لهذا الجيش وانما للتاريخ وللعالم اجمع ، اذكرها ليعرف المعتدون كيف يكون التعامل الأخلاقي .. قال : أيها الناس اوصيكم بعشر فاحفظوها عني . لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا

بقرة ولا بعيرا ، الا لمالكه .. وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له .. الى ان ختمها قائلا : اندفعوا باسم الله ..

لقد كانت وصية ابي بكر لجيش اسامة اروع ما يمكن ان يوجهه خليفة انسان يقدر كرامة الانسان لقائد انسان يقود جيشه لخوض حرب عادلة ، ولم تصل قوانين الحرب والحياد في القانون الدولي في القرن العشرين الى ان تسمو الى الهدف الرفيع الذي عبر عنه رضي الله عنه بهذه الكلمات القليلة في عددها ، الكبيرة في معناها ..

الناحية الثانية : لقد علمنا الرسول عليه الصلاة والسلام كيف يكون الرد على من أراد بالاسلام والمسلمين شرا فعندما اعتدى يهود بنو قينقاع على حرمة امرأة مسلمة بأن كشفوا من جسدها ما حرم الاسلام كشفه وضحك اليهود منها ، وقتلوا احد المسلمين الذي حاول نصرة المرأة .

طارت شرارة الحرب ، وكان ذلك في منتصف شوال في السنة الثانية للهجرة فقد حاصرهم رسول الله في حصونهم خمس عشرة ليلة حتى اضطروا للتسليم ، وطردهم من المدينة واشترط ألا يجاوروه فيها ، وتكرر ذلك مع يهود خيبر الذين بدأوا يؤلفون جبهة ضد المسلمين فقام المسلمون بشن هجوم على حصونهم والفتك بهم ومد الاسلام رواقه على ارضهم .

وفي عهد معاوية الذي انتقم من بطريك القسطنطينية لأنه صفع احد جنوده الذين ارسلهم للقسطنطينية لمعرفة احوالها وفتحها .. فقد سعى حتى احضره ووقف امامه واحضر الجندي وقال له اهذا الذي صفعك ؟

قم فاصفعه .. والمعتصم الذي اجتاح بلاد الروم من اجل امرأة استغاثت به .. هؤلاء هم القادة .. رسل السلام ورجال الحق في كل مكان لم يقفوا امام القصف والتدمير والاستغاثات موقف المتفرج .. كما يقف قادة اليوم امام المذابح .. انها النكسات والهزائم المتتالية ، حيث ضاعت القدس واراض اسلامية جديدة .. وانتهكت اسرائيل الحرمات ، وداست الكرامة حين غزت بيروت ودمرت بيوتها ..

واخيرا حين انطلقت الرصاصات الخائنة على الأبرياء لتقتلهم وتمثل بهم .. كل شيء تحرك .. وكل عين بكت في كل منزل اسلامي .. فماذا فعل حكامنا ؟ وماذا هم فاعلون ؟ لا امل الا في الجهاد ولا جدوى الا في منطق القوة ، فهي اللغة الوحيدة التي يفهمها العدو ..

والله غالب على امره ، والنصر للمجاهدين المسلمين ..

فايز موسى ابو شيخة

مع الصحافة

لا ريب في ان المذابح الهمجية التي قام بها العدو الصهيوني وحلفاؤه في مخيمي « صبرا » و« شاتيلا » تعتبر من الاحداث القليلة التي شغلت الاعلام العالمي على هذا النحو الواسع . ومع ذلك فما تزال وقائعها واثارها ودلالاتها افظع بكثير مما استطاع الاعلام ان يصور . على ان سلسلة الاحداث التي بدأت بالقصف الاسرائيلي الوحشي للعزل والآمنين في عدد من مدن لبنان وقراه ، وانتهت - وما نحسبها نهاية طبعاً - بالمذابح الهمجية .. ثم ما تخلل ذلك من مواقف ومساومات واتفاقات وغدر ونقض للعهود .. كل ذلك كان كفيلا ان يكشف لشعوب المنطقة كثيرا من الحقائق الخطيرة التي ظلت لمدة من الزمن تعروها الشكوك .

صحيح ان فظاعة الاحداث ، وعظم الضحايا ، وفداحة الخسائر .. هي التي فرضت نفسها فرضا على الاعلام العالمي ، بيد ان الصحيح ايضا انها لم تكن لتستحوذ على هذا الاهتمام الواسع لولا مساسها المباشر الخطير بقضايا حساسة ، تتعلق بمصالح القوى العظمى ، والصراع الدولي في منطقة الشرق الاوسط . وهكذا فمن الخطأ ان يظن ان نوازع الشفقة او يقظة الضمير او شيئا اخر من هذا القبيل وحده هو الذي املى على الاعلام العالمي هذا الاهتمام الكبير بالاحداث المفجعة .

ولعل الاهم من ذلك هو ان السياسة الصهيونية وما تنطوي عليه من حقد وغدر وجريمة باتت عارا يصم الذين يقومون بدعمها ويعلنون حرصهم على امنها ، ذلك بان ما فعله الصهاينة في لبنان جعل اي تأييد او دعم او سكوت عاريا عن كل مسوغ اخلاقي ، من اجل هذا كان لابد للاعلام العالمي ، ولا سيما الامريكي والغربي ، ان يحاول تبرئة ساحته من جرائم اليهود ، عن طريق الادانة « الكلامية » والفضح الاعلامي .

وحين تنكشف الجرائم الصهيونية تجد القوى العظمى التي ما تزال حريصة على اسرائيل انه لابد من طريقة لدفع الحرج ، وهكذا يجب - في نظر اعلامها - تضييق دائرة التهمة ، وحصرها في « كبش واحد » . ولذلك يركز هذا الاعلام على تحميل جزء من المسؤولية عن المجازر الوحشية لحكومة بيجن ، ويتناسى الاعلام نفسه ان الاستفتاءات التي اجرتها وكالات انبائه نفسها دلت على ان الغالبية العظمى ليهود اسرائيل وامريكا والغرب ايدت الغزو الصهيوني للبنان ، وتنضوي

في هذا السياق الدعائي تلك التظاهرات التي يقوم بها اليهود ضد بيجن وشارون خاصة ، وهي محاولة لتضليل الرأي العام العالمي والحفاظ على ثوب « الحمل » الذي دأبت الصهيونية على ستر جرائمها به . وحين يهاجم الاعلام الامريكي بيجن وشارون فهو في الحقيقة يحاول تبليع شعوب المنطقة حبوبا مخدرة ، على نحو ما فعلت الادارة الامريكية عندما اقالت وزير خارجيتها هيج في ابان الغزو الصهيوني للبنان ، مع ان ماتم في لبنان كان بتدبير امريكي ـ اسرائيلي لاهداف امريكية اسرائيلية .

بقيت مسألة اخرى تكشف ايضا سر هذا الاهتمام الاعلامي للقوى المؤيدة لاسرائيل بالاحداث المفجعة في لبنان ، وهي ان هناك نقمة عارمة تجيش بها صدور الشعوب في المنطقة نتيجة لتلك الاحداث المروعة ، وهذه النقمة قد تنذر بانفجارات من الغضب ، مما يهدد على نحو او اخر مصالح القوى العظمى في الشرق الاوسط ، ولذلك فلا بد من ان يقوم الاعلام بمهمة التنفيس للحؤول بين براكين الغضب الشعبي وبين الانفجار ، حفاظا على « المصالح الحيوية » ومادام « الكلام » امرا قليل التكاليف ، ومادام « الفعل » الاسرائيلي قد استنفد اغراضه وامكاناته .. فلا ضير اذن من عواصف الدعاية الاعلامية . نقول هذا الكلام لاننا لم نلمس وما نحسب اننا سوف نلمس ـ اجراءات عملية فعالة للجم البربرية اليهودية تقوم بها دولة من تلك الدول التي تشن حملة « اعلامية » على جرائم اسرائيل ، وقد دأبت من قبل طويلا على حمايتها وضمان وجودها .

وهذا في الحقيقة هو الذي حمل عددا من الصحف العربية على ان تسأل : وماذا بعد ؟! اجل .. ماذا بعد الكلام ؟!

ومهما كان فقد ابرزت الاحداث المشحونة بالفواجع والالام للشعوب العزلاء المخدوعة جملة من الحقائق الصلبة التي غفل او تغافل عنها الكثيرون طويلا :

١ ـ ان حديث اسرائيل عن السلام مجرد خرافة للتضليل ، تدخل في اطار غدرها ونقضها للعهود كما تجلى واضحا بعد انسحاب الفلسطينيين من بيروت ، وان اسرائيل لن تكف عن عدوانها على شعوب المنطقة المجاورة قبل ان تحقق اهدافها جميعا ، ولن يكون عدوانها هذا هو العدوان الاخير .

٢ ـ ان « القوة » هي الاساس الذي تبنى عليه السياسات الدولية في هذا العصر الذي يدعي فيه الكبار لانفسهم وصاية شاملة على الحضارة الانسانية وقيمها ، وان مزاعم السلام التي يدغدغون بها الضعفاء ليست سوى جرعات من « الافيون » « السياسي » للقبول بسيطرة القوة والامر الواقع .

٣ ـ ان الذين يعولون على صداقة هذه او تلك من القوى العظمى ، لن ينالوا شيئا ذا بال من ولائم السياسة الدولية ما داموا لا يملكون من القوة ما يحمل تلك الدول على اعتبارهم والوفاء بالتزاماتها نحوهم ،

هذا .. وقد انصبت اتجاهات الصحافة العالمية على جوانب عدة ، ابرزها : تحديد المسؤولية المباشرة وغير المباشرة عن الجرائم المرتكبة . وفضح الطبيعة

العدوانية الغادرة لاسرائيل ، ومحاولة التكهن بما يمكن ان ينجم عن ذلك في المستقبل القريب .

المسؤولية

حول المسؤولية عن المذابح كتبت الغارديان تحت عنوان « اسرائيل والمذبحة » :

شهد لبنان مؤخرا واحدا من اكثر الاحداث بربرية في عصرنا الحاضر . وكانت السلطات الاسرائيلية التي سوف يلبسها العار الى الابد مسؤولة عنه . ليست هناك كلمات مناسبة نستطيع ان نصف بها ما فعله الاسرائيليون وحلفاؤهم من المليشيات اليمينية ضد اسر اللاجئين الفلسطينيين العزل في مخيمي صبرا وشاتيلا . وربما كانت مذابح الحرب العالمية الثانيــة في ليديس ووارسو وادادور . شيئــا لايذكر بالنسبة لما فعله الاسرائيليون .

وسوف تظهر الايام عاجلا ام اجلا كم من كبــار السياســيين الاسرائيليين كان يعرف كل شيء عن قرار اطلاق يد المليشيات المسلحة في المخيمات .

لقد كان هناك من المسؤولين من يعرف . وهؤلاء جميعا مجرمون ومتواطئون في هذه الجريمة الوحشية . وسيكون من الصعب الان على اية حكومة ان تتعامل مع قيادة اسرائيل الحالية ، مع قيادة فيها مثل شارون وزيرا للحرب .

وقالت صحيفة هارتس الاسرائيلية في تقرير نشرت ترجمته في عمان في ٥ ذي الحجة :

ان اريل شارون وزير الدفاع الاسرائيلي وايتان رئيس الاركان وعددا من كبار الضباط الاسرائيليين كانوا في مكان قريب من المخيمات الفلسطينية عند وقوع هذه المجازر وبالتحديد فوق سطح احد المباني في منطقة الاوزاعي بالضواحي الجنوبية الغربية من بيروت عند دخول قوات اسرائيل الى الجزء الغربي .

واضافت الصحيفة :

ان القوات الاسرائيلية التي كانت تطوق المخيمات كانت تطلق النار على من حاول الفرار من النساء والاطفال حيث قتلت بعضهم في حين اضطر البعض الاخر الى العودة للموت الذي كان في انتظارهم داخل المخيمات .

وكتبت التايمز تحت عنوان « بعد المذبحة » :

لماذا لم يستمع العالم عندما اعلن الفلسطينيون واصدقاؤهم الدور

الرئيسي للقوات الفلسطينية في لبنان يقتصر على حماية المدنيين الفلسطينيين وان من المرجح تماما وقوع مذبحة تستهدف اولئك الملايين بمجرد اخراج قوات منظمة التحرير من بيروت ، اذا لم يتم استبدال تلك القوات باخرى فعالة ومتعددة الجنسيات مفوضة بالبقاء حتى تتمكن السلطة اللبنانية النظامية من تسلم مقاليد الامور .

لا يتمكن المرء ايضا من تبرئة اولئك الذين كانوا يعلمون بان تلك المجزرة كانت ستحدث اذا لم يتم منعها ، ومع ذلك فانهم لم يتخذوا اية خطوات فعالة للحيلولة دون وقوعها .

والامريكيون ، والقوى الاخرى التي اسهمت في المفاوضات الخاصة باجلاء منظمة التحرير ، يجب ان يتحملوا ايضا جزءا من المسؤولية . فقد تقبلوا بسرعة كبيرة الزعم الاسرائيلي بان القوة متعددة الجنسيات لم يعد لها ثمة عمل بعد اتمام اجلاء منظمة التحرير . وحتى الدول الاخرى مثل بريطانيا ـ التي اختارت عدم القيام بدور نشط ـ يمكن اعتبارها مذنبة بسبب الاهمال .

اما صحيفة الانباء الكويتية فكتبت في ٨ ذي الحجة في افتتاحيتها تقول :

طبيعي جدا ان تتطلع الشعوب الى الانظمة والقادة في الاوقات العصيبة تنتظر الفعل الصادر عنها في مواجهة الازمات والتحديات القومية ، وبخاصة ما ارتبط منها بشأن الحرب والعدوان والاذلال العسكري . وتشتد ثورة الشعوب ويتعاظم غضبها حين ترى ان التصدي الذي كانت تحلم به قد اجهض وان الذين يجلسون فوق منصة الحكم بعيدون عن ممارسة الواجب المفترض وتأخذ الجماهير على القادة عجزهم عن الاتفاق على اسس المواجهة مع العدو .

○ فضح الهمجية اليهودية

وتراجع صحيفة صنداي تايمز طرفا من تاريخ الجرائم اليهودية لتضع اخر جرائمها في سياقها الصحيح . عن السياسة العدوانية الاسرائيلية تقول الصحيفة تحت عنوان : « التحذيرات التي تجاهلها العالم » :

اليوم حيث يعتصر الالم قلوب الفلسطينيين في كل مكان ، كم كانوا يتمنون لو كان هذا العالم قد جنبهم رؤية اسوأ مخاوفهم من الصهيونية تتحقق ، فلاكثر من اربعين عاما وهم يناشدون الانسانية ان تعمل شيئا من اجل وقف الخطر الذي يتهدد وجودهم على يد الصهيونية . ولكن العالم لم يعر اذنا صاغية لتحذيراتهم . وما حدث في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في بيروت مؤخرا لم يكن سوى سلسلة متصلة الحلقات لما

يحدث للفلسطينيين طيلة اربع حقب مضت .
ومذابح شاتيلا وصبرا لا تختلف عن غيرها من المذابح التي ارتكبت ضدهم من قبل في دير ياسين وقبية وقالونيا وكفر قاسم وقلقيلية والنبي الياس وعزون وخان يونس والسموع وغيرها الا في الارقام .
في ابريل ١٩٤٨ عندما كانت قرية دير ياسين الفلسطينية الواقعة عند اطراف القدس نائمة شن مسلحو عصابة ارغون تسفاي لئومي الصهيونية هجوما غادرا عليها وذبحوا ٢٤٣ رجلا وامرأة وطفلا . وقائد هذه العصابة لم يكن احدا غير مناحيم بيغن رئيس وزراء اسرائيل الحالي .
وبعد ذلك بخمس سنوات شنت العصابات الصهيونية هجوما مماثلا على قرية قبية فقتلوا سكانها الوادعين جميعا . وكانت العصابات تلك تحت قيادة اريل شارون الذي اخذ الان زمام جيش اسرائيل بين يديه .
واليوم بفضل وسائط الاعلام الحديثة شاهد العالم بالالوان عملية الابادة الجماعية ضد الشعب الفلسطيني فهل يفعل شيئا ام يستمر مرة اخرى في الانضمام الى الجوقة التي تعزف الحان الصهيونية .
في حملاتها القذرة ضد الفلسطينيين لم تنس الدعاية الصهيونية شيئا من شأنه ان يحرمهم مما كان لهم ، شوهت الصهيونية حتى تراثهم ، فهم ابناء الحضارة ليسوا في وسائط اعلامهم سوى حفنة من البدو الرحل وشوهت تاريخهم فمسحت عن الخارطة اسم فلسطين التاريخي القديم ووضعت مكانه اسما اختارته من بطون القصص التاريخية .

ما بعد العدوان الصهيوني

عرضت « الموند » الفرنسية تحليلا للعدوان الصهيوني ، وحاولت ان تتبين الاثار التي يمكن ان يؤدي اليها ، في مقال بعنوان « المسؤولية الامريكية تجاه المذبحة » :

امران اصبحا بديهيين بعد حرب لبنان ، اولهما ان بيغن واتباعه ليست لديهم اية رغبة في التفاوض مع الفلسطينيين في قبول تعايش بين دولة فلسطينية واخرى يهودية فوق ارض فلسطين . لقد خاض بيغن الحرب هذه المرة ليس للحفاظ على وجود اسرائيل بل ليحقق حلم « اسرائيل الكبرى » على حساب الدول العربية المجاورة . وثانيهما ان هناك استراتيجية مشتركة اميركية ـ صهيونية تهدف الى تأمين هيمنة الولايات المتحدة على هذه المنطقة الحيوية في الشرق الاوسط عبر تصفية منظمة التحرير الفلسطينية والاتيان بحكم سياسي موال لاميركا

في لبنان وتعزيز مواقع الحكومات المؤيدة للولايات المتحدة في العالم العربي في هذه الاثناء كان المواطنون العرب يتابعون بحيرة هذه السلبية من جانب معظم الحكومات العربية

ولو ان الدول العربية سمحت للمتطوعين بالانخراط في حرب لبنان وسهلت مهامهم لكان عشرات الالوف من المتطوعين العرب الشباب جاءوا لرفد الفلسطينيين وهو ما كان سيفعله اليهود حتما لو ان تل ابيب كانت في وضع بيروت .

ان الاحداث المأساوية التي يعيشها العرب ستكون لها بالتأكيد انعكاسات سياسية واستراتيجية اقليمية ودولية ايضا . وسيعرف العالم العربي المصدوم حتى قمة رأسه كيف يستخلص دروس مأساة لبنان بعد ان ادرك على حسابه ان نقطة الضعف الاساسية فيه تعود الى تمزق صفوفه .

أما الشعب الفلسطيني فمحكوم عليه ان يواصل الكفاح حتى يستعيد هويته ووطنه . ولن تكون الاعمال التي سيواجه بها الشعب الفلسطيني قادة اسرائيل شرعية وحسب بل هي ايضا عبارة عن اعمال دفاع مشروع عن النفس لانه بعد ان طردت اسرائيل الفلسطينيين من ارضهم لاحقتهم حتى الى لبنان حيث وجد جزء من الشعب الفلسطيني مأوى له في ذلك البلد .

وفي عدد اخر لصحيفة اللوموند نفسها صدر في ١٤ ذي الحجة قالت الصحيفة :

خارج اطار التفسيرات الرسمية ثمة قراءتان للعملية الاسرائيلية بدا احتمالهما ممكنا جدا منذ شهر حزيران « يونيو ». القراءة الاولى تقول ان اسرائيل لا تسعى الى اعادة بناء لبنان « قويا مستقلا » كما تعلن بالعكس انها تسعى الى تقسيم البلاد الى ثلاثة قطاعات او على الاقل الى منطقتين كبيرتين الاولى ، تقع الى الشمال من سهل البقاع ، وهذه تبقى متروكة لسورية (تعويضا عن الجولان) ، والثانية من بيروت والى الجنوب وهذه ستكون منطقة نفوذ اسرائيلية ويحاذي هذه الى الشمال محمية مسيحية تحت رقابة قوية .

القراءة الثانية تقول ان اسرائيل تريد اقامة دولة لبنانية قوية متحدة على ان استقلال هذه الدولة يكون على « ذوقها » وبطريقتها هي ، اي ان تكون دولة تابعة ضعيفة ، توقع معها معاهدة السلام التي تفرضها هي ، وتتحرك بحسب مشيئتها .

وقد اعربت عدد من الصحف العربية عن دهشتها من الارتماء العربي في احضان امريكا التي ثبت انها تواطأت مع اسرائيل في غزوها الاخير للبنان ، وتتوقع بعض الصحف ارتماء متزايدا في المستقبل .



« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)

الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية

المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)

الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)

الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء

مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)

صنعاء : دار الفكر

البحرين : دار الهلال

قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣

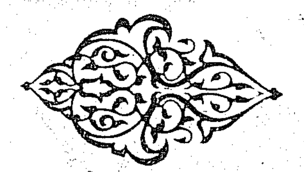
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)

دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)

الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨ .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –